جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة والمذاهب الفكرية

القرامطة وآراؤهم الاعتقادية

« القسم الأول »

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب
سليمان عبد الله السلومي

إشراف فضيلة الشيخ محمد الغزالي
رئيس قسم الدعوة والأستاذ بقسم الدراسات العليا

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى :-

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

« وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »

سورة الأنعام . رقم الآية « ١٥٣ »

المقدمـــة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله " يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون"(١) . " يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا"(٢) . " يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما"(٣) .

اما بعد : فمن نعم الله على وتوفيقه ان التحقت بالدراسات الشرعية فى مراحلها المتعددة حتى انهيت السنة المنهجية بقسم الدراسات العليا الشرعية تخصص عقيدة وكان على بعد ذلك ان اختار موضوعا لرسالة الماجستير وهى مرحلة اعتبرها من ادق المراحل واهمها لان الاختيار ليس بالامر الهين . فامام الطالب فترة زمنية معينة ، كما ان امامه مواضيع ومجالات متعددة تتركه فى تردد من امره .

وبحكم العاطفة وسرعة الاختيار تقدمت بموضوع يروى شيئا من عاطفتى ولكن وبعد فترة من الوقت تبين لى ان الموضوع اقرب الى الاسلوب الانشائى كما انه غير محدد الجوانب والافكار .

بعد ذلك فكرت باختيار موضوع آخر وبينما كنت اتقلب بعض المراجع والمصادر فى مكتبتى المتواضعة وقعت على كتيب صغير يحمل

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٢ .
(٢) سورة النساء : ١ .
(٣) سورة الاحزاب : ٧٠ - ٧١ .

عنوان القرامطة[1]. فبدأت اقرأ فيه حتى استمالنى ولم اتركه حتى انهيته قراءة وشدنى مافيه من اخبار هذه الفئة وافكارها ومخططاتها فذهبت اقلب فى المصادر الاخرى ابتغاء المزيد من المعلومات ولكن اتضح لى بعد تتبع واطلاع ان اخبارهم مفرقة ومبعثرة فى الكتب التاريخية المتعددة وليس هناك اى صورة شاملة ومفصلة لحياتهم الفكرية والتاريخية ومن ثم وقع الموضوع فى نفسى وادركت جوانب متعددة تدل على جدواه واهميته .

وكان لاستاذى الفاضل محمد الغزالى دور كبير فى اقناعى بالموضوع واقناع المسئولين فى الدراسات حيث تبنى الموضوع واشاد به مما ساعد على تسجيل هذا الموضوع والموافقة عليه بعنوان " القرامطة وآراؤهم الاعتقادية " . ومن ثم اخذت فى جمع المعلومات فلم اجد سوى بعض الفقرات المتناثرة فى كتب الفرق والتاريخ وجميعها تتحدث من وجهة نظر علماء السنة والجماعة . ايقنت بعد ذلك ان المهمة ليست سهلة وانما تحتاج الى السفر والبحث الطويل للعثور على المصادر الاصيلة التى يظن بها اصحابها ويعتبرونها من كتب الحقيقة التى لا يجوز الاطلاع عليها الا لمن وصل رتبة معينة من دعوتهم .

ولسوء الحظ او لحسنه ان مكتباتنا خالية من هذه المصادر جملة وتفصيلا وكان لابد من الرحلة والسفر حيث سافرت الى عدة اقطار جمعت منها على قدر الوسع والطاقة مامكننى من السير فى الموضوع سيرا حسنا وقد واجهنى فى هذا الموضوع الباطنى عدة صعوبات منها :

(١) ما اشرت اليه سابقا من ندرة المراجع والمصادر التى الفت من قبل القرامطة والباطنية فغالبها مفقود وما وجد منها ففى الحصول عليه عسر ومشقة .

---

(١) هذا الكتيب عبارة عن فصل من فصول كتاب ابن الجوزى المنتظم (٥ : ١١٠ - ١١٩) وقد نشره الاستاذ محمد الصباغ وطبع عدة طبعات بعنوان القرامطة .

(٢) التضارب والاختلاف فى آراء القرامطة ومناهجهم فكانوا يقولون بآراء فى بلد وآراء اخرى مناقضة للاراء الاولى فى بلد آخر مما يعطى دليلا على تقلبهم وعدم التزامهم بمنهج واحد ولا يخفى مايترتب على ذلك من صعوبة الوصول الى صورة واضحة ومحددة لمعتقداتهم .

(٣) ان معتقداتهم مبنية على اصل من الاصول الغامضة وهو التأويل الباطنى الذى لا يعتمد على لغة او نقل او منطق بل هو فى حقيقة الامر سلاح من اسلحتهم استخدموه لقداسة ائمتهم وفرض سلطتهم على السذج من البشر . وبسبب هذا الاصل المائع واجهت صعوبة شديدة فى الوصول الى مصطلحاتهم وما تدل عليه من معتقدات وافكار والحقيقة ان هذا الجانب من اعتقد ما يعترض القارىء والباحث فى مثل هذا الموضوع ولذا استغرق منى زمنا ليس بالقصير .

(٤) هناك فترة تاريخية مرت بها حركة القرامطة وهى مايسمى بدور الاستتار وقد ابتدأ هذا الدور لدى القرامطة بامامهم محمد بن اسماعيل وبقى الائمة فى كهف الستر والتقية حتى خروج عبيد الله المهدى . وقد نص الباحثون على صعوبة الدراسة فى هذا الدور واعتبروه سببا فى اضطراب المؤرخين الذين لم يصلوا بعد الى رأى قاطع فى عدد هؤلاء الائمة ومعرفة شخصياتهم .

(٥) تعدد جوانب هذا الموضوع وتشعبه فهناك مايسمى بقرامطة العراق ومايسمى بقرامطة الشام ومايسمى بقرامطة البحرين ومايسمى بقرامطة اليمن . والحق ان اعطاء صورة تاريخية وعقدية لكل من هؤلاء يتطلب جهدا شاقا ووقتا اطول . وقد ادرك احد الطلبة الباحثين فى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ذلك فاختار قرامطة البحرين فقط موضوعا لرسالته الماجستير مع الاقتصار على الجانب التاريخى .

ان اغلب هذه الصعوبات لم تظهر لي بوضوح الا بعد الدخول في الموضوع وكان لزاما علي ان امضي واخوض غمار هذه الحركة الباطنية يدفعني الى ذلك عدة اسباب :

(١) ان هذه الحركة الهدامة لم تدرس في العصر الحديث دراسة علمية تلتزم جانب الاسلام وتعالج هذا الموضوع بامانة وتجرد واستيعاب لجوانبها العقدية والتاريخية والتنظيمية.[1]

(٢) كشف هذه الحركة على حقيقتها حيث انها قامت على خداع الجماهير واستغلال عاطفة المسلمين نحو آل البيت مع ماكانت تنادي به من شيوعية وقحة تجاوزت الاموال والاراضي الى الحرمات والنساء .

(٣) هناك بعض الاقلام المأجورة ممن اعماهم التعصب البغيض اشادوا بالقرامطة واعتبروا حركتهم تجربة رائدة في الاشتراكية ومثالا ينبغي ان يحتذى في تصحيح الاوضاع وتنظيم المجتمعات وتطبيق مبدأ الشورى الذي يعبرون عنه بالديمقراطية .
كما يصفون القرامطة الطغاة القتلة بالعفة والتعاون والعدالة.[2]

(٤) لفت نظري من خلال جمع المعلومات ان عددا كبيرا من المستشرقين ركزوا في دراساتهم وبحوثهم على نشر آراء الباطنية وتحقيق الكثير من مخطوطات الاسماعيلية ومن اهم الباحثين في موضوع القرامطة والاسماعيلية اعتمادا على كتبهم المستشرق الروسي ى . ايفانوف الذي اصدر مجموعة من الرسائل والكتب

---

(١) تحدث الاستاذ محمد عليان في كتاب له بعنوان قرامطة العراق ملتزما الجانب التاريخي ولم يتعرض لمعتقداتهم كثيرا ومناقشتها كما انه لم يتعرض لقرامطة اليمن والبحرين .

(٢) انظر على سبيل المثال كتابات عارف تامر ومصطفى غالب عن القرامطة .

ونقل بعض كتاباتهم مترجمة وتمتاز مؤلفاته بالتعصب الشديد للحركات الباطنية فهو كما يقول النشار : يقف دائما بجوار الفكرة الاسماعيلية ويجعل نفسه اسيرا لها ولا يرى سواها[1] .

ويأتي بعد ذلك المستشرق الهولندى ميكال يان دي خويه الذى الف كتابا بعنوان القرامطة نشأتهم وعلاقتهم بالفاطميين . وقد تعصب هو الاخر للقرامطة ودافعنهم ونفى كثيرا من الحقائق مع التهكم والسخرية بكتابات علماء المسلمين ويبدو هذا واضحا في الفصل الثامن عند حديثه عن الديانة القرمطية[2] .

وللمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون مقالات متعددة عن القرامطة[3] ومن اشهرها ماكتبه فى الموسوعة الاستشراقية " دائرة المعارف الاسلامية " تحدث عن القرامطة واعتبر حركتهم مثالا حيا ليقظة الفكر الاسلامى وركز فى مقاله هذا على الناحية الاجتماعية حيث اشاد بثورتهم وقال ان هدفها تأمين الاصلاح والعدل الاجتماعى على اساس المساواة واخيرا يرى انها فرقة اسلامية وان مانقله علماء الفرق من المسلمين من احكام عن القرامطة تعتبر خاطئة[4] .

ومن اشهر المستشرقين المعاصرين الذين كتبوا عن القرامطة المستشرق الانجليزى برنارد لويس حيث الف كتابه المشهور والمترجم " اصول الاسماعيلية " تحدث فيه عن الحركة القرمطية وكانت غالب احكامه تتسم بالواقعية غير انه يؤخذ عليه اعتماده على الروايات الدرزية[5] وخلطه بين بعض الشخصيات[6] وانكاره لبعض الاحاديث الثابتة[7] وتعبيره عن

---

(١) نشأة الفكر الفلسفى للنشار (٢ : ٣٨٢) .
(٢) القرامطة لدى خويه (ص ١٢٩ - ١٤٦) .
(٣) انظر المستشرقون للعقيقى (١ : ٢٩٠ - ٢٩١) .
(٤) دائرة المعارف الاسلامية مادة القاف .
(٥) انظر اصول الاسماعيلية (ص ١٢٢ - ١٢٣) .
(٦) المرجع السابق (ص ١٤١) .
(٧) المرجع السابق (ص ٦٢ - ٦٣) .

بعض آراء اهل السنة بالاساطير.(1)

ومجمل القول ان دراسات المستشرقين عن الحركات الباطنية كثيرة ومتعددة(2) وجميع هذه الدراسات تصور القرامطة كغيرها من الحركات الثورية على انها فرقة اسلامية هدفت في تحركاتها ومبادئها ونظمها الى نشر العدل وانارة الفكر والاصلاح .

والحق الذى لا مرية فيه ان المستشرقين - بدافع الدس والحقد استغلوا هذه الحركات ونفذوا من خلالها لنشر سمومهم المعسولة وافكارهم البراقة وفى حد علمي القاصر ان كشف هذا المنطلق الاستشراقي في دراسة الحركات الباطنية من قبل علماء المسلمين لم ينل قسطه من الدراسة والبيان .

ان هذه الاسباب جعلتني اتجشم اعباء الخوض فى هذا الموضوع رغم غموضه وقلة مراجعه وبدأت اولا بالقراءة والاطلاع على مصادر الباطنية التي تمكنت من الحصول عليها وقد استغرق ذلك مني فترة زمنية ليست بالقصيرة ، وبعد ذلك بدأت بالكتابة معتمدا على الله سبحانه وتعالى ومستمدا منه التوفيق والسداد وكانت خطتي ان قسمت موضوع الرسالة الى اربعة ابواب :

فالباب الاول : عن الجذور الاساسية لحركة القرامطة وذلك ضمن اربعة فصول .

تحدثت في الفصل الاول من التشيع ومظاهره في الفترات الاولى ذلك ان مذهب التشيع استخدم على مر العصور والازمان مطية لكل من يريد الاساءة الى الاسلام واستغلاله وتشويهه فمعظم الدجالين

---

(1) المرجع السابق (ص ١٣٢) .

(2) ذكر جمعا من هذه الدراسات الدكتور الدوري في مقدمته لكتاب اصول الاسماعيلية . انظر (ص ١٠ - ٢٧) وكذلك عارف تامر في كتابه القرامطة (ص ١٣) .

والمخربين ممن تزعموا بعض الحركات الخطيرة كانوا يدعون النسب العلوى وقد عرضت فى هذا الفصل لتعريف التشيع وظهوره ، وفرق الشيعة ودعوى محبة آل البيت واخيرا الدور الذى قدمه الشيعة الاماميون فى سبيل نشر آراء الباطنية والقرامطة .

اما الفصل الثانى فعنوانه المذاهب الغالية وحركات المعارضة بينت من خلال الحديث عن الغلو ان القرامطة فرقة من فرق الغلاة لم تكن جديدة بآرائها وغلوها حيث انها امتداد مباشر لمذاهب الحادية وجدت قبل الاسلام وبعده وذلك كالمزدكية والخطابية وقد بينت اصول هاتين الفرقتين ومدى تأثيرهما على الحركة القرمطية .

وحيث ان ظهور القرامطة على مسرح الاحداث لم يكن مفاجئا بل تقدمه ظهور بعض الحركات المعارضة للدولة العباسية - التى كان لها الاثر فى اضعاف قوة الجيش العباسى وبالتالى كان لذلك دور اكبر فى نجاح حركة القرامطة - ولذا تحدثت عن حركة الخرمية وحركة الزنج حيث بينت معاركهما مع الدولة العباسية وماحصل من جراء ذلك من اضطرابات وفتن ظهر القرامطة فى ظلها وقد حرصت فى حديثى عن المذاهب الغالية وحركات المعارضة على الالتزام بابراز الجانب الاعتقادى اكثر من اى جانب آخر .

اما الفصل الثالث فخصصته للحديث عن الحركة الام - الباطنية - مبتدئا بتعريفها وبدايتها ثم بيان فرقها والتى تعتبر الحركة القرمطية واحدة من اكبر واهم هذه الفرق . وعرضت بعد ذلك لعقائد الباطنية التى تعتبر اساسا لمعتقدات القرامطة . ثم انهيت هذا الفصل بالحديث عن اشهر زعماء الباطنية الذين كان لهم دور فى نشر الدعوة وتربية قادتها .

اما الفصل الرابع فيتعلق بطائفة الاسماعيلية ودورها فى حركة القرامطة وذلك لما بين الاسماعيلية والقرامطة من التداخل والتشابه

بل والاتفاق فى غالب الاراء والمنطلقات وقد قسمت هذا الفصل الى ثلاثة اقسام :

الاول : تعريف الاسماعيلية ونشأتها .

الثانى : ائمة الاسماعيلية حيث تحدثت عن الخلاف بينهم وبين الشيعة الامامية وما ترتب على ذلك من انشقاق واختلاف وبينت روايات - اهل السنة عن اسماعيل بن جعفر ومدى انحرافاته الفكرية والاخلاقية التى تمنع من امامته ثم تحدثت بعد ذلك عن انتقال الامامة الى ابنه محمد بن اسماعيل الذى يعتبر اماما للقرامطة والاسماعيلية على حد سواء واستعرضت الاراء حول نسله وعقبه ورجحت انه توفى ولم يعقب وبينت ان اسرة ميمون القداح استطاعت النفوذ الى الامامة فى هذه الفترة التى جاء بعدها مايسمى بدور الاستتار .

وفى القسم الثالث الذى اعتبره ركيزة اساسية فى اى بحث عن القرامطة تحدثت عن الصلة التى تربط بين الحركتين الكبيرتين الاسماعلية والقرامطة وهذا الموضوع من ابرز العقبات التى واجهتنى فى البحث حيث ان تحديد خط بيانى بين حركتين طالما اختلف المؤرخون فى بيان العلاقة بينهما يعتبر من ادق الامور واصعبها ولذا فقد اطنبت فى هذا القسم وعرضت الاراء فيه باسلوبين اجمالى وتفصيلى .

اما الباب الثانى : فكان عن تاريخ القرامطة وقد قسمته الى خمسة فصول :

الاول منها يتعلق بتعريف القرامطة ومدلول هذه العبارة وبيان الاسباب فى تسميتهم بهذا اللفظ . كما يتعلق ببداية دعوة القرامطة وظهورهم وبينت ان هناك فرقا بين بدء الدعوة وظهورها حيث انها ابتدأت سنة اربع وستين ومائتين . اما ظهور القرامطة واعلان ثورتهم علنا فكان سنة ثمان وسبعين ومائتين .

الفصل الثانى قرامطة العراق وزعماؤهم مهدت لهذا الفصل

بذكر بعض الاسباب التي ادت الى نجاح دعوة القرامطة في العراق حيث انها انطلقت من مدينة الكوفة وواسط وانتشرت بعد ذلك في اقطار متعددة مترامية الاطراف ثم ترجمت بعد ذلك لاشهر زعماء القرامطة في العراق وهما حمدان قرمط رئيس الحركة وزعيمها الاول ... وعبدان عقل القرامطة وصاحب التصانيف في المذهب، وحرصت على الرغم من قلة المادة العلمية عنهما ـ على ايضاح الجوانب الفكرية والاعتقادية في حياتهما .

وفي الفصل الثالث وهو بعنوان زعماء قرامطة الشام تحدثت فيه عن ميزات هذه الحركة وخصائصها التي تختلف بها عن حركات القرامطة الاخرى وحصرت زعماء هذه الحركة بثلاثة اشخاص وجميعهم من اسرة واحدة وهم :

(١) يحيى بن زكرويه

(٢) الحسين بن زكرويه

(٣) والدهم زكرويه بن مهرويه

وواجهت في الحديث عن هؤلاء صعوبة شديدة لتخفيهم وتسترهم تحت عدة اسماء وتمويههم على اتباعهم بكثرة الادعاءات حتى ان الاول منهم اختلف في اسمه على خمسة اقوال ،وقد تمكنت ـ ولله الحمد ـ من حصر هذه الاسماء والالقاب المتعددة لكل شخص على حدة مما اعانني كثيرا للوصول الى صورة واضحة لكل واحد منهم .

وعند الحديث عن الحسين بن زكرويه تعرضت لاحداثه مع امام الاسماعيلية (عبيدالله المهدي) وحيث ان هذه الاحداث في ظاهرها تمثل خروجا على امامهم ومخالفة لمسار القرامطة الحقيقي فصلت القول في ذلك مستعرضا لتفسيرات الباحثين ومرجحا ما اتضح لي من خلال هذه الاحداث انه الراجح من هذه التفسيرات ثم اتبعت ذلك بالحديث عن والدهم زكرويه بن مهرويه مبينا مدى اصالته في

الدعوة ثم استتاره واخيرا خروجه من مخبئه وماعمل بعد ذلك من احداث مؤلمة مع حجاج بيت الله الحرام .

واخيرا ختمت هذا الفصل بذكر العوامل والاسباب التى ادت الى عدم قيام دولة لهؤلاء فى الشمال .

وفى الفصل الرابع وعنوانه قرامطة البحرين وزعماؤهم فصلت القول عنهم باعتبار انهم تمكنوا من اقامة دولة مستقلة امتدت زهاء قرنين وقد بدأت الحديث عن مؤسس دولتهم الحسن بن بهرام الجنابى والمكنى بابى سعيد واستعرضت لاسلوبه فى الدعوة وبناءه للدولة الفتية .

اما ابنه ابو طاهر الجنابى فتعرضت له بالتفصيل اكثر من اى زعيم آخر من زعماء القرامطة وذلك لشهرته وشدة نكايته بالمسلمين وحجاج بيت الله الحرام واخيرا اجرامه الشنيع بمهاجمة مكة واخذه الحجر الاسود وقتل جميع الحجاج وقد افردت عنوانا خاصا لهذا الحدث المريع بينت فيه الدوافع لهذا العمل الاجرامى وتفصيل ماحصل من ابى طاهر وزمرته فى بيت الله الحرام . مع ايضاح موقف الدولة العبيدية من هذا الاجرام . ثم انتقلت بعد ذلك الى زعيم آخر لا يقل شهرة عن ابى طاهر وهو الحسن بن احمد والملقب بالاعصم ومن ابرز الاحداث فى فترة زعامته خلافه مع امامه العبيدى وخلعه طاعته واخيرا الحرب الدموية التى فجرها مع العبيديين وغزاهم حتى عقر دارهم وقد رأيت ان افصل القول فى ذلك باعتباره خلافا بين فرعين متفقين عقيدة واهدافا وبينت الاسباب التى دعت الى ذلك مع التأكيد على تمسك الحسن الاعصم بعقيدته الاسماعيلية القرمطية . وفى آخر الفصل اوضحت ان نهاية القرامطة فى البحرين مرت باطوار متعددة آخرها القضاء عليهم واستئصالهم نهائيا .

اما الفصل الخامس فكان عن الحركة القرمطية باليمن ـ مهدت الحديث عنها بالجهود الاسماعيلية لنشر الدعوة هناك وذلك بارسال

الداعي ابن حوشب وانتقلت بعد ذلك الى الزعيم الوحيد لقرامطة اليمن وهو علي بن الفضل وذكرت قصة اعتناقه للدعوة ومن ثم سفره الى اليمن ونشره للاراء القرمطية حتى تمكن من اقامة دولة لهم . وافردت عنوانا خاصا عن الحاد علي بن الفضل القرمطي ودعاواه المتعددة من دعوى الالوهية ودعوى النبوة وما تميز به مذهبه من نشر الاباحة وابطال التكاليف الشرعية . وختمت هذا الفصل بنهاية ابن الفضل ونهاية الحركة من بعده .

وبنهاية هذا الفصل انتقلت الى الباب الرئيسي في هذا البحث وهو الباب الثالث وعنوانه عقائد القرامطة .

وهو مكون من تمهيد وخمسة فصول :

تعرضت في التمهيد الى بيان وحدة المبادئ والمعتقدات للاسماعيلية والقرامطة واكدت على ما مضى من ان القرامطة حتى في فترة خلافهم مع الاسماعيلية لم يبتدعوا عقيدة جديدة تختلف مع تعاليمهم الاولى التي تلقوها من الاسماعيلية .

واتبعت بعد ذلك بذكر حقائق متعددة وجميعها ترسم الصورة العامة لعقائد القرامطة وتبين مدى الصعوبة في الوصول الى صورة واضحة ودقيقة لافكار القرامطة ومنطلقاتهم .

وفي الفصل الاول وهو عن اصول القرامطة التي انطلقوا منها حصرت هذه الاصول بثلاثة :

(١) الامامة .

(٢) الظاهر والباطن .

(٣) الاعداد والحروف .

ان هذا الحصر نتيجة قراءة داثبة واطلاع مستفيض حيث قلبت جل مصادرهم التي بين يدي وامعنت النظر فيها مع ما تمتاز به من غموض في الافكار وخروج عن المألوف في الاداء والالفاظ .

وعن الاصل الاول وهو الامامة نقلت رأيهم فيها ببيان اهميتها وعقيدتهم فى الائمة مستندا فى ذلك كله الى عباراتهم التى نطقوا بها وسطروها من خلال كتبهم ومؤلفاتهم ثم اتبعت بعد ذلك برأى اهل السنة متتبعا احكامهم والفاظهم حتى خرجت باحكام واقعية مبنية على حكم الطرفين معا اتبعتها بالمناقشةوالرد والتفنيد وكان هذا منهجى فى جميع فصول هذا الباب وما هو جدير بالذكر انه من خلال العرض والموازنة بين الفكرة كما يراها اصحابها ومايرونه اهل السنة اتضح لى ان اهل السنة اصدروا عليهم احكاما واقعية بعبارات مهذبة مع العلم ان الغلو وصل عند القرامطة فى بعض المعتقدات حدا لا يستحقون معه اى مهادنة او تساهل او احترام .

وعن الاصل الثانى وهو الظاهر والباطن بينت انه منطلق اساسى لمذهبهم عبروا من خلاله الى النصوص الشرعية تأويلاوتحريفا واتبعت بعد ذلك بذكر نماذج من تأويلاتهم الباطنية ثم مناقشة مزاعمهم والرد عليها .

وعن الاصل الثالث وهو فلسفتهم عن الاعداد والحروف اوضحت انها فلسفة جافة وعقيمة على الرغم ان الكثير من معتقداتهم مبنى عليها .

وفى الفصل الثانى : انتقلت الى معتقد القرامطة من الله سبحانه وتعالى . وقد توقفت كثيرا فى هذا الفصل بسبب الفاظهم المعقدة وعباراتهم الغريبة التى هى جزء لا يتجزأ من مخلفات الفلسفة الاغريقية اليونانية . وحاولت جاهدا عرض هذه الأفكار بأسلوب اقرب الى متناول القارىء والمطلع .

وحصرت مزاعمهم مقتصرا على الجوانب الاساسية بسبب ارجاع اكثر المعتقدات اليها ثم تتبعتها من خلال الادلة من القرآن والسنة مبينا بطلانها ومخالفتها للفطرة البشرية .

اما الفصل الثالث فكان فى معتقدهم عن النبوة والانبياء والرسل عرضت فيه مزاعمهم من اكتساب النبوة وختمها وتفضيلهم الاولياء والائمة على الانبياء وتأويلهم لمعجزات الانبياء والرسل تأويلا باطنيا للتوصل الى انكارها . وبينت ضلال هذه المعتقدات وبطلانها وما تؤول اليه من تحقير وتصغير للانبياء والرسل .

وفى الفصل الرابع : اوضحت معتقد القرامطة فى القيامة والمعاد وبينت انه يقوم على اساسين :

الاول : القول بالظاهر والباطن حيث اعتبروا جميع النصوص الواردة فى هذا المجال لها باطن غير المعروف لدى المسلمين .

الثانى : اعتبارهم القيامة ظهور القائم السابع من ائمتهم حيث عند ظهوره تخرب الافلاك وتقوم القيامة ويبدأ هو بالحساب والجزاء .

وقد تتبعت هذه الاوهام والخيالات بعرضها باسلوب يشعر بتفاهتها وعدم وصولها الى مستوى المناقشة والرد . واوضحت معتقد القيامة والبعث والمعاد عند المسلمين كما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واطلت فى ذكر الادلة نظرا لما يحتله هذا المعتقد من اهمية قصوى فى الشريعة الاسلامية الغراء .

اما الفصل الخامس : فقد خصصته لمعتقد القرامطة فى التكاليف الشرعية بدأت فيه بمقدمة موجزة لبيان اهمية التكاليف وانها جزء لا يتجزأ من تصور المسلم وعقيدته وركزت فى هذا الفصل على الاركان الاربعة وهى الصلاة والزكاة والصوم والحج . اما الركن الاول وهو الشهادتين فسبق الحديث عنهما فى الفصلين الثانى والثالث .

وختمت هذا الفصل ببيان احكام اهل السنة والجماعة على القرامطة من خلال معتقداتهم المتعددة فى هذا الباب .

وفى الباب الرابع : وهو خاتمة الرسالة بينت فيه اساليب القرامطة فى نشر دعوتهم وكان ذلك تحت عنوان (نظم القرامطة ومخططاتهم) .

وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول :

الفصل الاول : منها اوضحت فيه نظم القرامطة الحربية والاقتصادية والاجتماعية وبينت من خلال ذلك الاجواء التي تقبلت هذه النظم مع مخالفتها للفطرة والعقل والذوق السليم .

وحيث ان طبيعة الحركة اخفاء كثير من اسرارها حتى على بعض اتباعها فقد خصصت :

الفصل الثاني للحديث عن مراحل الدعوة وسلم الارتقاء في تعاليمها وتحدثت عن كل مرحلة مع بيان الاسلوب الذى يستخدمونه للمدعو فيها :

اما الفصل الثالث : فكان عن مراكز رجال الدعوة ومراتبهم وميزة كل مرتبة من هذه المراتب المتعددة واثر ذلك على نشاطهم وتحركاتهم .

واخيرا ختمت الرسالة بعدة ملاحق تتضمن بعض الحقائق الاساسية والاسس العامة لحركة القرامطة .

هذا واحب الاشارة الى انه كان في نيتي حصر المراجع الاساسية التي اعتمدت عليها مع دراسة وتمحيص وموازنة لها ولكن المدة الزمنية وضخامة البحث اوقفاني عند هذه النهاية لهذا البحث الذى ارجو من الله العلى القدير ان اكون قد وفيته بعض حقه وقدمت للباحثين والدارسين في هذا المجال خدمة متواضعة لكشف هذه الحركات على حقيقتها وايضاح زيفها . وانني مع ذلك اقول كما قال بعض السلف الصالح " فاما سائر ما تكلمنا عليه فانا احقاء بالا نزكيه ولا نؤكد الثقة به وكل من عثر منه على حرف او معنى يجب تغييره فنحن نناشده الله في اصلاحه واداء حق النصيحة فيه فان الانسان ضعيف لا يسلم من الخطأ الا ان يعصمه الله بتوفيقه ونحن نسأل الله ذلك ونرغب اليه في دركه انه جواد وهوب " .

وختاما اشكر الله عز وجل واحمده اولا وآخرا وظاهرا وباطنا على نعمه وآلائه التى لا تعد ولا تحصى .

ثم اشكر استاذى المشرف على هذه الرسالة فضيلة الشيخ محمد الغزالى الذى منحنى الكثير من توجيهه ووقته سائلا الله عز وجل ان يجزيه عنى خير الجزاء واشكر جميع الاخوة والاساتذة الذين قدموا لى مساعدة او عونا فى الحصول على المراجع والمصادر . واخص من هؤلاء الدكتور سهيل زكار مدرس التاريخ الاسلامى بجامعة دمشق حيث قدم لى - مشكورا - بعض المراجع والمصادر ورحب بى اكرم ترحيب فى مكتبته الخاصة . وكذلك الدكتور محمد الاحمد مدرس التاريخ الاسلامى بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وهو بدوره قدم لى بعض التوجيهات والاراء .

كما اخص بالشكر ايضا الاخ الفاضل مسعود على مسعود الامين السابق لمكتبة مركز البحث العلمى حيث ترجم لى عدة مقالات لبعض المستشرقين الى اللغة العربية فله منى جزيل الشكر والتقدير .

ولا يفوتنى ان اشكر عمادة كلية الشريعة والقائمين عليها سائلا الله عز وجل ان يجزيهم خير الجزاء ويسدد خطاهم .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم .

الطالب/ سليمان عبدالله السلومى

الجمعة ٢٠ رجب ١٤٠٠هـ

الباب الاول

الجذور الاساسية لحركة القرامطة

الفصل الاول : التشيع ومظاهره فى الفترات الاولى .

(أ) تعريف التشيع وظهوره .

(ب) فرق الشيعة .

(جـ) الشيعة ومحبة آل البيت .

(د) دور الشيعة الاثنى عشرية فى نشر آراء الباطنية والقرامطة .

الفصل الثانى : المذاهب الغالية وحركات المعارضة .

(١) المذاهب الغالية التى تعتبر من جذور الحركة القرمطية .

(أ) المزدكية .

(ب) الخطابية .

(٢) حركات المعارضة التى مهدت لظهور الحركة القرمطية .

(أ) الخرمية .

(ب) حركة الزنج .

الفصل الثالث : الباطنية وزعماؤها .

(١) تعريف الباطنية وبدايتها .

(٢) فرق الباطنية .

(٣) عقائد الباطنية اجمالا .

(٤) اشهر زعماء الباطنية .

الفصل الرابع: طائفة الاسماعيلية ودورها فى حركة القرامطة .

(١) تعريف الاسماعيلية ونشأتها .

(٢)

(٢) ائمة الاسماعيلية .

(٣) صلة الاسماعيلية بالحركة القرمطية .

الفصل الاول

التشيع ومظاهره فى الفترات الاولى

(أ) تعريف التشيع وظهوره .

التشيع لفظ يتصل بكلمة : شيعة وشيعة الرجل - بالكسر - اتباعه وانصاره والفرقة على حده ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا واهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا وجمعها اشياع وشيع . وتشيع : اى ادعى دعوى الشيعة .[1]

والتشيع فى اصل اللغة هو الاتباع على وجه التدين والولاء للمتبوع على الاخلاص ويقول الحميرى انما سميت الشيعة شيعة لمشايعتهم على بن ابى طالب ولا ولاده عليهم السلام .

والمشايعة : الموالاة والمناصرة . والشيعة : الاولياء والانصار والاصحاب والاحزاب ، ومنه قوله تعالى " ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاولين[2] وقوله تعالى " وان من شيعته لابراهيم"[3] .

والمشايعة : المخالطة والمشاركة فى الامر وغيره[4] .

فالتشيع اذن يتضمن فى معناه الاتباع والنصرة من جماعة لرجل عموما .

ومن اقدم من يعرف لنا الشيعة من كتاب الفرق والمقالات هو ابو الحسن الاشعرى فيقول :

وانما قيل لهم الشيعة لانهم شايعوا عليا رضوان الله عليه وقدموه على سائر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[5] .

---

(١) القاموس المحيط للفيروزى بادى (٣ : ٤٧ - ٤٨) .
(٢) سورة الحجر : ١٠ .
(٣) سورة الصافات : ٨٣ .
(٤) انظر الحور العين للحميرى (ص ١٧٨ - ١٧٩) .
(٥) مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ٦٥) .

وهذا التعريف غير جامع ولا مانع فابن تيمية رحمه الله يبين ان شيعة علي في القرن الاول كانوا متفقين على تقديم ابي بكر وعمر ونقل عن شيخ الكوفة ابي اسحاق السبيعي قوله خرجت من الكوفة وليس احد يشك في فضل ابي بكر وعمر وتقديمهما . وقدمت الان وهم يقولون ويقولون ولا والله ما ادري مايقولون ونقل احمد بن حنبل بسنده الى مسروق - وهو من اجل تابعي الكوفة - قوله حب ابي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة.[1]

فاعتبار تقديم علي بن ابي طالب على سائر الصحابة صفة مميزة للشيعة غير مطرد حيث نقلنا نصوصا تدل على أن علماء الكوفة - وهي موطن الشيعة - يرون تقديم ابي بكر وعمر ومما يؤكد على ذلك ماذكره الحميري من ان الشيعة الذين شايعوا عليا عليه السلام على ثلاث فرق :

(١) فرقة يرون امامة ابي بكر وعمر وعثمان الى ان غير السيرة واحدث الاحداث وهؤلاء هم الجمهور الاعظم الكثير .

(٢) وفرقة اقل من اولئك عددا يرون الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ثم عمر ثم عليا ولا يرون لعثمان امامة .

(٣) وفرقة يسيرة جدا يرون عليا اولى بالامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرون امامة ابي بكر وعمر كانت من الناس على وجه الرأي والمشورة ويقولون ان امامة علي كانت اصوب واصلح .[2]

وهذا هو الاصل في التشيع الى ان خرج عبد الله بن سبأ[3] الذي دعا الى ولاية علي ووصايته والى رجعة النبي وفي ظل هذه الفتن نشأ

---

(١) المنتقى لابن تيمية اختصار الذهبي (ص ٣٦٠ - ٣٦١) .

(٢) الحور العين للحميري (ص ١٨٠ - ١٨١) .

(٣) يهودي اظهر الاسلام واصله من اليمن رحل الى الحجاز والبصرة والكوفة واثار الفتنة في الشام فطرد منها ورحل الى مصر وجهر ببدعته هناك وكان قتل عثمان رضي الله عنه من جراء ذلك .
انظر الاعلام للزركلي (٤ : ٢٢٠) .

المذهب الشيعي [١] .

اما ابن حزم فانه يعرف الشيعة تعريفا اكثر تحديدا ودقة من ابي الحسن فيقول : ومن وافق الشيعة في ان عليا رضى الله عنه افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحقهم بالامامة وولده من بعده فهو شيعي وان خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فليس شيعيا [٢] .

لكن الاكثر فهما تحديدا وجمعا ومنعا هوالامام الشهرستاني حيث يقول ان الشيعة :

هم الذين شايعوا عليا رضى الله عنه على الخصوص وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصية اما جليا واما خفيا واعتقدوا ان الامامة لا تخرج من اولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره او بتقية من عنده [٣] .

ومما اختلف فيه الباحثون سواء كانوا قدماء او محدثين بداية التشيع وتحديد الوقت الذى ظهرت فيه فكرة الشيعة .

فالشيعة يحرصون اشد الحرص على اعتبار ان اول من وضع بذرة التشيع هو الرسول صلى الله عليه وسلم يقول العاملي نقلا عن ابي حاتم الرازي : ان اول اسم ظهر في الاسلام على عهد رسول الله هو الشيعة وكان هذا لقب اربعة من الصحابة وهم ابو ذر وسلمان والمقداد وعمار وان لفظة شيعة كانت تقال على من شايع عليا قبل موت النبي وبعده [٤] .

كما اكد ذلك كل من النوبختي والقمي من علماء الشيعة في القرن الثالث فقالا ان اول الفرق الشيعة وهم فرقة على بن ابي طالب المسمون بشيعة على في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعده معروفون بانقطاعهم

---

(١) المذاهب الاسلامية لابي زهرة (ص ٤٦) .
(٢) الفصل لابن حزم (٢ : ١١٢) .
(٣) الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١٤٦) .
(٤) الشيعة في التاريخ للعاملي (ص ٢٥ - ٢٦) .

اليه والقول بامامته[1] .

ومع التتبع لكتب الشيعة نجد لديهم الحرص الشديد على رد اصل التشيع الى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، والذى دفعهم الى ذلك امران :

الاول : اضفاء الصبغة الاسلامية على مذهبهم وانه من صلب تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وبالتالى يصبح التشيع بذرة اسلامية خالصة .

الثانى : ابعاد الفكرة القائلة ان اصل التشيع يرجع الى اصول اجنبية لا تمت الى الاسلام بصلة ولذا يقول المظفرى : واما ماذهب اليه بعض الكتاب من ان اصل مذهب التشيع من بدعة ابن سبأ المعروف بابن السوداء يعتبر وهما وقلة معرفة بحقيقة مذهبهم[2] .

ورأى الشيعة هذا ينطوى على كذب وبهتان ليس على المسلمين بل على الرسول صلى الله عليه وسلم فالله عز وجل ارسل رسوله ليجمع القلوب ويؤلفها على الايمان لا ليفرقها شيعا واحزابا ، قال تعالى " هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين . والف بين قلوبهم[3] . فعهد الرسول صلى الله عليه وسلم خير العهود واصفاها وابعدها عن التفرق والتشتت ولم يكن ثمة خلاف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاطلاق . قال تعالى " وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا "[4] .

فلا خلاف على عهد رسول الله - كما يزعم الشيعة - ولا جماعات

---

(١) الفرق للنوبختى (ص ٣٦) ، المقالات والفرق للقمى (ص ١٥) .
(٢) تاريخ الشيعة للمظفرى .
(٣) سورة الانفال : ٦١ - ٦٢ .
(٤) سورة الاحزاب : ٣٦ .

ولا احزاب وقد وقع فى هذا الخطأ الاكبر احمد امين حيث وافق الشيعة على اعتبار ان التشيع ظهر فى حياة النبى نفسه وان نواة الشيعة من الصحابة سلمان وابو ذر والمقداد (١) .

ويختلف ابن النديم مع الشيعة ـ على الرغم من تشيعه ـ فيعتبر التشيع لقبا اطلقه على بنفسه على اصحابه عند خروجه بجيشه لحرب طلحة والزبير وتسمى اتباعه حينئذ بالشيعة وكان يقول منهم هؤلاء شيعتى (٢) .

وهناك رأى ثالث وخلاصته ان دلالة الاصطلاح " شيعة " انما ظهرت سنة ٦١هـ أى بعد مقتل الحسين وخرج مايسمى بحركة التوابين (٣) .
وكان قائد الحركة يلقب بشيخ الشيعة وممن قال بهذا الرأى البلاذرى (٤)

---

(١) انظر ضحى الاسلام لاحمد امين (٣ : ٢٠٩) .
(٢) الفهرست لابن النديم (ص ٢٢٣) .
(٣) يحدثنا المسعودى ـ وهو شيعى ـ عن هذه الحركة فيقول انه فى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه ورأوا انهم قد اخطأوا خطأ كبيرا بدعاء الحسين اياهم ولم يجيبوه ولمقتله الى جانبهم فلم ينصروه ورأوا انه لا يغسل عنهم ذلك الجرم الا قتل من قتله او القتل فيه ففزعوا الى خمسة نفر منهم وتحركوا الى القتال حتى وصلوا موضعا يسمى بعين الوردة ودارت بينهم وبين عبيد الله بن زياد معركة حامية قتل فيها معظمهم ولحق باقيهم بالكوفة والبصرة ويلقبون بالتوابين لانهم قاموا بهذه الحركة التعبير عن توبتهم حيث تخلفوا عن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما ولم ينضموا الى من كان معه فى الدفاع عن انفسهم . كما يلقبون بالترابيين نسبة الى لقب على بن ابى طالب رضى الله عنه حيث لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بابى تراب .
مروج الذهب للمسعودى (٣ : ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢) .
(٤) انساب الاشراف للبلاذرى (٥ : ٢٠٦) .

ومن المحدثين النشار حيث قال ان الشيعة تكونت حقا في هذه الفترة واصبحت فرقة دينية تتدبر الامر [١]. وذهب الى هذا الرأى الشيبى فهو وان كان يقول ان التشيع وجد بعد قتل عثمان الا انه يعتبر استقلال ودلالة أصطلاح " شيعة " انما بدأ وظهر بحركة التوابين حيث استقل هذا اللفظ لوضوح مدلوله ورسوخه في الميدان السياسي [٢].

أن الرأي الثاني وهو الذي انفرد به ابن النديم ينظر الى التشيع من وجهة نظر محدودة ، وذلك باعتبار ان فرقة الشيعة ليس لديها مبادئ فكرية تختلف بها مع المسلمين وانما الخلاف فقط حول الاتباع والنصرة لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه وهذا بحد ذاته لا يميز الشيعة من غيرهم حيث من المعروف ان عليا قاتل طلحة والزبير وجيشه يضم كل من بايعه حتى الخوارج فانهم كانوا ضمن المقاتلين ولم يخرجوا الا بعد ذلك فكيف يقال عن هؤلاء بما فيهم الخوارج انهم شيعة .

كما ان اطلاق لفظ شيعة لا يفهم منه دائما فرقة الشيعة الذين رسموا لهم معتقدا يختلف من معتقد اهل السنة والجماعة في اصوله حيث يقال شيعة عثمان وشيعة معاوية اى انصارهما وما قال معاوية لبسر بن ارطأه حين وجهه الى اليمن : امض حتى تأتى صنعاء فان لنا بها شيعة [٣].

اما الرأي الثالث فمنقوض حيث انه يهمل احداثا كبرى كان لها الاثر في ظهور نزعة التشيع وذلك كقتل عثمان والفتن التى برزت وظهرت في فترة الامام على بن ابى طالب وماتلى ذلك من قتله وقتل ابنائه من بعده بل ان المؤرخين وكتاب المقالات يذكرون ان اكثر معتقدات

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام (٢ : ٢١) .
(٢) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبى (ص ١٨) .
(٣) تاريخ اليعقوبى (٤ : ١٧٣) .

الشيعة برزت بموت علي بن ابي طالب ولا سيما السبئية من الشيعة[(١)] .

وهناك رأى رابع له وزنه وأهميته ويتمثل هذا الرأى بتحديد بداية التشيع فى اواخر عهد عثمان رضى الله عنه على يد عبدالله بن سبأ اليهودى . وقال بهذا الرأى جمع من علماء السنة والجماعة قدماء ومحدثين .

فابو الحسين الملطى حين تحدث عن الرافضة قال : ان اهل الضلال الرافضة ثمانى عشرة فرقة يلقبون بالامامية واولهم السبأية حيث نشأ التشيع على يد عبدالله بن سبأ[(٢)] .

ويقول الشهرستانى : ان عبدالله بن سبأ هو أول من أظهر القول بالنص بامامة على رضى الله عنه ومنه انشعبت اصناف الغلاة[(٣)] .

ويحدد ابن تيمية بداية التشيع بقوله : لما وقعت الفتنة وقتل عثمان رضى الله عنه حدثت بدع التشيع كالغلاة المدعين الالهية فى على رضى الله عنه والمدعين النص عليه السابين لابى بكر وعمر رضى الله عنهما[(٤)] .

اما اصل مذهب الشيعة فيقول عنه : انه من احداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم على رضى الله عنه فى حياته فحرق منهم طائفة بالنار وطلب قتل بعضهم ففروا[(٥)] .

ويرى ابن حزم هذا الرأى ايضا ويحدد بداية التشيع تحديدا دقيقا بقوله : ان الروافض فرق حدث اولها بعد موت النبى صلى الله عليه

---

(١) مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ٨٦) ، الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٢٣ - ٢٢٤) ، الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٧٤) .
(٢) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع للملطى (ص ١٨) .
(٣) الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٧٤) .
(٤) منهاج السنة لابن تيمية (١ : ٢١٨ - ٢١٩) .
(٥) المرجع السابق (ص ٦ - ٧) .

وسلم بخمس وعشرين سنة - اى السنة التى قتل فيها عثمان رضى الله عنه.[(١)]

كما اوضح ان اصل التشيع من وضع عبدالله بن سبأ اليهودى وذلك بقوله : وكان مبدأ فرق الرفض على يد طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى فى الكذب والكفر وهم القائلون بالهية على بن ابى طالب رضى الله عنه والهية جماعة معه.[(٢)]

كما قال بهذا الرأى جمع من المتأخرين وعلى رأس هؤلاء ابوزهرة[(٣)] ومحيى الدين عبدالحميد[(٤)] وعبدالله القصيمى[(٥)].

---

(١) توفى الرسول صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة من الهجرة وعند اضافة هذه السنوات العشر الى خمس وعشرين سنة تجدها توافق السنة التى قتل فيها عثمان وهى سنة خمس وثلاثين من الهجرة .

(٢) الفصل لابن حزم (٢ : ٧٨) .

(٣) يقول فى كتابه المذاهب الاسلامية (ص ٤٦) " وكان الطاغوت الاكبر عبدالله بن سبأ الذى دعا الى ولاية على بن ابى طالب ووصايته والى رجعة النبى وانه فى ظل هذه الفتن نشأ المذهب الشيعى " .

(٤) بين رأيه ذلك فى شرحه وتعليقه على كتاب الاشعرى مقالات الاسلاميين (ص ٥٩) يقول : ومن هذه الاراء الفاسدة التى نفث سمومها عبدالله بن سبأ تفرعت آراء كثير من الفرق ومن تعاليمه تشعبت اصناف الغلاة من الشيعة والرافضة .

(٥) يقول فى كتابه الصراع بين الاسلام والوثنية : ان اول امر هذه الطائفة - اى الشيعة - رجل يهودى يقال له عبدالله بن سبأ تظاهر بالاسلام واضمر خلافه وادعى ان عليا مظلوم من قبل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ يدعو الى هذا المبدأ اولا ثم غلا فيه وادعى الوهيته .. ثم يقول ان هذه الحادثة تعتبر اساسا من الاسس التى قام عليها المذهب الشيعى بل انها الحجر الاول فى بنائه وتفرعت بعد ذلك حماقات الشيعة وعقائدهم الباطلة .
انظر (ص ٤٠ - ٤١) .

واحسان ظهير[١] ومحمد بن الحسين الذهبي[٢] .

ان نظرة فاحصة فى هذه الاراء تبرز لنا الرأى الراجح وهو الرأى الرابع والمتضمن ارجاع التشيع الى الفترة الاخيرة من خلافة عثمان رضى الله عنه على يد اليهودى عبدالله بن سبأ .

وحينما ارجح هذا الرأى استند الى ادلة متعددة اجملها فى اربع فقرات :

(١) ان هذا الرأى ينظر الى التشيع نظرة شاملة حيث يشمل التشيع كعقيدة كما يشمل التشيع كنظام من حيث منطلق الامامة .

(٢) ان ابن سبأ يعتبر اول من هاجم الخلفاء الثلاثة ابو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم واعتبرهم مغتصبين ويؤكد النوبختى هذا فيقول ان ابن سبأ يعتبر اول من قال بالغلو واظهر الطعن على ابى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم[٣] .

(٣) ان عبدالله بن سبأ اول من ابتدع عقيدة الشيعة فى على رضى الله عنه من حيث تقديسه كشخصية من اقارب الرسول صلى

---

(١) وملخص ما ذكر فى كلام طويل : ان عبدالله بن سبأ اليهودى اراد مزاحمة الدين الاسلامى بالتظاهر والنفاق فخطط هو وجمع ممن وافقه على اهدافه فى مصر كان الخليفة فيه ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه فاثاروا الفتن وفرقوا المسلمين وجعلوا عليا ترسا لهم يتولونه ويتشيعون به ويتظاهرون بحبه والولاء له ومن هناك ويومئذ تكونت طائفة سمت نفسها الشيعة لعلى . انظر الشيعة والسنة (ص ١٩ - ٢٠) .

(٢) يقول فى كتابه التفسير والمفسرون : ان مبدأ ظهور المذهب الشيعى كان فى آخر عهد عثمان رضى الله عنه ثم نما واتسع على عهد على رضى الله عنه (٢ : ٣) .

(٣) فرق الشيعة للنوبختى (ص ٤٠) .

الله عليه وسلم ومن حيث فكرة وصايته من النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته وكتب الشيعة انفسهم تؤكد ذلك فمما نقل المامقانى - وهو شيعى - فى كتابه تنقيح المقال مانصه :

وذكر اهل العلم ان عبدالله بن سبأ كان يهوديا فاسلم ووالى عليا وكان يقول - وهو على يهوديته - فى يوشع بن نون (وصى موسى) فقال فى اسلامه مثل ذلك فى على بن ابى طالب رضى الله عنه .(١)

ويقول الكشى - وهو شيعى - وكان ابن سبأ اول من اشهر القول بفرض امامة على بن ابى طالب رضى الله عنه .(٢)

ويؤكد النوبختى - وهو شيعى ايضا - ذلك بقوله : ان ابن سبأ اول من اشهر القول بفرض امامة على واظهر البراءة من اعدائه وكاشف مخالفيه .(٣)

(٤) انه قال برجعة على ونادى بأن عليا لم يمت ولم يقتل وانه رفع الى السماء وسيرجع حتى يملك الارض ويقود الامة . بل انهم لا يخصون الرجعة بعلى وحده ويقولون ان جميع الاموات سيرجعون الى الدنيا .(٤)

كما يقول القمى : انه لما بلغ عبدالله بن سبأ نعى على بن ابى طالب بالمدائن قال للذى نعاه : كذبت لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة واقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا انه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الارض ويسوق العرب بعصاه .(٥)

---

(١) المنتقى للذهبى (ص ٣٠٧) حاشية رقم ٢ من تعليق محب الدين الخطيب .

(٢) الشيعة والسنة لاحسان ظهير (ص ٦٠) .

(٣) فرق الشيعة للنوبختى (ص ٤٤) .

(٤) مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ٨٦) .

(٥) المقالات والفرق للقمى (ص ٢٠ - ٢١) .

وهذه الفقرات الاربع تشتمل على الاصول الاساسية لعقائـــــد الشيعة والتى اثبتنا انها من اول ماتفوه بهعبدالله بن سبأ واظهـــــره وذلك كما اكدته مصادر الشيعة وكتبهم الاساسية والحق ماشهدت بـــه الاعــــداء .

(ب) فرق الشيعة .

انشعبت من الشيعة فرق كثيرة سميت باسماء متفرقة والقاب شتى مثل : الرافضة والزيدية والكيسانية ... وغير ذلك من الالقاب وهم كلهم داخلون فى جملة هذا اللقب الواحد الذى يسمى الشيعة على تباينهم فى المذاهب وتفرقهم فى الاراء واشتهر كل فريق بما ينتحله من المذهب وينسب اليه (١).

والحقيقة انه حينما نستعرض فرق الشيعة فسنجد انهم فى غاية التفرق والتشتت فكل فرقة تلعن الاخرى وتكفرها وان ادق مايصور هذه الحال لدى الشيعة قول الله عز وجل " ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ (٢) " .

قال ابوعبيدة فرقا واحزابا وقال ابن كثير : اى فرقا كأهل الملل والنحل والاهواء والضلالات فان الله تعالى برأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هم فيه (٣) واخبر الله عز وجل من تعدد سبل الباطل وكثرتها وان الحق واحد وطريقه مستقيم لاعوج فيه . قال تعالى " وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (٤) " .

قال ابن كثير انما وحد سبيله لان الحق واحد ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها (٥) .

وقد تعددت آراء العلماء من حيث حصر فرق الشيعة ، فبعضهم حصرها فى ثلاث فرق وبعضهم فى اربع فرق وبعضهم فى خمس فرق

---

(١) الزينة للرازى (ص ٢٥٩) ضمن كتاب الغلو للسامرائى .
(٢) سورة الانعام : ١٥٩ .
(٣) تفسير ابن كثير (٢ : ١٩٦) .
(٤) سورة الانعام : ١٥٢ .
(٥) تفسير ابن كثير (٢ : ١٩١) .

وبعضهم اكثر من ذلك ، ونحن نستعرض هذه الاراء مع ايضاح مايترجح منها .

فالرأى الاول : ماذكره ابو الحسين الملطى حيث جمع فرق الشيعة كلها سواء وسماهم رافضة[١] ولقبهم بالامامية وقال انهم منقسمون الى ثمانى عشرة فرقة واعتبر القرامطة الفرقة الخامسة من فرق الامامية.[٢]

الرأى الثانى : اعتبار فرق الشيعة وارجاع أصولهم الى ثلاث فرق هى :

(أ) غلاة .

(ب) زيدية .

(جـ) رافضة امامية .

واتفق على هذا التقسيم كل من الاشعرى وصاحب الفرق الاسلامية الا انهما اختلفا فى تفريعات هذه الفرق . فالغلاة عند الاشعرى خمس عشرة فرقة بينما صاحب الفرق الإسلامية اعتبرها ثمانى عشرة فرقة .

واما الزيدية فعند صاحب الفرق الاسلامية ثلاثة اصناف جارودية وسليمانية وبترية ووافقه الاشعرى على هذه الاصناف الثلاثة وزاد عليها ثلاثة اصناف اخرى وهى : النعيمية واليعقوبية ولا يسمى الثالثة بل يقول عن هذه الفرقة انهم يتبرأون من ابى بكر وعمر ولا ينكرون رجعة الاموات قبل يوم القيامة . فالزيدية عند الاشعرى ست فرق اما عن الفرقة الثالثة وهى الامامية فقد اختلفا حول عدد اصنافها خلافا كبيرا فبينما الاشعرى يعتبرهم اربعا وعشرين فرقة نجد ان

---

(١) يقول الاشعرى انهم سموا بذلك لانهم رفضوا امامة ابى بكر وعمر . وقال غيره انما سموا روافض لرفضهم الدين وقيل لرفضهم زيد بن على بن الحسين حينما نهاهم ومنعهم من الطعن فى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما . انظر مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص٨٩).

(٢) انظر التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع للملطى (ص ١٨ - ٣٥) .

صاحب الفرق الاسلامية يعتبرهم فرقة واحدة ساقوا الامامة من على بن ابى طالب الى جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم ثم فى ائمتهم الاثنى عشر وآخرهم محمد بن الحسن والمسمى بالامام المنتظر .[١]

وبالنسبة لفرقة القرامطة اعتبرها الاشعرى الصنف الثامن عشر من اصناف الرافضة الامامية .[٢]

اما صاحب الفرق الاسلامية فقد اعتبر القرامطة الصنف الثامن عشر من اصناف الفرق الغالية[٣] ويرى ابن حزم رأى الاشعرى وصاحب الفرق الاسلامية من حيث تقسيم فرق الشيعة فيقول : ان اهل التشيع من هذه الفرقة ـ اى الشيعة ـ ثلاث طوائف : زيدية . وامامية . ثم الغالية .[٤]

ولكنه يقسم الغلاة الى قسمين : قسم اوجب النبوة بعد النبى صلى الله عليه وسلم لغيره . وهم فرق متعددة .

والقسم الثانى من فرق الغالية الذين يقولون بالالهية لغير الله عز وجل فاولهم اصحاب عبد الله بن سبأ اليهودى الذين الهوا عليا واعتبر ابن حزم القرامطة من هذا القسم حيث انهم قالوا بالهية محمد ابن اسماعيل بن جعفر ومن القرامطة من قال بالهية ابى سعيد الحسن ابن بهرام الجنابى وابنائه من بعده .[٥]

---

(١) انظر مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ٦٥ ـ ١٠٥) مايتعلق بالغلاة والامامية و(ص ١٣٦ ـ ١٤٥) مايتعلق بالزيدية واما مايتعلق بالنقل من صاحب الفرق الاسلامية ففى ورقة (٦٦ ـ ٦٨ ـ ٧٠ ـ ٧١) .

(٢) مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ١٠٠) .

(٣) الفرق الاسلامية لمجهول (ورقة ٦٨) .

(٤) الفصل لابن حزم (٤ : ١٧٩) .

(٥) الفصل لابن حزم (٤ : ١٨٣ ـ ١٨٦ ـ ١٨٧) .

الرأى الثالث :

ان فرق الرافضة افترقت الى اربعة اصناف وهذا هو رأى البغدادى وهذه الاصناف الاربعة هى :

(١) الزيدية وهم ثلاث فرق جارودية وسليمانية وبترية ويجمع هذه الفرق القول بامامة زيد بن على بن الحسين .

(٢) الامامية وعددهم خمس عشرة فرقة ويقول ان فرق الزيدية وفرق الامامية معدودون فى فرق الامة .

(٣) الكيسانية [(١)] وهم فرق كثيرة ولكنهم عند التحصيل يرجعون الى فرقتين :

احداهما : تزعم ان محمد بن الحنفية حى لم يمت وهم على انتظاره وانه المهدى المنتظر .

والثانية : مقرون بامامة محمد بن الحنفية ولكنهم يقولون بموته وان الامامة انتقلت الى غيره مع خلاف بينهم فى المنقول اليه .

ولا يذكر حكمه على الكيسانية كما حكم على الامامية والزيدية غير انه يجمع فرق الروافض ويضم الكيسانية اليهم فيقول فهذه عشرون فرقة من فرق الروافض منها ثلاث زيدية وفرقتان من الكيسانية وخمس عشرة فرقة من الامامية .

(٤) الغلاة وهم الذين قالوا بالهية الائمة واباحوا محرمات الشريعة واسقطوا الفرائض . ولا يحصر فرقهم وانما يذكر اصنافا لهذه الفرقة ويحكم عليها بانها ليست من فرق الاسلام وان كانوا منتسبين اليه [(٢)] .

---

(١) سموا كيسانية لان المختار الذى خرج وطلب بدم الحسين بن على ، ودعا الى محمد بن الحنفية كان يقال له كيسان . ويقال انه مولى لعلى بن ابى طالب .
انظر مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ٩١) .

(٢) انظر الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ١٥ - ١٦ - ١٧) .

الرأى الرابع :

ان الشيعة محصورون فى خمس فرق وهى :

(١) الكيسانية وهم منقسمون الى اربع فرق وهى : المختارية والهاشمية ، والبيانية ، والرزامية .

(٢) الزيدية وهم أصناف ثلاثة جارودية وسليمانية وبترية وصالحية .

(٣) الامامية وقسمهم الى سبع فرق وهى :

(أ) الباقرية والجعفرية الواقفة .

(ب) الناووسية .

(جـ) الافطحية .

(د) الشميطية .

(هـ) الاسماعيلية الواقفة .

(و) الموسوية والمفضلية .

(ز) الاثنا عشرية .

(٤) الغالية وهم الذين غلوا فى حق ائمتهم حتى اخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم باحكام الالهية وهم احد عشر صنفا وجميع هذه الاصناف مخالفة للاثنين والسبعين فرقة .

(٥) الاسماعيلية وهم الذين اثبتوا الامامة لاسماعيل بن جعفر ، واشهر القابهم الباطنية والقرامطة ، والمزدكية ، والتعليمية ، والملحدة .(١)

اننا حينما نستعرض هذه الاراء الاربعة نجد ان ارجحها ماذهب اليه الامام البغدادى والذى اعتبر فرق الشيعة اربعا فقط : زيدية ، وامامية ، وكيسانية ، وغلاة . وبيان ذلك من وجوه ثلاثة :

الاول : ان ماذهب اليه الشهرستانى من اعتبار الاسماعيلية فرقة قائمة وحدها يعتبر خطأ حيث ان الاسماعيلية كانت فرقة ضمن الامامية

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٤٧ - ١٩٢) .

ولم يختلفوا معهم الا بعد موت جعفر الصادق حيث انقسموا فرقتين كبيرتين تمثلان حتى الان اكبر الفرق الشيعية .

(أ) فالاسماعيلية ساقوا الامامة الى ابنه اسماعيل بن جعفر ثم الى محمد بن اسماعيل .

(ب) اما الامامية الاثنا عشرية فنقلوها الى موسى بن جعفر الصادق وبقيت مسلسلة فى ابنائه حتى الامام الثانى عشر محمد بن الحسن العسكرى .

فالاسماعيلية تعتبر فى الفترة الاولى ضمن فرقة الامامية الرافضة .

الوجه الثانى :

ان ماذهب اليه الاشعرى وابن حزم فى تحديد فرق الشيعة بثلاث زيدية ، وامامية ، وغلاة وان الكيسانية بفرقها المتعددة داخلة ضمن الرافضة الامامية . ان هذا الرأى فيه خلط واضطراب .

فمن المعروف ان آراء الكيسانية فى ابى بكر وعمر ليست كآراء الرافضة .

وآراء الكيسانية تختلف كثيرا عن الرافضة الامامية بالنسبة لمحمد بن الحنفية وعقبه من بعده حيث لا يرى الرافضة امامة له مع وجود الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما .

ويتضح اضطراب الاشعرى كثيرا حينما يذكر بعض فرق الكيسانية مرة مع فرق الغلاة ومرة مع فرق الرافضة الامامية (١) .

فلابد والحالة هذه من اعتبار الكيسانية فرقة قائمة بذاتها من فرق الشيعة المتعددة لان لها مبادئ تختلف بها مع الغلاة والرافضة الامامية وهذا مافعله البغدادى حيث اعتبرها فرقة رابعة من فرق الشيعة .

---

(١) مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ٦٨ ، ٩١ - ٩٢) .

شجرة تبين ائمة الشيعة الاسماعيلية والاثنا عشرية
في فترتي الاتفاق والاختلاف

علي بن ابي طالب رضي الله عنه (٤٠هـ)

الحسن (٥٠هـ)

الحسين (٦١هـ)

علي زين العابدين (٩٤هـ)

محمد الباقر (١١٤هـ)

جعفر الصادق (١٤٨هـ)

ائمة الاسماعيلية حتى ظهور عبيد الله المهدي

اسماعيل (١٥٨هـ)
محمد (١٩٧هـ)
احمد الوفي (٢١٢هـ)
محمد التقي (٢٢٥هـ)
عبد الله الرضي (٢٦١هـ)
عبيد الله المهدي (٣٢٢هـ)
الخلفاء العبيديين

الائمة المستورين: احمد الوفي، محمد التقي، عبد الله الرضي

ائمة الشيعة الاثنى عشرية

موسى الكاظم (١٨٣هـ)
علي الرضا (٢٠٢هـ)
محمد الجواد (٢٢٠هـ)
علي الهادي (٢٥٤هـ)
حسن العسكري (٢٦٠هـ)
محمد المهدي المنتظر
استتر حوالي سنة ٢٦٠هـ

المرجع في هذه الشجرة كتاب مقالات الاسلاميين للاشعري (ص ٩٠ -٩١) ، منهاج الكرامة للحلي (ص ٧٩) ، كتاب الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٤٠٨) .

الوجه الثالث :

ان الرأى الاول وهو اعتبار الشيعة فرقة واحدة فيه تسوية بين المتضادات وجمع بين المختلفات فالشيعة الغلاة ليسوا كالشيعة الزيدية والشيعة الامامية ليسوا كالشيعة الكيسانية فالاختلاف بين هذه الفرق واضح كل الوضوح سواء كان الاختلاف فى المعتقدات او فى سوق الامامة .

وقد وقع الملطى من جراء هذا الرأى فى اضطراب حيث ذكر ان فرقة من السبأية تقول بامامة محمد بن الحنفية ويذكر بعضا من معتقداتهم التى تتصل بالكيسانية[1] . وهذا لم يقله احد البتة .

كما يتضح الاضطراب اكثر عنده حينما ذكر الفرقة الثالثة عشرة من الامامية فقال عنهم انهم الاسماعيلية والزمهم باراء ومعتقدات عرفت للشيعة الاثنا عشرية المخالفين للشيعة الاسماعيلية[2] . والذى اوقعه فى هذا الاضطراب هو منهجه الذى عرض به فرق الشيعة حيث اعتبرها فرقة واحدة .

وعلى تعدد هذه الفرق وتشعبها فان هناك عقيدة مشتركة تجمع شتات الشيعة بينها الامام الشهرستانى فى عبارات موجزة ولكنها جامعة قال : ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الانبياء والائمة وجوبا عن الكبائر والصغائر . والقول بالتولى والتبرى قولا وفعلا . وعقدا الا فى حال التقية .

كما بين الشهرستانى ان اصول الشيعة بعضها يميل الى الاعتزال وذلك كمذهب الامامية وبعضها يميل الى التشبيه كالغلاة وبعضها يميل الى السنة كالزيدية[3] .

---

(١) التنبيه والرد على اهل الاهواء (ص ١٩) .
(٢) المرجع السابق (ص٣٢) .
(٣) الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٤٧) .

اما ابن تيمية فقد بين منهجهم فى تلقى دينهم وعقيدتهم فقال ان عمدة الرافضة فى الشرعيات على مانقل لهم عن بعض اهل البيت وذلك النقل منه ماهو صدق ومنه ماهو كذب عمدا او خطأ .

ولا يعتمدون على القرآن ولا على الحديث ولا على الاجماع الا لكون المعصوم منهم واما عمدتهم فى النظر والعقليات فقد اعتمد متأخروهم على كتب المعتزلة ووافقوهم فى مسائل الصفات والقدر بل ان متكلمى الشيعة ابتدعوا الغلو فى الاثبات والتجسيم والتبعيض والتمثيل . فاول من عرفعنه فى الاسلام انه قال : ان الله جسم هو هشام بن الحكم .[1]

بل نقل ابن تيمية عن الجاحظ انه قال فى كتابه الحجج فى النبوة : ليس على ظهرها رافضى الا وهو يزعم ان ربه مثله . وان البدوات تعرض له وانه لا يعلم الشيء قبل كونه الا بعلم يخلقه لنفسه .[2]

ويقول ايضا : ان مذهب الرافضة ولا سيما متأخروهم جمعوا اخس المذاهب مذهب الجهمية فى الصفات . ومذهب القدرية فى افعال العباد . ومذهب الرافضة فى الامامة والتفضيل .[3]

ومما اشتهر به الشيعة قاطبة ـ ماعدا فرق الزيدية ـ انهم عمدوا الى خيار اهل الارض من الاولين والاخرين بعد الانبياء والمرسلين ، والى خير امة اخرجت للناس فافتروا عليهم العظائم وجعلوا حسناتهم سيئات .

وبالمقابل جاءوا الى شر من انتسب الى الاسلام من اهل الاهواء ـ وهم الرافضة باصنافها ـ وزعموا ان هؤلاء هم صفوة الله من عباده وهم

---

(١) هشام بن الحكم البغدادى من الشيعة الامامية الذين غالوا فى التجسيم والتشبيه توفى بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة وقيل بل فى خلافة المأمون . منهاج السنة (١ : ٤٥) تعليق رشاد سالم .

(٢) منهاج السنة (١ : ٤٤-٤٦-٤٧) .

(٣) المنتقى للذهبى (ص ٥٠٣) .

الطائفة المحقة التى لا تجتمع على ضلالة وما سواهم فهم كفرة ضالون[(١)].

وصدق والله ابن تيمية فان كتبهم مليئة بسب الصحابة والوقيعة فيهم ولا سيما الخلفاء الثلاثة ابو بكر وعمر وعثمان .

ونكتفى بنقل نص واحد يؤكد منطلقهم هذا فمما يرويه الكلينى فى الكافى : ان ابا الحسين موسى عليه السلام كتب الى على بن سويد وهو فى السجن قائلا له : ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك ولا تحبن دينهم فانهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله وخانوا اماناتهم وهل تدرى ما خانوا اماناتهم ائتمنوا على كتاب الله فحرفوه وبدلوه[(٢)].

وبالجملة فان الشيعة ذوو اديان فاسدة وعقول مدخوله وعديموا الحياء[(٣)].

---

(١) المنتقى للذهبى (ص ٢٣٢ - ٢٣٣) .
(٢) الشيعة والسنة لاحسان ظهير (ص ٨٣) نقلا من الكافى للكلينى (٨ : ١٢٥) .
(٣) انظر ابن حزم المفصل (٤ : ١٨١) .

(جـ) الشيعة ومحبة آل البيت :

ان دعوى الشيعة محبتهم لآل البيت وموالاتهم والاخلاص لهم في السراء والضراء امر يحتاج الى تثبت واعادة نظر وذلك من جانبين :

الاول : ان الشيعة قصروا هذا اللفظ على علي بن ابي طالب وبعض اولاده ثم ابنائهم واحفادهم بعده وهذا فيه تحكم بدون دليل فالله عز وجل نص في كتابه على ان آل البيت اعم مما ذكره الشيعة . قال تعالى " وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا "(١) . وهذا الخطاب لامهات المؤمنين حيث دخلن ضمن اهل البيت وتخالف الشيعة ذلك وتخرج امهات المؤمنين اللاتي نص الله عليهن في هذه الاية وقد ذكر محب الدين الخطيب عدة اقوال لاهل السنة عن المراد بآل البيت فقيل ان المراد اقاربه المؤمنون من بني هاشم وبني عبد المطلب وقيل انه يشمل جميع اتباعه على دين الاسلام . وقيل هم اتقياء امته(٢) .

الجانب الثاني : انه مع التتبع للاحداث والملمات التي مرت بالطالبيين نجد ان الشيعة خانوا آل البيت وغدروا بهم وخالفوا دعواهم التي يدعون . ففي احلك الظروف خانوا علي بن ابي طالب وتقاعسوا عن مواصلة القتال معه وذلك في معركته مع اهل الشام ، فحينما التحم الجيشان وبدت علائم النصر لعلي بن ابي طالب رفع اصحاب معاوية المصاحف فقال اهل العراق لعلي بن ابي طالب نجيب الى كتاب الله فاخبرهم انها خدعة ولكنهم عصوه ولم يطيعوا له امرا وبالتالي انسحبوا من القتال(٣) .

---

(١) سورة الاحزاب : ٣٣ .
(٢) انظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب (ص ٥٢) .
(٣) تاريخ ابن الوردي (١ : ١٦٠) .

واما الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما فقد غدروا به غدر الاعداء حتى ان المسعودى - مع تشيعه - ذكر جانبا من احداث الشيعة المؤلمة مع الحسين منددا بهذا الغدر والخيانة ومما قال : انه لما مات معاوية ارسل اهل الكوفة الى الحسين قائلين له : انا قد حبسنا انفسنا على بيعتك ونحن نموت دونك ولكنه لما خرج اتضح له غدر شيعته فكان يدعو ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا .

ومع غدر الشيعة له فقد قاتل بمن معه - وهم قلة - وصمد صمود الابطال حتى قتل رضى الله عنه .

يقول المسعودى : وكان جميع من حضر مقتله من العساكر وتولى قتله من اهل الكوفة خاصة ولم يحضرهم شامى (١) .

ومما قال الصحابى الجليل ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه للحسين حين هم بالسفر الى العراق : يا ابا عبدالله انى لك ناصح وعليك مشفق . وقد بلغنى انه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك الى الخروج اليهم فلا تخرج اليهم فانى سمعت اباك يقول بالكوفة : والله لقد مللتهم وابغضتهم وملونى وابغضونى ومايكون منهم وفاء قط ومن فاز بهم فاز بالسهم الاخيب . والله مالهم نيات ولا عزم على امر ولا صبر على السيف (٢) .

وفى رواية ابى مخنف عن الحارث بن كعب الوالبى عن عقبة بن سمعان قال : وان الحسين لما اجمع المسير الى الكوفة اتاه ابن عباس ومما قال له : ان شيعتك انما دعوك للفتنة والقتال ولاآمن عليك ان يستفزوا عليك الناس ويقلبوا قلوبهم عليك فيكون الذين دعوك اشد الناس

---

(١) مروج الذهب للمسعودى (٣ : ٧٠-٧١-٧٤) .
(٢) استشهاد الحسين لابن كثير (ص ٤٩) .

عليك .[١]

وحينما تحدث البغدادى عن الشيعة قال : ان روافض الكوفة موصوفون بالغدر والمشهور من غدرهم ثلاثة اشياء :

احدها : انهم بعد قتل على رضى الله عنه بايعوا ابنه الحسن فلما توجه لقتال معاوية غدروا به فى ساباط المدائن فطعنه الجعفى فى جنبه فصرعه عن فرسه وكان ذلك احد اسباب مصالحته معاوية .

والثانى : أنهم كاتبوا الحسين بن على رضى الله عنهما ودعوه الى الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية فاغتر بهم وخرج اليهم ، فلما بلغ كربلاء غدروا به وصاروا مع عبيد الله بن زياد يدا واحدة عليه حتى قتل الحسين واكثر عشيرته بكربلاء .

والثالث : غدرهم يزيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب بعد ان خرجوا معه على يوسف بن عمر ثم نكثوا بيعته واسلموه عند اشتداد القتال حتى قتل .[٢]

هذا الى جانب الكذب عليهم واختلاق الاحاديث على السنتهم مع ان آل البيت من هذه الاكاذيب براء . يقول ابن تيمية : واما الكذب والاسرار التى يدعونها عن جعفر الصادق فمن اكبر الاشياء كذبا حتى يقال ماكذب على احد مثل ماكذب على جعفر .[٣]

ويقول ابن الجوزى : ان غلو الرافضة حملهم على وضع الاحاديث الكثيرة فى فضائل على بن ابى طالب اكثرها تشينه وتؤذيه وقد ذكرت جملة منها فى كتاب الموضوعات .[٤]

ويتضح كذب الشيعة واساءتهم لال البيت انهم يلزمونهم بما لم يدعوه ويأمروا به وذلك كاعتقاد الشيعة ان الائمة من لدن على بن ابى

---

(١) المرجع السابق (ص ٤٥) .
(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٦) .
(٣) الفتاوى لابن تيمية (٤ : ٧٨) .
(٤) تلبيس ابليس لابن الجوزى (ص ٩٩) .

طالب الى الامام المنتظر منصوص عليهم وان كل امام نص على من بعده وهذا كذب على آل البيت . فعلى بن ابى طالب رضى الله عنه مات ولم ينص على احد بعده بل لما قيل له استخلف علينا . قال : لا ولكن اتركم الى ما تركم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

ويقول ابن العربى : أن قول الرافضة ان على بن ابى طالب عهد الى ابنه الحسن قول باطل وانه ما عهد الى احد (٢) .

كما يقول ابن تيمية : والذى علمناه من حال اهل البيت علما لا ريب فيه انهم لم يكونوا يدعون انهم منصوص عليهم كجعفر الصادق وابيه وجده زين العابدين على بن الحسين وابيه (٣) .

---

(١) مسند الامام احمد (١ : ١٣٠) .
(٢) العواصم من القواصم (ص ١٩٨) .
(٣) المنتقى للذهبى (ص ٥٣٣) .

(د) دور الشيعة الاثنا عشرية فى نشر آراء الباطنية :

انتشرت الحركات الباطنية باسم التشيع واتخذته مطية لها وساعدهم على ذلك الكثير من معتقدات الامامية وخاصة فى الفترات الاولى .

يقول الديلمى : ان اصول مذهب الغلاة والباطنية والاسماعيلية والامامية الاثنى عشرية مختلطة بعضها ببعض فى كثير من المسائل ولذلك قيل الامامية دهليز الباطنية لان الكل دخلوا فى الشيعة من جهتهم وكلهم يدعون التشيع ويغلون فى الدين ويخرجون من طريق المسلمين (١).

كما يقول ابن تيمية : أن من اعظم مادخل به القرامطة والاسماعيلية على المسلمين من افساد الدين هو طريق الشيعة لفرط جهلهم واهوائهم وبعدهم من دين الاسلام . ولهذا وصوا دعاتهم ان يدخلوا على المسلمين من باب التشيع وصاروا يستعينون بما عند الشيعة من الاكاذيب والاهواء ويزيدون هم على ذلك ماناسبهم من الافتراء واول دعوتهم التشيع وآخرها الانسلاخ من الاسلام بل من الملل كلها . ومن عرف احوال الاسلام وتقلب الناس فيه فلابد انه قد عرف شيئا من هذا (٢).

ويقول فى موضع آخر : ولكثرة كذب الرافضة وإدعاءهم علوم الاسرار والحقائق انتسبت اليهم الباطنية والقرامطة (٣).

ويقول ايضا : وقد دخل من الرافضة على الدين من الفساد مالا يحصيه الا رب العباد . والنصيرية والاسماعيلية والباطنية من بابهم دخلوا . والكفار والمرتدة بطريقتهم وصلوا فاستولوا على بلاد الاسلام

---

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى (ص ٢) .
(٢) منهاج السنة لابن تيمية (٤ : ١٤٧) .
(٣) الفتاوى (٤ : ٧٧) .

وسبوا الحريم وسفكوا الدم الحرام .[1]

وفى موضع آخر يوضح لنا الامام ابن تيمية العلاقة بين القرامطة والرافضة بقوله : ان بينهم اقتران واشتباه ويجمعهم امور منها الطعن فى خيار هذه الامة وفيما عليه اهل السنة والجماعة وفيما استقر من اصول الملة وقواعد الدين ويدعون باطنا امتازوا به واختصوا به عمن سواهم .[2]

كما يشير عنان الى حقيقة اخرى وهى الاطوار التى مرت بها الحركة الشيعية وشدة تداخل الشيعة الاسماعيلية مع الشيعة الاثنى عشرية يقول عن ذلك : ان الحركة الشيعية حتى منتصف القرن الثالث تميل الى الاصطباغ بالصبغة الدينية ولا تقصد بالهدم من المبادىء الا ماترى انه يخالف مبادئها ويتعارض مع غاياتها السياسية غير انها تحولت بعد ذلك الى اداة رائعة لهدم جميع المعتقدات الدينية والنظم السياسية وسحق جميع المبادىء الاجتماعية والاخلاقية .[3]

بل ان الشيعة الاثنا عشرية اعترفوا باكثر من كونهم جسرا ومعبرا لاراء الشيعة الاسماعيلية حيث صرح المامقانى ـ كبير علمائهم فى الجرح والتعديل ـ بان ماكان به الغلاة الاقدمون غلاة اصبح الان عند جميع الشيعة الامامية من ضروريات المذهب .

فالغلو الذى كانت تفترق به الاسماعيلية عن الشيعة الامامية صاروا به سواء لا فرق بينهما الا فى شخصيات الائمة .[4] ومن هنا يتضح لنا الدور الكبير الذى قدمه الشيعة الاماميون لظهور آرا ومعتقدات الشيعة الاسماعيليون .

---

(١) المنتقى للذهبى (ص ١٩) .

(٢) الفتاوى لابن تيمية (٤ : ١٠٣ - ١٠٤) .

(٣) تاريخ الجمعيات السرية لمحمد عنان (ص ٣٠) .

(٤) الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب (ص ٤٠) .

الفصل الثانى

المذاهب الغالية وحركات المعارضة

(١) المذاهب الغالية التى تعتبر من جذور الحركة القرمطية .

(أ) المزدكية :

تشير المصادر السنية الى ان اكثر الحركات والفرق التى ظهرت فى القرن الثالث لم تكن جديدة بآرائها وغلوها وانما هى امتداد لبعض الملل والمذاهب الالحادية التى وجدت قبل الاسلام وتنكرت للاديان السابقة . ولكن المسلمين بجهادهم ونشرهم للاسلام اضعفوا تلك النزعات ولم يعد لها مكان فى المجتمع الاسلامى فآثرت العمل سرا وبقيت فى نفوس اصحابها من دعاة الهدم والتخريب .

وكلما بدأ الضعف لدى المسلمين ظهرت تلك النزعات تحمل اسماء متعددة ومختلفة ولكنها فى الاهداف والمبادىء تكاد تكون واحدة . ومن تلك المذاهب المزدكية التى اكد جمع من اهل السنة صلتها بالحركة القرمطية .

ويحسن ان اشير الى هذا المذهب وذلك باعطاء صورة مختصرة لبعض مبادئه ومعتقداته . فالمزدكية مذهب الحادى من مذاهب الفرس القديمة وضع اسسه مزدك الذى ظهر فى ايام الملك قباذ والد انوشروان ويلقب ابن القيم مزدك بالموبذ ومعناه عندهم العالم القدوة .(١)

انتشر هذا المبدأ على يد الملك قباذ حيث اعتنقه وآمن به واخذ يدعوا اليه وكان ذلك فى اواخر القرن الخامس الميلادى .

وعقائد المزدكية ترجع فى اصولها الى الثنوية القائلين بالهين اثنين ازليين . احدهما النور . والثانى الظلمة . وكان مزدك يقول : ان

---

(١) اغاثة اللهفان لابن القيم (٢ : ٢٤٧) .

النور يفعل بالقصد والاختيار . والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ، والنور عالم حساس . والظلام جاهل اعمى .

ومما قال ايضا : ان الاصول والاركان ثلاثة : الماء ، والارض ، والنار . ولما اختلطت حدثعنها مدبر الخير ومدبر الشر . فما كان من صفوها فهو مدبر الخير وماكان من كدرها فهو مدبر الشر .[1]

ومن مبادئ مزدك المشهورة شيوعية الاموال والنساء .

يقول ابن القيم : ان المزدكية يرون الاشتراك فى النساء والمكاسب كما يشترك فى الهواء والطرق وغيرها .[2]

ويقول ابن الجوزى : ان مزدك اباح النساء لكل من شاء .[3]

ويقول ابن النديم ايضا : ان مزدك دعا الى المشاركة فى الحرم والاهل فلا يمتنع الواحد منهم من حرمة الاخر ولا يمنعه .[4]

كما يقول ابن الاثير : انه اباح النساء والاموال واجاز فعل مايشتهيه الانسان .[5]

ويبين الشهرستانى فلسفة مزدك عن هذه الشيوعية الوقحة بقوله : انه كان ينهى عن المباغضة والمخالفة والقتال . ولما كان اكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال . احل النساء واباح الاموال وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ .[6]

انتشر هذا المبدأ الاباحى ولقى نفوذا ولاسيما بين السفلة والاباحيين الذين لا خلق لهم ولا دين . ويقول الطبرى من هذا : فافترص

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى (٢ : ٤٩ - ٥٤) .
(٢) اغاثة اللهفان لابن القيم (٢ : ٢٤٧) .
(٣) تلبيس ابليس لابن الجوزى (ص ٧٦) .
(٤) الفهرست لابن النديم (ص ٤٠٦) .
(٥) اللباب لابن الاثير (٣ : ٢٠٣) .
(٦) الملل والنحل للشهرستانى (٢ : ٥٤) .

السفلة ذلك واغتنموه وكانفوا مزدك واصحابه وشايعوهم فابتلى الناس بهم وقوى امرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل فى داره فيغلبونه على منزله ونسائه وامواله لا يستطيع الامتناع منهم (١).

وقد قضى على هذا المذهب الالحادى الاباحى انو شروان حينما ولى الملك وقتل من اصحاب مزدك خلقا كثيرا لا يحصون وبقى على اعتقاده جماعة ينسبون اليه (٢). ولكن هذه الجماعة تحولت الى حركة سرية وعاشت على هذا النحو فى ايام الدولة الساسانية ثم عادت الى الظهور من جديد فى العصور الاسلامية (٣).

ان صلة القرامطة بمذهب مزدك وتأثرهم بالكثير من مبادئه ونظمه لفت انتباه الكثير من علماء السنة ونحن ننقل بعضا من هذه النصوص التى تؤكد هذه الصلة وذلك التأثر بين تلك الحركتين المزدكية والقرامطة.

يقول ابن القيم : وعلى مذهب المزدكية والخرمية طوائف القرامطة والاسماعيلية والنصيرية وسائر العبيدية الذين يسمون انفسهم بالفاطميين (٤).

ويقول ابن الجوزى : ان البدايات التى بنى عليها القرامطة للقيام بحركتهم التعلق بمذاهب الملحدين مثل زرادشت (٥) ومزدك فانهم

---

(١) تاريخ الامم والملوك للطبرى (٢ : ٩٢ - ٩٣).

(٢) اللباب لابن الاثير (٣ : ٢٠٣).

(٣) الغلو والفرق الغالية للسامرائى (ص ٢٦).

(٤) اغاثة اللهفان لابن القيم (٢ : ٢٤٧ - ٢٤٨).

(٥) هو واضع اسس الديانة الزرادشتية واسمه زرادشت بن بورشب وظهر فى ايام الملك بشتاسف وادعى النبوة وصنف لذلك كتابا. ومن آرائه القول باصلين اثنين يدبران العالم ويقتسمان الخير والشر وهما النور والظلمة. ومما دعا اليه عبادة النار والصلاة الى الشمس وكان الزرادشتيون يستحلون زواج الامهات. وقالوا الابن احرى بتسكين شهوة امه واذا مات الزوج فابنه اولى بالمرأة. انظر الملل والنحل للشهرستانى (٢ : ٤١-٤٣) ، تلبيس ابليس (ص ٧٥-٧٦).

كانا يستحلان المحظورات[1] .

اما مؤلف سياست نامه فانه يعتبر القرامطة والاسماعيلية استمرارا مباشرا للحركة المزدكية فى العصر الساسانى ويقول : ان مذهب مزدك يعتبر مماثلا لمذهب صاحب الزنج وبابك[2] والقرامطة[3] .

ولما بين حركتى القرامطة والمزدكية من تجانس واتفاق فى بعض المبادىء فانه احيانا يلقب القرامطة بالمزدكية ولذا يقول الشهرستانى : ان للاسماعيليين القابا كثيرة حيث يسمون بالعراق الباطنية والقرامطة والمزدكية[4] .

وانطلاقا من تأثير القرامطة بالاراء المزدكية فان علماء السنة يعرضون اراء كل من الحركتين مع الاستعراض والموازنة بينهما ففى جانب المعتقدات يعقد البغدادى مقارنة بين المزدكية الثنوية والقرامطة الباطنية من حيث معتقد كل منهما من الله عز وجل ويخلص الى ان قول القرامطة الباطنية عن ان الاول والثانى يدبران العالم هو بعينه قول المجوس الا ان الباطنية عبرت عن الصانعين بالاول والثانى وعبر المجوس عنهما بيزدان واهرمن[5] .

ويقول الغزالى ايضا : ان معتقد القرامطة الباطنية فى الالهيات يعتبر كفرا مسترقا من الثنوية والمجوس القائلين بالالهين غير ان الباطنية بدلوا عبارتى " النور والظلمة " بالسابق والتالى[6] .

اما الجانب الاخلاقى فيذكر بعض اهل السنة اعمالا للقرامطة

---

(١) القرامطة لابن الجوزى (ص ٣٠ - ٣١) .
(٢) سيأتى التعريف بهما .
(٣) سياست نامه لنظام الملك (ص ٢٧٨) .
(٤) الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٩٢) .
(٥) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٦٩ - ٢٧٠) .
(٦) فضائح الباطنية للغزالى (ص ٤٠) .

هى الى المبادىء المزدكية اقرب . يقول الملطى : ان القرامطة زعموا ان نساء بعضهم حلال لبعض وكذلك اولادهم وابدانهم مباحة من بعضهم لبعض لا حظر بينهم ولا منع .[١]

ويقول العلوى عن قرامطة اليمن : ان على بن الفضل القرمطى يجمع الرجال والنساء فيحصل بينهم من الفجور حتى ان الام قد تقع لابنها والاخت لاخيها .[٢]

وكان ابن الفضل يقول : اذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال ولا ولد من ولد فتكونوا كنفس واحدة .[٣]

كما يذكر النويرى عن قرامطة العراق : انهم كانوا يجمعون النساء فى ليلة معروفة ويختلطن بالرجال وذلك من صحة الود والالفة .[٤]

وبالنسبة للاموال فشيوعيتها من ابرز النظم لدى القرامطة فداعيتهم الاول حمدان قرمط طلب من اتباعه ان يجمعوا اموالهم فى موضع واحد وان يكونوا فيه اسوة واحدة لا يفضل احد منهم صاحبه واخاه فى ملك يملكه .[٥]

كما يذكر خسرو - وهو رحالة زار البحرين وسطر ماشاهده عن القرامطة - بعضا من نظمهم المالية التى تؤكد على مبدأ شيوعية الاموال لدى القرامطة هناك .[٦]

ويرى نظام الملك انهم تأثروا فى ذلك بالاراء المزدكية التى ظهرت فى بلاد الفرس فى اواخر العصر الساسانى وكانت تدعو الى الاباحية فى المال والنساء .[٧]

(١) التنبيه والرد على اهل الاهواء للملطى (ص ٢) .
(٢) سيرة الهادى الى الحق للعلوى (ص ٣٩٤ - ٣٩٥) .
(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٦) .
(٤) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٥٩) .
(٥) اتعاظ الحنفا (١ : ١٥٦) .
(٦) سفر نامه لخسرو (ص ١٤٣) .
(٧) سياست نامه (ص ٢٧٨) .

(ب) الخطابية :

انتشرت ظاهرة الغلو[1] في فرق الشيعية حتى ان اصحاب المقالات والفرق اعتبروا الغلاة فرقة قائمة بذاتها من بين فرق الشيعة الكبرى التي يتفرع منها عدة فرق .

وفرقة الغلاة جاهرت بمبادئ وعقائد خرجت بها من دائرة الاسلام ودخلت في دائرة الكفر . ومن اشهر مبادئ غلاة الشيعة التي تجمعهم على تعدد فرقهم الغلو في حق الائمة واخراجهم من حدود الخلقية والحكم فيهم بالاحكام الالهية فربما شبهوا واحدا من الائمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق[2] .

---

(١) ورد لفظ الغلو في القرآن مرتين في سورة النساء : ١٧١ ، وفي سورة المائدة : ٧٧ ، وكلا الايتين تنهيان عن تجاوز الحد والافراط والتفريط فمن الافراط غلو النصارى في عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم حتى جعلوه ربا ومن التفريط غلو اليهود في عيسى حتى جعلوه لغير رشدة . انظر فتح القدير للشوكاني (١ : ٥٤٠) . ويقول ابن كثير ان غلو النصارى لم يكن مقتصرا على عيسى فحسب بل انهم غلوا في اتباعه واشياعه ممن زعم انه على دينه فادعوا في هؤلاء الاتباع العصمة واتبعوهم في كل ماقالوا سواء كان حقا او باطلا . انظر تفسير ابن كثير (١ : ٥٨٩) ويقول في تفسير آية المائدة " قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق " اى لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من امرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة الى مقام الالهية كما صنعتم في المسيح حيث جعلتموه الها من دون الله وهو نبي من الانبياء . انظر ابن كثير (٢ : ٨٢) . ويعرف السامرائي الغلو بقوله : انه موقف مبالغ فيه يقفه الانسان من قضية عامة او خاصة بشكل متطرف يتجاوز حدود المألوف والمعقول انظر كتاب الغلو (ص ١٥) .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١٧٣) .

ومن اشهر هذه الفرق واشدها غلوا فرقة الخطابية التى جهرت بآرائها الغالية فى ابشع صورة فى تاريخ الغلاة .

ومؤسس هذه الفرقة يدعى بابى الخطاب واسمه محمد بن ابى زينب الاسدى الكوفى الاجدع ويكنى بابى الخطاب وبابى الظبيان وبابى اسماعيل (١) .

وقد نشأ بالكوفة وعاصر الامام جعفر الصادق وتردد عليه واخذ عنه ثم عاد الى الكوفة لينشر مبادئه وهنالك كون فرقته المعروفة بالخطابية وفى اول امره كان يدعى بأن ابا عبدالله جعفر جعله قيمه ووصيه من بعده وعلمه اسم الله الاعظم (٢) .

ان المصادر التى بين ايدينا تشير الى ان ابا الخطاب على صلة بجعفر الصادق أول الامر وان جعفر قربه . ولكنه لما جاهر بآرائه الغالية تبرأ منه وامر اصحابه بذلك يقول الشهرستانى : فلما وقف الصادق على غلوه الباطل فى حقه تبرأ منه ولعنه وامر اصحابه بالبراءة منه . وشدد القول بذلك وبالغ فى التبرى منه واللعن عليه ، فلما اعتزل عنه ادعى الامامة لنفسه (٣) .

آراء الخطابية :

مرت آراء الخطابية ممثلة بزعيمهم ابى الخطاب بثلاثة ادوار :

الدور الاول : ادعاء النبوة للائمة حيث يزعمون ان الائمة انبياء محدثون ورسل الله وحججه على خلقه لا يزال منهم رسولان واحد ناطق والاخر صامت . فالناطق محمد صلى الله عليه وسلم والصامت على بن ابى طالب وان رسل الله تترى . اى اثنان فى كل وقت ورسولا زمنهم

---

(١) فرق الشيعة للنوبختى (ص ٥٧) .
(٢) فرق الشيعة للنوبختى (ص ٥٧) ، المقالات والفرق للقمى (ص ٥١) .
(٣) الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٧٩) .

جعفر الصادق وابو الخطاب الاسدى[(١)] ،

وقد ادعى ابو الخطاب النبوة اولا ثم ادعى الرسالة ثم ادعى انه من الملائكة وانه رسول الله الى اهل الارض والحجة عليهم[(٢)] .

الدور الثانى : تدرج ابو الخطاب صعدا فى الكذب والمخرقة فادعى ان روح الله عز وجل حلت فى جعفر الصادق وبعده فى نفسه[(٣)] .

ومن منطلق هذه الحلولية زعم ان جعفر ليس هو المحسوس الذى يرونه ولكن لما نزل الى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها وادعى مع ذلك ان جعفر يتصور فى اى صورة شاء[(٤)] .

ومما قال الخطابية عن الحسن والحسين واولادهما وشيعتهم انهم ابناء الله واحباؤه ثم قالوا ذلك فى انفسهم ويقولون انهم لا يموتون ولكنهم يرفعون الى السماء[(٥)] .

الدور الثالث : ويمثل المرتبة الاخيرة فى درجات الغلو لابى الخطاب حيث ادعى الهيته والهية الائمة . اما اتباعه فقد عبدوه وقالوا انه الههم وان جعفر بن محمد الههم ايضا الا ان ابا الخطاب اعظم من جعفر ومن على[(٦)] .

وحيث ان الغلاة سلكوا مسلك التأويل فى كثير من مخرقتهم

---

(١) مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ٧٦ - ٧٧) ، الحور العين للحميرى (ص ١٦٦) ، المقالات للقمى (ص ٥١) .

(٢) فرق الشيعة للنوبختى (ص ٥٧) ، المقالات والفرق للقمى (ص ٥١) .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٤٢) .

(٤) الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٨٠) ، والمقالات والفرق للقمى (ص ٥١) .

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٤٢) ، مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ٧٧) ، الحور العين للحميرى (ص ١٦٦) ، الفصل لابن حزم (٤ : ١٨٧) .

(٦) مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ٧٧ - ٧٨) ، الحور العين (ص ١٦٦) .

فقد تأولوا فى دعوى الالوهية للائمة قول الله تعالى " فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين "(١) . قالوا فهو آدم ونحن ولده .(٢)

ويوضح الشهرستانى مسلكه الذى سلكه حول دعواه الوهية الائمة بانه قال : والالهية نور فى النبوة والنبوة نور فى الامامة ولا يخلو العالم من هذه الاثار والانوار .(٣)

وقال اتباعه من الخطابية : خفف الله عنا بابى الخطاب ووضع عنا الاغلال والاصار يعنون الصلاة والزكاة والصيام والحج فمن عرف الرسول النبى الامام اى ابا الخطاب ـ فليصنع ما احب .(٤) وكان اصحابه كلما ثقل عليهم اداء فريضة اتوه وقالوا : يا ابا الخطاب خفف علينا فيأمرهم بتركها حتى تركوا جميع الفرائض واستحلوا جميع المحارم وارتكبوا المحظورات واباح لهم ان يشهد بعضهم لبعض بالزور وقال : من عرف الامام فقد حل له كل شىء كان حرم عليه .(٥)

فياعجبا لهؤلاء شخص واحد يكون اماما ونبيا ورسولا والها فى آن واحد ولكن كما قال الشهرستانى عنهم انهم حيارى ضالون جاهلون تائهون .(٦) ومن مبادئهم الكذب على مخالفيهم واستحلال شهادة الزور لمن وافقهم . يقول الحميرى : ان الخطابية يستحلون شهادة الزور لمن وافقهم فى دينهم على من خالفهم فى الاموال والدماء والفروج . وتجاوزوا ذلك فقالوا : ان دماء مخالفيهم واموالهم

---

(١) سورة ص : ٧٢ .
(٢) مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ٧٧) .
(٣) الملل للشهرستانى (١ : ١٨٠) .
(٤) فرق الشيعة للنوبختى (ص ٥٨) .
(٥) دعائم الاسلام للنعمان (١ : ٤٩ - ٥٠) .
(٦) الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٨١) .

ونساءهم لهم حلال [1].

ظلت الخطابية تنشر اراءها فى الكوفة وكثر عددهم بها حتى تجاوز الالوف [2]. واخيرا قضى عليهم عيسى بن موسى ـ والى الكوفة واسر زعيمهم ثم قتل فى سبخة الكوفة .

دور الخطابية فى حركة الاسماعيلية والقرامطة :

تمتاز حركات الغلو عن غيرها من الحركات بالتداخل والتشابه عقيدة واهدافا هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى ظاهرة التسلسل الزمنى لتلك الحركات الغالية . حيث ان كل حركة تأخذ بزمام الاخرى فما تكاد تختفى حركة الا وتظهر اخرى تجمع فلول اتباع من قبلها مع ملاحظة التغيير فى العناوين والاسماء . وان حركتى الخطابية والاسماعيلية من ابرز الامثلة لذلك ، فالتشابه بينهما حقيقة لها شواهدها وقرائنها .

اما الشواهد فنستمدها من التشابه بين العقائد المذهبية لكل منهما .

فالخطابية ابتدعوا عقيدة الامام الصامت والامام الناطق مع العلم انها عقيدة اختصت بها الاسماعيلية [3].

كما ان من آراء الخطابية التى جهروا بها دعوى النبوة للائمة وهى عقيدة واضحة لدى الاسماعيليين لا سيما فى امامهم محمد بن اسماعيل الذى يعتبرونه بمنزلة اولى العزم من الرسل [4].

اما دعوى الالوهية لزعمائهم فيوضحها ابن حزم مبينا اتفاق

---

(١) الحور العين للحميرى (ص ١٦٦ - ١٦٧) .
(٢) الفصل لابن حزم (٤ : ١٨٧) .
(٣) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١٠٠) ، دولة الاسماعيلية فى ايران (ص ٣٢) .
(٤) الانوار اللطيفة للحارثى ضمن الحقائق الخفية (ص ١٢٦) .

الخطابية والقرامطة حول هذا المبدأ يقول : ان غلاة الشيعة قسمان قسم اوجب النبوة بعد النبى صلى الله عليه وسلم لغيره . وقسم اوجب الالهية لغير الله ومن القسم الثانى القرامطة الذين الهوا محمد بن اسماعيل والخطابية الذين الهوا أبا الخطاب[١] .

كما ان اسلوب التأويل الاسماعيلى لايات القرآن من المبادىء التى استخدمته الخطابية التدليل على بعض مزاعمهم وأكاذيبهم ، وقد بين ذلك كل من الاشعرى والشهرستانى والحميرى[٢] .

ولذا يقول النشار : أن الكثير من أصول الخطابية قد دخلت فى عقائد الاسماعيلية فيما بعد ولكن تم هذا بعد مقتل ابى الخطاب واعتناق كثير من اتباعه للاسماعيلية فى عهد عبدالله بن ميمون القداح[٣] . كما يقول برنارد لويس ان ماذكره اهل السنة من عقائد الخطابية يؤيد ماذهب اليه النوبختى فى وحدة هاتين الحركتين[٤] . ومن ذلك عقيدة الامام الصامت والناطق التى اختصت بها الاسماعيلية وكذلك طريقة التأويل الاسماعيلى الذى استخدمته الخطابية لنشر مبادئها وعقيدتها[٥] .

اما القرائن فنستمدها من كتاب المقالات والمؤرخين الذين دللوا على العلاقة بين تلك الحركتين بادلة واضحة فهناك روايات اوردها الكشى فى كتابه معرفة الرجال تشير الى وجود علاقة وثيقة بين الخطابية واسماعيل بن جعفر وعبارة الكشى هى : قال جعفر المفضل بن عمر الجعفى وهو من الخطابية ياكافر يامشرك مالك ولابنى اتريد ان تقتله[٦] .

---

(١) الفصل لابن حزم (٤ : ١٨٣ - ١٨٧) .

(٢) انظر مقالات الاسلاميين (ص ٧٧) ، الملل والنحل (١ : ١٨٠) ، الحور العين (ص ١٦٦ - ١٦٧) .

(٣) التفكير الفلسفى للنشار (٢ : ٢٧٦) .

(٤) فرق الشيعة للنوبختى (ص ٨٠) .

(٥) انظر اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١٠٠ - ١٠١) .

(٦) دولة الاسماعيلية فى ايران لمحمد السعيد (ص ٢٢) نقلا من كتاب الرجال للكشى .

ويرى النشار استنادا الى هذه الرواية ان ابا الخطاب كان من محبى اسماعيل بن جعفر وكان جعفر الصادق يكره صلات ابنه اسماعيل بالغلاة مما جعله يفكر فى عزله عن امامة الشيعة بعده وحينما مات اسماعيل وقتل ابى الخطاب سرعان ما انضم الخطابية الى محمد بن اسماعيل .[١]

ويقول برنارد لويس : ان خلع جعفر لاسماعيل كان بسبب هذه الصلة.[٢]

كما ان هناك اشارات من المصادر التاريخية تثبت ان دعاة الاسماعيلية المشهورين يعتبرون تلاميذ لابى الخطاب فابن رازم يقول ان الميمونية اتباع ميمون القداح كانوا تلاميذ لابى الخطاب .

كما يذكر ابن الاثير عن ميمون القداح انه من اتباع وتلاميذ ابى الخطاب .

اما النويرى فيقول ان ميمون من اصحاب ابى الخطاب وان الحركة التى بثها ميمون وابنه عبد الله كانت فى جوهرها حركة ابى الخطاب نفسه .[٣]

اما الجوينى فيشير فى تاريخه الى ان ميمون القداح وابنه عبد الله وابى الخطاب يعتبرون من الدعاة الاوائل للاسماعيلية والقرامطة .[٤]

اضافة الى ما مضى فان القمى والنوبختى يشتركان فى القول بان الاسماعيلية هم الخطابية وان فرقتهم بعد القضاء على ابى الخطاب اقرت بموت اسماعيل فى حياة ابيه وساقوا الامامة فى محمد بن اسماعيل وولده من بعده .[٥]

---

(١) التفكير الفلسفى فى الاسلام للنشار (٢ : ٣١٧) .
(٢) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١١١) .
(٣) المرجع السابق (ص ١٠٢) .
(٤) جهانكشاى لعطا ملك الجوينى (ص ١٥٩) .
(٥) انظر المقالات والفرق (ص ٨١ - ٨٣) ، فرق الشيعة (ص ٨٠) .

وينقل لويس عن الكشي قوله : ان فرقة الاسماعيلية هي الخطابية نفسها كما ينقل عبارة واضحة وصريحة من احد الكتب السرية والمقدسة لدى الاسماعيليين وهذه العبارة هي : ان المذهب الاسماعيلي هو ما اوجده اتباع ابي الخطاب الذين شروا انفسهم بحب احفاد جعفر واسماعيل[1] .

ويقول القمي : ان أتباع ابي الخطاب لما قتل معظمهم خرج الجماعة الباقون ممن قال بمقالة ابي الخطاب الى محمد بن اسماعيل فقالوا بامامته واقاموا عليها[2] .

ومن خلال ماقدمنا من الشواهد والقرائن نصل الى النتائج التالية :

(١) ان الحركة الخطابية تعتبر قاعدة صلبة للحركة الاسماعيلية بعدها .

(٢) أن الاسماعيلية استوعبت جميع مبادئ الخطابية وبالتالي ضمت جميع اتباع ابي الخطاب .

(٣) واخيرا تكون حركة ابي الخطاب من الجذور الاساسية التي غذت الحركة القرمطية والاسماعيلية وساعدتها للظهور الى مسرح الاحداث .

---

(١) انظر اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ٩٩ - ١٠٤) .
(٢) المقالات والفرق (ص ٨٣) .

(٢) حركات المعارضة التى مهدت لظهور الحركة القرمطية .

تميزت فترة ما قبل ظهور القرامطة بالاضطراب وكثرت الفتن وانتشارها فى مناطق مختلفة من الرقعة الاسلامية .

وكانت الدولة العباسية فى تلك الفترة تعانى من الضعف شيئا كثيرا ولم تستطع لضعفها القضاء على الخارجين عليها ، ولقد تعددت فى تلك الفترة النزعات الاستقلالية وحركات المعارضة وكان من اشد هذه الحركات واكثرها عنتا ومشقة حركتى الخرمية والزنج .

(أ) الخرمية :

وهى حركة من حركات المعارضة تنسب الى الجد حسين بن ادريس الانصارى الخرمى المعروف بابن حزم[1] .

وخرم لفظ اعجمى ينبىء عن الشىء المستلذ والمستطاب الذى يرتاح الانسان له . وقد كان هذا الاسم لقبا للمزدكية وسمى هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم اياهم فى نهاية هذا المذهب[2] .

كما يسمون بالبابكية نسبة الى زعيمهم بابك الخرمى[3] وايضا يطلق عليهم لفظ الخرمدينية لاباحتهم المحرمات من شرب الخمر والزنا وغير ذلك[4] .

وتعتبر الخرمية طائفة من طوائف الباطنية[5] . ولذا يقول الطوسى : ولحق ببابك كل باطنى وخرمدينى[6] . كما يقول البغدادى : ان الخرمية

---

(١) اللباب لابن الاثير (١ : ٤٣٧) .
(٢) تلبيس ابليس لابن الجوزى (ص ١٠٥ - ١٠٦) .
(٣) القرامطة لابن الجوزى (ص ٤٨) ، اللباب لابن الاثير (١ : ١٠١) .
(٤) فضائح الباطنية للغزالى (ص ١٤) .
(٥) تلبيس ابليس لابن الجوزى (ص ١٠٢) ، اللباب (١ : ٤٣٦) .
(٦) سياسة نامه (ص ٢٩٠) .

صارت مع الباطنية يدا واحدة .[١]

ويرجع هؤلاء الى اصل مجوسى من بلاد اذربيجان وقد غزاهم القائد العباسى حازم بن خزيمة فسبى ذراريهم ونقلهم الى بغداد عام ١٩٢ هـ، وحينما عاشوا تحت حكم العرب تذمروا من ذلك وظلت فى نفوسهم نقمة كامنة تتحين الفرص للظهور لذلك فانهم حاولوا التخلص من السيادة الاجنبية السياسية والروحية .[٢]

اما ظهورهم فتحدده اغلب المصادر فى سنة احدى ومئتين (٢٠١ هـ).[٣] وذلك حينما اجتمع على بابك عدد كبير من الناس وظهر فى الجبال فى منطقة يصعب فيها القتال كل الصعوبة .

اخذت الحركة تقوى ويزداد اتباعها حتى عمت نواحى اصفهان وخراسان وسائر ارض الاعاجم .[٤]

ولقد حاول بابك ان يستميل جيرانه من الترك الى دعوته لكنه لم يوفق الى ذلك تماما . اما الاكراد فكانوا يدخلون فى مذهب بابك افواجا .[٥]

ولذا فقد كثر عددهم حتى أن البغدادى يقول انه اجتمع مع بابك من اهل البدين وممن انضم اليهم من الديلم مقدار ثلثمائة الف رجل .[٦]

وقد اتسع نطاق الحركة والمأمون لم يحسب لهم حساب وساعدهم على ذلك بعدهم من مركز الخلافة وتحصنهم بالجبال .

ولم يتحرك المأمون لقتالهم الا بعد مرور ثلاث سنوات من اعلان

---

(١) الفرق بين الفرق (ص ٢٦٨) .
(٢) حركة القرامطة لفضلة الشامى (ص ٣٣) .
(٣) تلبيس ابليس (ص ١٠٣) ، شذرات الذهب لابن العماد (٢ : ٢) ، سياسة نامه (ص ٢٨٨) .
(٤) التنبيه والاشراف للمسعودى (ص ٣٠٦) .
(٥) سياسة نامه (ص ٢٨٨) .
(٦) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٦٨) .

بابك للعصيان والاستعداد للقتال فاخذ المأمون يرسل الجيش تلوالاخر وبابك يهزمها هزما ذريعا ويأسر القادة .

والواقع انه اقض مضجع المأمون فما ارسل اليه جيشا الا مني بالهزيمة وخسرت جيوش المأمون خسارة شديدة .

ومن الجدير بالذكر انه كان بين بابك والروم حلف على ان يساعدهم برجاله وعلى ان يساعدوه حين حاجته اليهم (١) .

وقد ظلت المعارك طيلة حكم المأمون وتوفى عام ٢١٨ هـ ولم تموت تلك الحركة او يقضى عليها .

واتى بعده اخوه المعتصم الذى بدوره اكمل مابدأه المأمون حيث جهز الى بابك الجيوش الكبيرة الضخمة وعمل غاية جهده فى القضاء على هذه الحركة واخيرا وبعد مخاض كبير وحروب طويلة الامد تمكن المعتصم من القضاء عليه وكان ذلك عام ٢٢٣ هـ (٢) .

مبادئ ومعتقدات الخرمية :

اعتقد الخرمية عقائد غالية خرجوا بها جملة من فرق الاسلام فصنفهم الشهرستاني فى عداد الفرق الغالية (٣) . وصنفهم البغدادى فى عداد الفرق الخارجة عن جملة فرق الاسلام وارجع اصولهم الى مذهب المزدكية (٤) ويؤيده قول المقدسى : ان اصل دينهم القول بالنور والظلمة (٥) وهما من اهم مبادئ المزدكية .

ويعتبرهم الملطى من اصحاب التناسخ والحلولية (٦) . وينقل ابن

---

(١) تاريخ عصر الخلافة العباسية ليوسف العشى (ص ٨٤ - ٨٥) .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٦٨) ، تلبيس ابليس لابن الجوزى (ص ١٠٣) .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٧٤) .

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٥٣) .

(٥) البدء والتاريخ للمقدسى (٤ : ٣١) .

(٦) التنبيه والرد على اهل الاهواء للملطى (ص ٢٢) .

الند يم عن بابك بعض مزاعمه حيث يزعم انه اله وكان يقول ذلك صراحة لبعض اتباعه الذين استغواهم [١].

ومن مبادئهم ان الله عز وجل نور على الابدان والاماكن . وان ارواحهم متولدة من الله القديم وان البدن لباس لا روح فيه ولا الم عليه ولا لذة له وان الانسان اذا فعل الخير ومات صار روحه الى حيوان ناعم مثل فرس وطير يتنعم فيه ثم يرجع الى بدن الانسان بعد مدة .

واذا كان نفسا خبيثة شريرة ومات صار روحه فى بدن حمار او كلب يعذب فيه بمقدار ايام عصيانه ثم يرد الى بدن الانسان لم تزل الدنيا هكذا . ولا تزال تكون هكذا [٢].

ومن مزاعمهم انه كان لهم نبى قبل الاسلام يقال له شروين يزعمون انه افضل الانبياء وينوحون عليه فى محافلهم وخلواتهم [٣].

ويزعمون أن الرسل كلهم على اختلاف شرائعهم واديانهم يحصلون على روح واحد وان الوحى لا ينقطع ابدا وكل ذى دين مصيب عندهم اذا كان راجى ثواب وخاشى عقاب ولا يرون تهجينه والتخطى اليه بالمكروه مالم يرم كيد ملتهم وخسف مذهبهم [٤].

ويبين البغدادى بعضا من سلوكهم حول التكاليف الشرعية بقوله انهم لا يصلون فى السر ولا يصومون فى شهر رمضان ولا يرون جهاد الكفرة [٥].

ويتفق كل من الغزالى وابن الجوزى والبغدادى وابن الاثير على انهم من اهل الاباحة القائلين بشيوعية النساء حيث خصصوا ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون سرجهم وشموعهم ثم يتناهبون النساء

---

(١) الفهرست لابن النديم (ص ٤٠٦) .
(٢) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع للملطى (ص ٢٢) .
(٣) اللباب لابن الاثير (١ : ١٠١) ، فضائح الباطنية (ص ١٥-١٦) .
(٤) البدء والتاريخ للمقدسى (٤ : ٣٠ - ٣١) .
(٥) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٥٢) .

فيثب كل رجل الى امرأة فيظفر بها ويزعمون ان من استولى على امـــرأة استحلها بالاصطياد فان الصيد من اطيب المباحات[١] .

ويجمع الطوسى مجمل آرائهم فيقول : ان اساس مذهبهم تجنب كل شيء يجهد البدن واسقاط الشريعة والتكاليف كالصلاة والصـــوم والحج والزكاة وتحليل الخمر واستباحة اموال الناس ونسائهم والا بتعاد عن كل ماهو فريضة[٢] .

وينتهى المقدسى الى ان محصول امرهم التعطيل والالحاد[٣] .

ان مبادىء الخرمية ومعتقداتهم تعتبر من مبادىء الهـــدم والتخريب التى تستهدف ـ بطبيعة الحال ـ القضاء على الاسلام وتشويـــه مبادئـــه .

وعموما فان مبادئهم تنزع فى اصولها الى مذهب مزدك ولـــذا يقول الطوسى : ان اصل مذهب مزدك والخرمدينية والباطنية واحد وهم يتفقون دائما هدم الاسلام ويظهرون اول الامر بالصدق والتقوى ومحبـة آل الرسول حتى يتصيدوا بذلك الناس فاذا قوى امرهم اجتهدوا فـــى ان يفسدوا امة محمد ودينه وان الكفار لا شفق منهم على المسلمين[٤] .

وحسب ما اتضح لى ان انتشار هذه المبادىء مع رداءتها وبطلانها راجع الى عاملين :

اولهما : الجهل وهو داء خطير يصيب الامة الاسلامية فـــى فترات انحرافها عن منهج الله . وطالما استغل الجهل الكثير مـــن المخرقين والهدامين ونشروا آراءهم فى تلك المجتمعات الجاهلـــة التى لا تعرف من الاسلام سوى بعض الجوانب المشوهة وجميع حركـــات

---

(١) انظر فضائح الباطنية (ص ١٥) ، تلبيس ابليس (ص ١٠٤) ، الفرق بين الفرق (ص ٢٥٢) ، اللباب فى تهذيب الانساب (١ : ١٠١) .

(٢) سياست نامه للطوسى (ص ٢٩٥) .

(٣) البدء والتاريخ (٥ : ١٣٤) .

(٤) سياسة نامه (ص ٢٩٦) .

الهدم والتخريب ماكان لها ان تظهر وتبقى الا بمثل هذه المجتمعات .

الثاني : الفقر حيث ان سؤالاحوال الاقتصادية ساعد كثيرا على التفاف بعض المعدمين والمحرومين بعضهم مع بعض وتكتلهم طلبا لتحسين احوالهم وعبر عن هذه الحال كثير من الثورات وفي مقدمة هذه الثورات حركة الخرمية والقرامطة وثورة الزنج . وسلك هؤلاء مسالك متعددة لتحسين احوالهم فتارة بالنهب والسلب وتارة بالسبي . ولهذا يقول المقدسي عن اتباع بابك " وانضوى اليه القطاع والحراب والذعار واصحاب الفتن وارباب النحل الزائفة . . . واخذ بالتمثيل بالناس والتحريق بالنار والانهماك في الفساد وقلة الرحمة والمبالاة "[1] .

---

(١) البدء والتاريخ للمقدسي (٦ : ١١٦) .

(ب) حركة الزنج :

تعتبر الحركة الثانية من حركات المعارضة التى ظهرت فى احوال مضطربة وفى وضع متضعضع لسلطان الخلفاء ورغم انها اقصر فترة من الحركة الخرمية[١] الا انها كانت اشد ضراوة واكثر جمعا حيث هددت كيان الدولة العباسية واضعفت قوتها وكان لذلك الاثر الكبير فى نجاح الحركة القرمطية فيما بعد .

وقد نشأت هذه الحركة فى العراق وامتدت من البصرة حتى ابواب بغداد واستولت على اجزاء كبيرة من العراق . وسميت باسم حركة الزنج لان اتباعها كما يقول الطبرى مؤلفين من جماعات متنوعة من زنوج زنجبار وشرقى افريقية وكانوا يعملون حول البصرة فى استصلاح الاراضى والاستفادة من املاحها المتجمعة وكانت كل جماعة منهم يتراوح عددها من خمسة آلاف الى خمسة عشر الف عبد[٢] .

وكانت حالة هؤلاء العبيد مهيئة للثورة حيث الفقر والجهل . ولذا يقول العشى : ان امر هؤلاء الزنوج وصل الى حالة سوء شديدة وقد كثر عددهم وصاروا جماعات جماعات وكانوا يجتمعون ويبكون امرهم ويندبون حظهم دون ان يسمع اليهم احد ومع ذلك فهم جماعة اشداء اقوياء يدل على قوتهم قيامهم بالعمل فى اراض مستنقعة وفى اجواء موبوءة واستطاعتهم تحمل قساوة العيش .

وكان لتجمعهم جماعات اكبر الاثر فى الاتفاق وانتفاهم بحيث اصبحوا مهيئين للثورة كما انهم اشخاص اميون لا يعرفون من الثقافة والعلم شيئا فكان لابد لهم من قائد يقودهم وهو يهيئهم الى العمل الثورى .

---

(١) بدأت الحركة الخرمية سنة ٢٠١ هـ، وانتهت سنة ٢٢٣ هـ، اى انها استمرت اثنان وعشرون عاما اما ثورة الزنج فبدأت سنة ٢٢٥ هـ ، وانتهت سنة ٢٧٠ هـ فعمرها خمسة عشر عاما .

(٢) تاريخ الامم للطبرى (٧ : ٥٤٦ - ٥٤٧) .

فى مثل هذه الاجواء يعتبر نشر الدعوة الثورية وادخال فكرة المقاومة فى اذهان هؤلاء العبيد امر سهل جداً [١]. لذلك ما ان خرج صاحبهم ودعا الى الثورة الا وهبوا مسرعين بالانضمام الى دعوته والقتال معه .

صاحب الزنج :

انتسب صاحب الزنج الى النسب العلوى فزعم مرة انه على بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب وزعم مرة اخرى انه على بن محمد بن الفضل بن الحسين بن عبد الله ابن عباس بن على بن ابى طالب [٢].

وتتفق اغلب المصادر على انه من الادعياء المطعون فى نسبهم وان مزاعمه فى الانتساب الى العلويين كاذبة وغير صحيحة [٣].

ويقرر ابن الجوزى والسيوطى اسمه بانه بهبوذ [٤] فهو فارسى الاصل ويرجح هذا الرأى العشى ويعتبره الاسم الاصلى لصاحب الزنج [٥]. لكن ابن كثير يعتبر بهبوذ هذا من اكبر امراء صاحب الزنج وليس الزعيم الاصلى للزنوج [٦].

والراجح ان اسمه على بن محمد بن عبد الرحيم وان اباه من عبد القيس والى ذلك ذهب كل من الطبرى وابن كثير [٧]. ويقول العصامى

---

(١) انظر تاريخ عصر الخلافة العباسية ليوسف العشى (ص١١٠) .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ١٨) .

(٣) انظر تاريخ الامم للطبرى (٧ : ٥٤٣) ، البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ١٨) ، دول الاسلام للذهبى (١ : ١٥٢) ، الفخرى فى الاداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٢٥٠) ، النجوم الزاهرة لابن تغرى (٣ : ٢٢) .

(٤) المنتظم لابن الجوزى (٥ : ٦٩) ، تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص٣٦٣) .

(٥) تاريخ عصر الخلافة العباسية (ص ١١٠) .

(٦) البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٤١) .

(٧) تاريخ الامم للطبرى (٧ : ٥٤٣) ، البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ١٨) .

مؤيدا لهما : والذى ثبت عند المحققين انه على بن عبد الرحيم بن عبد القيس .[1]

يصفه ابن طباطبا بانه كان فصيحا بليغا استمال قلوب العبيد من الزنج بالبصرة ونواحيها وكان من مبدأ حاله فقيرا لا يملك سوى ثلاثة اسياف حتى انه اهدى له فرس فلم يكن له لجام ولا سرج يوكبه بهما .[2]

ويقول الذهبى عنه انه كان فى اول امره منجما يكتب الحروز .[3]

كما يصفه العشى بانه صاحب فكر ونظر يحمل عقله كثيرا اكثر مما يحمل سلاحه وكان فنانا فى تحايله ووسائله التى يستعملها .[4]

بدأ دعوته فى البحرين واخذ يجمع الانصار ولكن دعوته هناك جرت الى فتنة ففر من البحرين مع طائفة من اتباعه كان ابرزهم سليمان بن جامع اكبر قواده وورد البصرة سنة ٢٥٤ هـ ولم يطل المقام فيها اذ سرعان ماهرب الى بغداد حين احس به عامل الخليفة الذى سجن بعض اقربائه واتباعه ولكنه عاد الى البصرة سنة ٢٥٥ هـ بعد عزل العامل ، وفى هذه السنة اعلن خروجه وجاهر بحركته وخطب فى اتباعه ووعدهم ان يقودهم ويملكهم الاموال وذكر ماكانوا عليه من سوء الحال وانه يريد ان يرفع اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال والمنازل ويبلغ بهم اعلى الدرجات .[5]

ولخص العشى اهداف صاحب الزنج بثلاثة امور وهى :

(١) تحرير الزنوج ورفع مستواهم .

(٢) تمكينهم من الحصول على الاموال والارقاء والعبيد .

(٣) تمكينهم من الوصول الى السلطان والقوة والملك .

واضافة الى الزنوج فقد انضم اليه بعض الاعراب المتذمرين من الحكم

---

(١) سمط النجوم (٣ : ٤٠٦) .

(٢) الفخرى فى الاداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٢٥٠) .

(٣) دول الاسلام للذهبى (١ : ١٦٤) .

(٤) تاريخ عصر الخلافة العباسية (ص ١١٠) .

(٥) تاريخ الطبرى (٧ : ٥٤٧) .

العباسى والذين يحبون النهب والسلب حيث اطمعهم فى ذلك[١] .

وفى سنة ٢٥٨ هـ انضم الباهليون اليه عندما اسر قائدهم وصلب على يد الخليفة المعتمد[٢] . كما ايده بعض اهل القرى من اعمال البصرة كأهل قرية الكرخ فقد دعوا له بخير وامدوه من الانزال بما اراد[٣] .

ويضيف الذهبى الى انه التف على صاحب الزنج كل شيطان حتى استفحل امره[٤] . وحينما اجتمع لديه هذا العدد الضخم اخذ يغير على المدن والقرى ويعمل جيشه فيها قتلا وتشريدا وسلبا وعاث الزنج بالبلاد فسادا كبيرا .

ويذكر الطوسى تصرفات الزنوج حينما اعلن قائدهم الثورة بانهم قتلوا سادتهم واستولوا على نعمهم ونسائهم وقصورهم واستطالت ايديهم بالفساد والظلم[٥] .

وتذكر كتب التاريخ المعارك التى نشبت بينه وبين الجيش العباسى وكيف كانت انتصاراته فى اول الامر على حساب الهزائم المتكررة للجيش العباسى وفى آخر الامر وبعد مخاض طويل تمكن المسلمون منه واسروه ثم قتلوه سنة ٢٧٠ هـ .

ويقدر القتلى من جراء تلك المعارك بمليون ونصف مليون قتيل[٦] .

وبقتل صاحب الزنج انتهت حرب ضروس كادت ان تهز كيان الدولة العباسية وتقضى على ماتبقى من سلطة الخلفاء .

---

(١) تاريخ عصر الخلافة العباسية (ص ١١١ - ١١٢) .

(٢) المنتظم لابن الجوزى (٥ : ٨) .

(٣) تاريخ الطبرى (٧ : ٥٥٢) .

(٤) دول الاسلام للذهبى (١ : ١٥٣) .

(٥) سياست نامه لنظام الملك الطوسى (ص ٢٧٧) .

(٦) انظر دول الاسلام للذهبى (١ : ١٦٤) ، النجوم الزاهرة (٣ : ٤٨) ، تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ٣٦٤) ، وكلهم نقلا عن الصولى . والفخرى فى الاداب السلطانية لابن طباطبا (ص ٢٥١) .

وفى الواقع فان ثورة الزنج كانت من اكثر حركات المعارضة التى هددت الخلافة العباسية وفتحت الابواب على مصراعيها لقيام جماعات اخرى اكثر جدة وتنظيما وهؤلاء هم القرامطة الذين لا زالت دعوتهم فى دور البناء والتأسيس عندما كانت ثورة الزنج فى ابان قوتها (١) .

ولا شك ان المعارك والحروب مع صاحب الزنج ساعدت كثيرا على تهيئة الجو المناسب لظهور القرامطة وتغلبهم فى بادئ الامر حيث لا مقاومة ولا قتال لان الجيش العباسى منهكا وضعيفا من جراء تلك الحروب .

مزاعم صاحب الزنج :

تنتشر الخرافة والدعاوى الكاذبة فى مجتمع الجهل والفقر وسوء الاحوال والهدامون والمخرقون لا يجدون لهم مكانا ولا سبيلا الى الظهور الا بمثل هذه الاجواء وما صاحب الزنج الا واحد من هؤلاء حيث ظهر فى وسط اشخاص اميين لا يعرفون من الثقافة والعلم شيئا فادعى لهم اولا انه مبعوث العناية الالهية لانقاذ العبيد وانتشالهم مما هم فيه وان هذه العناية ترشده وتساعده لبلوغ هذا الهدف (٢) .

كما ادعى لهم ايضا انه مطلع على المغيبات وانه يعلم ما فى ضمائر اصحابه وان الله هو الذى يعلمه بذلك . ويقول ابن كثير انه تبعه على هذه الدعاوى جهلة من الطغام وطائفة من الرعاع والعوام (٣) .

وكان كثيرا ما يزعم لاصحابه ان الملائكة تقاتل معهم ويقول لهم انى لمنصور على الناس والملائكة تقاتل معى وتثبت جيوشى ويؤيدونى فى حروبى (٤) .

---

(١) انظر الخلفية العقائدية لحركة القرامطة (ص ٤٨) .

(٢) انظر تاريخ الامم للطبرى (٧ : ٥٤٧) .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ٣٦٣) ، البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ١٩) .

(٤) المرجع السابق (١١ : ٢٩) .

ومما تجدر ملاحظته انه لم يعتنق مبادئ الشيعة او ينادى عليها - على الرغم من ادعائه النسب العلوى - بل بشر بمبادئ الخوارج وزعم انه يسير على طريقتهم التى تنكر مبدأ الوراثة وان الخليفة ليس هو العربى فقط بل يصح ان يكون العبد خليفة وكتب على راياته شعار الازارقة من الخوارج وهو قوله تعالى " ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله ... "(١) .

وكان له منبر فى مدينته يصعد عليه ويسب عثمان وعليا ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم .

ولذا يقول الذهبى : والظاهر انه كان زنديقا يتستر برأى الازارقة من الخوارج(٢) ، وقد اشتط به الامر فادعى النبوة وانتحل الوحى وزعم انه ارسل الى الخلق ولكنه رد الرسالة آخر الامر لخوفه من عدم القيام باعبائها(٣) . وقد اهله اهل البحرين - موطن دعوته الاولى - بمحل نبى فجبى الخراج ونفذ فيهم حكمه وقاتلوا اصحاب السلطان بسببه(٤) .

ويرى الطوسى ان صاحب الزنج ممن يدين بالمذهب الباطنى وان مذهبه كمذهب مزدك وبابك والقرامطة(٥) .

ومن الجدير بالذكر انه جرت محاولة بين صاحب الزنج وحمدان قرمط لايجاد نوع من التفاهم بينهما ضد الدولة العباسية ومن تفصيل ذلك يقول الطبرى : ان قرمط قال فى حديث الى صاحب الزنج انى وصلت اليه وقلت له : انى على مذهب وورائى مائة الف سيف فناظرنى

---

(١) تاريخ الامم للطبرى (٧ : ٥٤٦) ، سورة التوبة : ١١١ .

(٢) دول الاسلام للذهبى (١ : ١٦٤) ، تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ٣٦٤) .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٣٠) ، تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ٣٦٣) ، تاريخ مصر الخلافة العباسية للعشى (ص ١١١) .

(٤) تاريخ الامم للطبرى (٧ : ٥٤٣) .

(٥) سياست نامه للطوسى (ص ٢٧٦ - ٢٧٨) .

فان اتفقنا على مذهب ملت بمن معى اليك وان تكن الاخرى انصرفت عنك فناظرته الى الظهر فتبين لى آخر مناظرتى اياه انه على خلاف امرى (١).

ولا شك ان عدم اتفاقهما راجع الى امرين :

الاول : اختلاف المبادىء فبينما صاحب الزنج يبشر بمذهب الخوارج ويدعو اليه نجد ان حمدان قرمط يدعو الى مبادىء الشيعة الغلاة التى آمن بها واعتنقها من دعاة الاسماعيلية .

الثانى : محبة الزعامة والسيادة لدى كل واحد منهما حيث ان كل واحد يطمع بالاخر ولذا يقول ابن ايبك : ان صاحب الزنج لم يلتفت الى قوله ـ اى حمدان قرمط ـ ولم يجد فيه مطمعا لانه كان يدعو الى نفسه (٢).

ورغم اختلاف الحركتين فى المبادىء وحول الزعامة الا انهما متشابهتين فى الدافع والهدف وذلك بحكم قيامهما فى عصر واحد وانتشار كل منهما فى اواسط الطبقة العامة فى جنوب العراق (٣).

والخلاصة التى نصل اليها ان حركات المعارضة نبهت الاذهان فى جنوب العراق الى ضرورة استنكار الاوضاع الجائرة فاسهمت بنصيب وافر فى انجاح الحركة القرمطية (٤).

كما ان اهتمام العباسيين وتوجيه كامل قوتهم للقضاء على حركات المعارضة انساهم وصرفهم من حركة القرامطة التى تبنى نفسها فى الخفاء مع الاستفادة من اخطاء الثوار قبلها ، ويشير المقريزى الى هذا الواقع بقوله : وكان الذى اعان القرامطة على النجاح تشاغل الخليفة

---

(١) تاريخ الامم للطبرى (٨ : ١٦٢) .
(٢) كنز الدرر (٦ : ٥٤) .
(٣) قرامطة العراق لعليان (ص ٢٥) .
(٤) قرامطة العراق لعليان (ص ٢٥) .

بفتنة الخوارج وصاحب الزنج بالبصرة وقصر يد السلطان وخراب العراق وركوب الاعراب واللصوص بالقفر وفى مثل هذه الظروف تمكن هؤلاء (اى القرامطة) وبسطوا ايديهم فى البلاد وعلت كلمتهم.(١)

(١) انظر اتعاظ الحنفا (١:١٥٩).

الفصل الثالث

الباطنية وزعماؤهـــا

(١) تعريفها وبدايتها :

لفظ الباطنية : مأخوذ من بطن خفى فهو باطن جمعه بواطـــن واستبطن امره وقف على دخلته والبطانة بالكسر السريرة والباطن داخـل كل شيء ومن الارض ماغمض .[1]

وسمى الباطنية بذلك لانهم يدعون ان لظواهر القرآن والاخبـار بواطن تجرى فى الظواهر مجرى اللب من القشر[2] . ومما قال الشهرستانى عن الباطنية : انه لزمهم هذا اللقب لحكمهم بان لكل ظاهر باطنـــا ولكل تنزيل تأويل[3] .

والباطنية اصطلاح عام وجامع لطوائف متعددة ومذاهب متشعبـة القاسم المشترك بينها الاعتقاد بالظاهر والباطن وتأويل النصوص الظاهرة الى معان باطنية اختصوا بها وزعموا معرفتها دون سواهم .

فالباطنية ليست فرقة معينة فقط وانما هى وصف مشترك لكل مـــن يعتقد بالظاهر والباطن ويندرج تحت هذا فرق متعددة .

اما بدايتها فيزعم احد المتعصبين للباطنية انها ابتدأت مـــع الرسالة الاسلامية ومع بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : ولعــل الحدث التاريخى الهام الذى بلغت فيه الفكرة الباطنية حد الوضـــوح الكامل من حيث الشكل والمبنى يعود الى بعث النبى الهادى محمد صلى الله عليه وسلم رسولا الى العالمين[4] .

---

(١) القاموس المحيط للفيروزبادى (٤ : ٢٠٢) .
(٢) فضائح الباطنية للغزالى (ص ١١-١٢) ، تلبيس ابليس لابن الجـوزى (ص ١٠٢) .
(٣) الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٩٢) .
(٤) الحركات الباطنية لمصطفى غالب (ص ٤٦) .

ويرى الجويني ان ظهور الباطنية انما كان في صدر الاسلام وبعد ايام الخلفاء الاربعة يقول عن ذلك : وفي صدر الاسلام بعد ايام الخلفاء الراشدين ظهر من بين المسلمين جماعة لم تأتلف ضمائرهم مع دين الاسلام فقد رسخت عصبية المجوس في قلوب هذه الطائفة ولكى يشيعوا بين الناس الشك والضلال اذاعوا اقوالا مؤداها ان لظاهر الشريعة باطنا مستتر على اكثر الناس ودعموا هذه الاباطيل بالاقوال التي وصلت اليهم عن فلاسفة اليونان كما اقتبسوا بعض المبادىء من مذاهب المجوس [(١)] .

اما الديلمي فيرى ان ابتداء وضع مذهب الباطنية في سنة خمسين ومائتين من الهجرة وضعه قوم من الفلاسفة والملحدة والمجوس واليهود تطابق هؤلاء على بغض الاسلام وبغض نبيه صلى الله عليه وسلم [(٢)] .

ويرى البغدادي ان دعوة الباطنية ظهرت في ايام المأمون [(٣)] على يد حمدان قرمط وعبدالله بن ميمون القداح . وان هذه الدعوة انتشرت في زمان المعتصم [(٤)] . وهكذا ومن خلال تعدد هذه الاراء نجد انه من المستحيل تحديد سنة بعينها لظهور الباطنية لا سيما اذا تذكرنا انها ليست فرقة واحدة بعينها وانما هي فرق ومذاهب شتى يجمعها منطلق الاعتقاد بالظاهر والباطن كما انها مع ذلك مذهب خفي اتخذ مؤسسوها السرية والكتمان وسيلة من وسائل الحفاظ على حياة دعاتها وما يدعون اليه

---

(١) تاريخ جهانكشاي للجويني (ص ١٥٠) .

(٢) بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص٣) .

(٣) هو الخليفة السابع من خلفاء بني العباس تولى الخلافة سنة ١٩٨هـ وبقي خليفة لمدة عشرين عاما حيث توفي عام ٢١٨هـ وفي فترة خلافته انتشرت الافكار الفلسفية من يونانية وهندية وغيرهما وحصل من جراء ذلك محن ومصائب كثيرة لاهل السنة والجماعة .

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ١٦ - ٢٦٨) .

وغاية ما يمكن ان نقوله : ان نشاط هذه الفئة لم يظهر بشكل منظم ومرسوم الا على يد ميمون القداح الذى كان له دور التنظيم لهذه الفرقة وتعليم الدعاة وارسالهم الى اقطار متعددة [1] .

---

(١) انظر مقدمة مشكاة الانوار (ص ٧) .

(٢) فرق الباطنية :

يشترك الغزالى وابن الجوزى فى ان للباطنية ثمانية القاب وهى :

(١) الباطنية . (٢) التعليمية .
(٣) القرامطة . (٤) الاسماعيلية .
(٥) الخرمية . (٦) البابكية .
(٧) المحمرة . (٨) السبعية . (١)

والملاحظ على هذه الالقاب ان فيها ذكرا لبعض فرق الباطنية كما ان فيها ذكرا لبعض منطلقاتهم واقحاما لبعض الحركات الثورية التى تختلف مع باقى الفرق الباطنية حول دعوى التشيع لآل البيت وبيان ذلك :

ان لفظ الباطنية لقب عام تشترك فيه عدة فرق من اهمها الاسماعيلية والقرامطة وقد اقتصر ابن الجوزى والغزالى عليهما ولم يتعرضا لبقية الفرق الاخرى . واما لفظ التعليمية فيعتبر منطلقا من منطلقات الباطنية والمراد منه : ابطال الرأى واغلاق باب الاجتهاد والتعلم من الامام المعصوم . (٢)

ومثله لفظ السبعية حيث يدل على بعض معتقداتهم من الكون والائمة اما لقب الخرمية والبابكية والمحمرة فهى جميعها تدل على حركة ثورية تقدم الكلام عليها فالخرمية نسبة الى حاصل مذهبهم وزبدته والبابكية نسبة الى زعيمهم بابك والمحمرة للبسهم ثيابا مصبوغة بالحمرة .

وبقى من هذه الالفاظ لقبى القرامطة والاسماعيلية وهما فرقتان من اكبر الفرق الباطنية ذكرهما ابن الجوزى والغزالى ضمن مسميات الباطنية ولكنهما لم يتعرضا لبقية الفرق الباطنية الاخرى واهم هذه الفرق :

النصيرية . نسبة الى ابن نصير مؤسس الفرقة . والدروز نسبة

---

(١) انظر فضائح الباطنية (ص ١١ - ١٢) ، تلبيس ابليس لابن الجوزى (ص١٠٢ - ١٠٦) .

(٢) فضائح الباطنية (ص ١٧) ، تلبيس ابليس (ص ١٠٦) .

الى محمد الدرزى مؤسس الفرقة ايضا[1] .

وعلى هذا فان فرق الباطنية الكبرى اربع وهى :

(١) الاسماعيلية .

(٢) القرامطة .

(٣) النصيرية .

(٤) الدروز .

وجميع هذه الفرق تندرج تحت ستار التشيع لآل البيت . ومن الملاحظ ان هناك تداخلا واشتراكا بين هذه الفرق سواء من ناحية العقائد او المسميات . فالغزالى وابن الجوزى اعتبرا الباطنية اصلا والقرامطة والاسماعيلية فرعا منها كما ذكرنا قبل قليل . وفى موضع آخر اعتبر ابن الجوزى ان الامر بالعكس حيث قال ان القرامطة لهم القاب ثمانية ومنها لقب الباطنية[2] .

وكذلك الشهرستانى لما تحدث عن الاسماعيلية قال : ومن اشهر القابهم الباطنية وانهم يسمون بذلك فى العراق[3] .

وهذا انما يدل على شدة التشابه والاشتراك بين هذه الفرق وقد تنبه الامام ابن تيمية رحمه الله الى ذلك ففى عباراته واطلاقاته كثيرا مايجمع هذه الفرق على اعتبار ان عقائدها متماثلة مع وحدة المصدر والهدف[4] .

وعند دراسة اصول هذه الفرق نجد انها جميعها ترجع الى اصل واحد ومنطلق واحد فالقرامطة حركة ثورية ترجع فى اصولها ومعتقداتها الى الاسماعيلية التى نشأت وانتشرت بجهود زعماء الباطنية

---

(١) مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوى (ص ٩) .

(٢) القرامطة لابن الجوزى (ص ٣٥) .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٩٢) .

(٤) انظر على سبيل المثال المنتقى (ص ١٩) ، الفتاوى (٤ : ٧٧) ، بغية المرتاد فى مواضع متعددة من المخطوطة .

المشهورين [١] .

وهناك منهج آخر لتقسيم فرق الباطنية وذلك بحسب اعتقادهم عن الظاهر والباطن . يقول يحيى بن حمزة : ان الباطنية فرق كثيرة ولكنهم بالاضافة الى اعتقاد الباطن فريقان :

فالفريق الاول يذهبون الى بطلان الظواهر وانه لاعبرة بها ولا تعويل عليها وانما المعتمد عندهم الامور الباطنية التى تضمنتها ظواهر الشريعة .

واما الفريق الثانى : فلا يرون ابطال ظواهر الشريعة بالكلية ويأنفون من مقالة الفريق الاول ويقولون ان ظواهر الشريعة معمول بها فى ظاهرها ولها ايضا بواطن هى سرها ولبابها فيعملون بزعمهم عليهما جميعا [٢] .

ويضيف بعض الكتاب المعاصرين [٣] فرقا اخرى للباطنية لا تزال منتشرة بين المسلمين الى اليوم ولكل منها رأى فى التأويل الباطن وذلك كالبابية والبهائية والقاديانية .

---

(١) كميمون القداح وعبدالله بن ميمون وسنأتى على ترجمة كل منهما بالتفصيل .

(٢) مشكاة الانوار ليحيى العلوى (ص ٦٥ - ٦٦) .

(٣) انظر التفسير والمفسرون للذهبى (٢ : ٢٥٣) ، مقدمة مشكاة الانوار للجليند (ص ٧) .

(٣) عقائد الباطنية اجمالا :

على تعدد فرق الباطنية وانشقاقاتها الى شيع واحزاب، الا ان هذه الفرق يجمعها عقائد مشتركة ومنطلقات فكرية موحدة . وحيث ان المقام مقام اجمال فسوف اعرض هذه العقائد على سبيل الاجمال، اما التفصيل فسنتعرض له في الباب الثالث وذلك عند الحديث على عقائد القرامطة لان الحركة القرمطية بعقائدها ونظمها ماهي الا مظهر من مظاهر الحركة الباطنية الواسعة .

ان عقائد الباطنية واعمالهم تباين الاسلام مباينة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ففي باب الالهيات يقولون بالهين قديمين لا اول لوجودهما وهما العقل والنفس ويسميان العلة والمعلول والسابق والتالي، واللوح والقلم والمفيد والمستفيد .

وقالوا ان البارى لا يوصف بموجود ولا بمعدوم ولا هو معلوم ولا هو مجهول ولا موصوف ولا غير موصوف ولا قادر ولا غير قادر ولا عالم ولا غير عالم وهلم جرا الى آخر الصفات . ويقولون بالطبع وتأثير الكواكب وغرضهم نفي الصانع تعالى .

واما في النبوات فقولهم قريب من قول الفلاسفة وينكرون الوحي ومجيء الملائكة والمعجزات ويقولون كلها رموز واشارات وامثال ومشولات لم يعلمها اهل الظاهر .

فمعنى ثعبان موسى غلبته عليهم ومعنى اظلال الغمام امره عليهم وانكروا ان يكون عيسى عليه السلام من غير اب ومعنى لا اب له انه لم يأخذ العلم من امام وانما اخذ من نائب الامام ويقولون ان القرآن كلام محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى " انه لقول رسول كريم "(1) .

ونبع الماء من الاصابع اشارة الى تكثير العلم وطلوع الشمس من

---

(١) سورة التكوير : ١٩ .

المغرب المراد منها خروج الامام وكذا تأولوا باقى المعجزات .

واما فى الامامة فاتفقوا على انه لابد فى كل عصر من امام معصوم يرجع اليه فى جميع العلوم ولا يلتفت الى العقول اصلا وقالوا انه يساوى النبى فى العصمة والاطلاع على حقيقة كل شئ ولا ينزل عليه وحى بل يتلقى ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم لانه خليفته ويستظهر هذا الامام بالحجج والمأذونين والاجنحة فالحجج الدعاة فى الارض وهم اثنا عشر اربعة منهم لا يفارقونه فهو المعاون والمأذون والاجنحة هم الرسل بين الدعاة وامامهم .

وقالوا مدة شريعة كل نبى سبعة اعمار فاولهم الناطق وهو الناسخ لشرع من قبله والصامت وهو القائم . قالوا وهكذا كان حال آدم ثم الانبياء والاوصياء بعده عددا الى محمد صلى الله عليه وسلم وقد تم دور ذلك بجعفر بن محمد ونسخ شريعته وهكذا ابد الدهور .

واما المعاد فقد اتفقوا على انكار القيامة والبعث والنشور والجنة والنار وعلى ماورد به القرآن وماعرف من دين محمد النبى صلى الله عليه وسلم ضرورة . ويقولون معرفة المعاد واجبة بخلاف ماعليه اهل الظاهر ومعنى القيامة قيام قائم الزمان وهو خروج امامهم السابع.

والمعاد عود كل شئ الى اصله من الطبائع الاربع . فالانسان مركب من الروحانى والجسمانى . فالجسمانى مركب من الاخلاط الاربعة الصفراء والسوداء والبلغم والدم فينحل الجسم ويعود كل شئ الى طبيعته واصله فالصفراء تصير نارا والسوداء ترابا والدم هواء والبلغم ماء وذلك هو المعاد .

واما الروحانى منه فهو النفس المدركة فان صفت بفعل العبادات وزكت بمجانبة الشهوات وغذيت بالعلوم الباطنة اتصلت بالعالم الروحانى الذى انفصل عنه وذلك يسمى رجوعا كما قال تعالى " ارجعى الى ربك راضية مرضية"(١).

---

(١) سورة الفجر : ٢٨ .

واما النفوس المنكوسة من رشدها من متابعة الائمة المعصومين فانها تبقى ابد الدهر تتناسخها الابدان وتتعرض للالام والاسقام فلا تفارق الجسد الا ويتلقاها آخر ولذلك قال تعالى " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب "[1] .

ويقولون الموت خروج الروح من الجسد ونقله الى مكان ولا يموت ابدا . وان هذا النظام من العالم المشاهد كتعاقب الليل والنهار وكحصول الانسان من نطفة والنطفة من الانسان والحيوانات فهذه المخلوقات لا تنصرم ابد الدهر وكذلك السموات والارض لا تتغير عما كانت .

ويقولون للشرائع باطن لا يعرفه الا الامام ومن ينوب منابه . وكذلك كل ماورد فى الحشر والنشر وغيرهما فكلها امثلة ورموز الى بواطن .

والنار وعذابها عبارة عن التكاليف بالعبادات فانها موظفة على الجهال بعلم الباطن الا من علم ووضعت عنه لقوله تعالى " ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم "[2] . اى الجنة علم الباطن والنار علم الظاهر وابواب الجنة درجات العلوم الباطنة[3] .

وهكذا يظل الباطنية يلعبون بالنصوص القرآنية والاحاديث النبوية لتوافق عقائدهم واسسهم . ولذلك اعتبروا التأويل جزءاً لا يتجزأ من مذهبهم وعقيدتهم بل انه يعد من اهم معالم المذهب الباطنى .

ويبين الغزالى اجمال مذهبهم بقوله انه مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض ومفتتحه حصر مدارك العلوم فى قول الامام المعصوم وعزل العقول عن ان تكون مدركة للحق لما يعتريها من الشبهات ويتطرق الى النظار من الاختلافات وايجاب لطلب الحق

---

(١) سورة النساء : ٥٦ .
(٢) سورة الاعراف : ١٥٧ .
(٣) انظر بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى (ص٥ ـ ٨) .

بطريق التعليم والتعلم وحكم بان المعلم المعصوم هو المستبصر وانه مطلع من جهة الله على جميع اسرار الشرائع يهدى الى الحق ويكشف عن المشكلات وان كل زمان فلابد فيه من امام معصوم يرجع اليه فيما يستبهم من امور الدين .

وفى امور الاخرة يظهرون ماينا قض الشرع وبهذا فهم يوافقون اليهود والنصارى والمجوس على جملة معتقداتهم ويقرونهم عليها.(١)

كما ان الباطنية يرفضون المعجزات وينكرون نزول الملائكة بالوحى ويتأولون الملائكة بانهم دعاتهم الى بدعتهم ويزعمون ان الانبياء قوم احبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلبا للزعامة بدعوى النبوة والامامة . ونتيجة لهذه المعتقدات المنحرفة عن الاسلام واصوله يرى البغدادى ان الباطنية دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلهم الى استباحة كل مايميل اليه الطبع .(٢)

كما يقول ابن الجوزى : ان الباطنية قوم تستروا بالاسلام ومالوا الى الرفض وعقائدهم واعمالهم تباين الاسلام بالمرة فمحصول قولهم تعطيل الصانع وابطال النبوة والعبادات وانكار البعث ولكنهم لا يظهرون هذا فى اول امرهم .(٣)

ان معتقدات الباطنية خليط عجيب من المعتقدات اليونانية السابقة والمبادىء المجوسية ومعتقدات الثنوية والصابئة .

ولقد تنبه الى ذلك الشهرستانى حيث قال ان الباطنية خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج ونقل الشهرستانى بعض المعتقدات عن الافلاك وحركاتها والطبائع ومشتقاتها

---

(١) فضائح الباطنية للغزالى (ص ٣٧) .
(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٧٨ - ٢٧٩) .
(٣) تلبيس ابليس لابن الجوزى (ص ١٠٢) .

تتفق مع النظريات اليونانية سواء منها النظريات القديمة او الافلاطونية المحدثة [١].

ويضيف البغدادى الى ان من مصادرهم مذهب الثنوية القائلين بالهين اثنين هما النور والظلمة . ويقول ايضا انه مع التحقيق نجد ان قول الباطنية ـ ان المبدع الاول ابدع النفس وانهما اى المبدع الاول والنفس مدبرا هذا العالم ـ هو عين قول المجوس الذين يضيفون الحوادث الى صانعين [٢].

واشار النشار ايضا الى هذه الحقيقة ـ وهى تحدد مصادر العقائد الباطنية ـ بقوله : ان من الخطأ الشديد ان نرد العقائد الباطنية الى مصدر واحد لقد اخذت مادتها من الفلسفة اليونانية مع بعض العناصر المجوسية التى دخلت من خلال هذه الفلسفة [٣].

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٩٣ - ١٩٤) .
(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٧٧ - ٢٧٨) .
(٣) نشأة الفكر الفلسفى للنشار (٢ : ٤٢٠ - ٤٢١) .

(٤) زعماء الباطنية :

ان دعوة الباطنية ـ ككل الدعوات المنحرفة ـ نشأت ونظمت مبادؤها على يد جماعة من الثنويين الملاحدة[١] . وقد اشتهر من هؤلاء شخصيتان بارزتان ـ دارت حولهما معظم الروايات التي تتحدث عن ظهور الحركة الباطنية وانتشار مبادئها ـ وهما ميمون القداح وابنه عبدالله ولذا فان الحديث عن زعماء الباطنية انما يكون متعلقا بهاتين الشخصيتين لانهما من اهم شخصيات الدعوة وابرزها كما انهما من الصق الاشخاص بزعماء الاسماعيلية والقرامطة .

ومن خلال روايات اهل السنة عن هذين الرجلين وبيان حقيقتهما[٢] نصل الى نتائج تعطي صورة واضحة لحياتهما المملوءة حقدا وتآمرا على الاسلام والمسلمين .

ومن اقدم الروايات التي تتحدث عنهما مانقله ابن النديم عن ابن رزام قال : ان عبدالله بن ميمون ويعرف بالقداح كان من اهل قرية قريبة من الاهواز وابوه ميمون الذى تنسب اليه الفرقة الميمونية التي اتبعت ابا الخطاب مدعى الالهية على بن ابي طالب .

وكان ميمون وابنه عبدالله ديصانيين[٣] وادعى الابن انه نبي وكان

---

(١) يذكر السمعاني ان هؤلاء الجماعة اجتمعوا في سجن المهدى وفي داخله نظموا الدعوة وقسموا الدنيا الى اربعة اقاليم واختاروا اربعة من الرجال وبعثوا كل واحد منهم الى اقليم ومن هؤلاء الاربعة حمدان قرمط اما الجماعة الذين خططوا للثورة فمنهم احمد بن الحسين وعبدالله بن ميمون القداح والدنداني انظر الانساب للسمعاني (ورقة ٤٤٨) ، كما يذكر البغدادى ذلك ايضا انظر الفرق بين الفرق (ص ٢٦٦) .

(٢) يلاحظ على روايات اهل السنة انها تتحدث عن الشخصيتين سوية لما بينهما من تداخل واشتراك وقد سرت على هذا المنهج .

(٣) اصحاب ديصان وهم فرقة من فرق الثنوية القائلين بالاصلين النور والظلمة .

يظهر الشعابيذ ويذكر ان الارض تطوى له ويدعى علم الغيب حيث يخبر بالاحداث الكائنات فى البلدان الشاسعة . وكان له مرتبون فى مواضع يرغبهم ويحسن اليهم ويعاونون على نواميسه . وقد تنقل عبدالله فنزل عسكر مكرم ثم طرد منها فهرب الى موضع يعرف بساباط ابى نوح وبنى له فيها دارين ولكنه افتضح امره وفر هاربا . وصار الى البصرة وقد كبس هنالك ثم هرب اخيرا الى سلمية وبث الدعاة الى سواد الكوفة وكان ممن اجابه الى دعوته حمدان بن الاشعث الملقب بقرمط ونصب له عبد الله بن ميمون رجلا من ولده يكاتبه من الطالقان وذلك فى سنة احدى وستين ومائتين ثم مات عبدالله وخلفه ابناؤه حتى جاء سعيد الذى اسس الدولة الفاطمية ونشر الدعوة ولم يزل عبدالله وولده من بعده يدعون انهم من ولد عقيل[1] .

ويزيد المقريزى على ابن النديم قوله من عبدالله بن ميمون : انه كان اخبث من ابيه واعلم بالحيل حيث عمل ابوابا عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الاسلام . وكان عارفا وعالما بجميع الشرائع والسنن وجميع علوم المذاهب كلها فرتب ماجعله من المكر فى سبع دعوات يتدرج الانسان من واحدة الى اخرى حتى ينتهى الى الاخيرة فيبقى معرا من جميع الاديان لا يعتقد غير التعطيل والاباحة ولا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا .

ويزعم انه بهذا على هدى هو واهل مذهبه وغيرهم ضال مغفل وكان عبدالله بن ميمون يريد بهذا فى الباطن ان يجعل المخدوعين امة له يستمد من اموالهم بالمكر والخديعة . واما فى الظاهر فانه يدعو الى الامام من آل البيت ليجمع الناس بهذه الحيلة[2] .

ويشير ابن الاثير الى الاتفاق بين ميمون القداح وابو الخطاب على وضع الاحاديث الكاذبة وتشكيك المسلمين فى دينهم ويلقب ميمون بابى

---

(١) الفهرست لابن النديم (ص ٢٣٨) .

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ٢٤-٢٥) .

شاكر ويثبت ان له كتابا في نصرة الزندقة واسمه الميزان ثم يذكر بعضا من معتقدات الباطنية التي تولى نشرها ابو الخطاب وميمون القداح .

اما ابنه عبدالله فيقول عنه : ان اباه علمه الحيل واطلعه على اسرار هذه النحلة فحذق وتقدم واتصل برجل من اصبهان يلقب بدندان وكان هذا الرجل يبغض العرب ويجمع مساويهم وقد اصبح من الدعاة الى المذهب حيث سيره عبدالله بن ميمون الى الاهواز والبصرة والكوفة لبث الدعوة ونشرها هنالك (١) . اما اصل اسرة القداح التي ينتمي اليها ميمون بن ديصان وابنه عبدالله فهذا مما اوضحه القاضي الباقلاني بقوله ان القداح جد عبيدالله كان مجوسيا ودخل عبيدالله المغرب وادعى انه علوي ولم يعرفه احد من علماء النسب وكان باطنيا خبيثا حريصا على ازالة ملة الاسلام وكان القداح كاذبا مخترقا وهو اصل دعاة القرامطة (٢) .

كما يؤكد البغدادي مجوسية ميمون القداح ايضا ويقول : ان غرض الباطنية الدعوة الى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة والدليل على ذلك ان زعيمهم الاول ميمون بن ديصان كان مجوسيا من سبي الاهواز ودعا ابنه عبدالله بن ميمون الناس الى دين ابيه (٣) .

ومما اكده اهل السنة ايضا صلة القداحين باليهود نسبا ودينا يقول الحمادي ان عبدالله بن ميمون يعتقد اليهودية ويظهر الاسلام وهو من اليهود من ولد الشلعلع بل انه من احبارهم واهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب وكان صائغا يخدم شيعة اسماعيل بن جعفر الصادق (٤) .

---

(١) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٢٦) .
(٢) انظر الحاكم بامر الله لعنان (ص ٥١) .
(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٧٧) .
(٤) كشف اسرار الباطنية للحمادي (ص ١٧) .

ويقول الهمذانى ان جد القداحيين يهودى حداد كان يقيم بسلمية من ارض الشام ثم يذكر الهمذانى مدخلا عجيبا تمكن هذا اليهودى من خلاله الادعاء الى آل البيت وهو ان والدة هذا اليهودى تزوجت برجل اسمه الحسين من آل البيت وانه احب هذا الولد لما فيه من ذكاء وفطنة وتولى تربيته وعرفه اسرار الدعوة ورجالها وظهر كأحد ابنائه ثم ورث ادعاءاته للامامة (١) .

ونقل ابن شداد عن جماعة من العلماء مايثبت ان اصل الاسرة يهودى وقال ان نسبهم معروف فى اليهودية (٢) .

ومما لفت نظر اهل السنة مكانة اليهود غير المعتادة والتى تمتعوا بها ابان حكم بنى عبيد . يقول الحمادى : والدليل على ان آل القداح من ولد اليهود استعمالهم اليهود فى الوزارة والرياسة وتفويضهم اليهم تدبير السياسة ومازالوا يحكمون اليهود فى دماء المسلمين واموالهم وذلك مشهود عنهم يشهد بذلك كل احد (٣) .

ولما لعبدالله بن ميمون من دور كبير فى حركة الباطنية فقد اعتبره ابن الجوزى الرأس الحقيقى للباطنية وذكر بعض صفاته وادعاءاته يقول : وجمل للباطنية رأس يعرف بعبدالله بن ميمون بن عمرو ويقال ابن ديصان القداح الاهوازى وكان مشعبذا مخرقا ومعظم مخرقته باظهار الزهد والورع ويزعم ان الارض تطوى له ويخبر عن الاباعد بحيلة ابتدعها حيث نظم اصحابه وبعثهم الى الاطراف وامرهم ان يكتبوا له ويرسلوا هذه الاخبار بواسطة الطيور ثم يحدث الناس بذلك فتقوى شبههم (٤) .

ويذكر عبدالجبار حادثة الرجل الاصفهانى وفضيحته للقرامطة

---

(١) تثبيت دلائل النبوة للهمذانى (٢ : ٥٩٧) .
(٢) انظر الكامل لابن الاثير (٦ : ١٢٥) .
(٣) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ١٩-٢٠) .
(٤) القرامطة لابن الجوزى (ص ٧١) .

والعبيديين وذلك بكشف بعض اسرارهم ومن ضمنها ان عبدالله بن ميمون ومحمد بن الحسين احتالا على المسلمين وتستروا بالتشيع والدعاء الى المهدى وحينما تمكنوا اظهروا تكذيب الانبياء وتعطيل الشرائع وقتلوا المسلمين (١) .

وينفرد الطوسى عن غيره ببيان صلة عبدالله بن ميمون بشخص اسمه مبارك وان ابن ميمون اختلى به مرات وبالتالى اثر فى افكاره حتى انخدع مبارك به وحدثه باحاديث مستعجمة على لسان الائمة اختلطت بكلام الدهريين والفاظ الفلاسفة وبعد ذلك تفرقا للدعوة الى مذهب الباطنية اما مبارك فقصد الكوفة . واما عبدالله بن ميمون فاخذ يدعو الناس الى هذا المذهب فى قوهستان العراق .

ويذكر الطوسى بعض صفات ابن ميمون فيقول : انه مشعوذ ماهر حاذق (٢) .

كما ينفرد الديلمى بقوله عن ميمون القداح انه اسلم على يد الصادق وانه غير اسمه ولقب بالقداح ويقول عن عبدالله بن ميمون انه ادعى النبوة زمنا طويلا فى الجبال وخراسان وكان يظهر التشيع وله صاحب يعرف بالحسين الاهوازى . كما يقول ان دعوة القرامطة انتشرت على يد احد ابنائه وان العبيديين حكام مصر يعتبرون من اولاده (٣) .

انه مع الاستعراض لما نقلنا عن علماء السنة حول ميمون القداح وابنه عبدالله نصل الى الحقائق التالية :

---

(١) تثبيت دلائل النبوة للهمذانى (٢ : ٣٨٦) .
(٢) سياسة نامه للطوسى (ص ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٧٠) .
(٣) بيان مذهب الباطنية للديلمى (ص ٢٠ - ٢١) .

الاولى :

انهما شخصيتان حقيقيتان كانا لهما دور بارز في ظهور الحركة الباطنية ونشر الاراء الاسماعيلية وهذه حقيقة لم يخالف فيها الا القليل حيث ذهب بعض المستشرقين واحد المعاصرين الى ان ميمون القداح وابنه عبدالله ماهما الا شخصيتان اسطوريتان لا حقيقة لوجودهما ولا تعدو شهرتهما اسماء مستعارة لبعض الائمة (١) .

ومع شذوذ هذا الرأى فهو بعيد عن الادلة والواقع . وقد قدمنا اتفاق المصادر السنية على ذكرهما وبيان دورهما في الدعوة الاسماعيلية كما ان المصادر الاسماعيلية بدورها تحدثت عنهما كأشخاص حقيقيين كان لهما الدور الاكبر مع الائمة . يقول صاحب زهر المعاني : واوصى اسماعيل والده الصادق ان يقيم لولده حجبا ومستودعا فسلمه امنى مولانا محمد بن اسماعيل الى ميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران بن سلمان الفارسي فرباه واخفى شخصه وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح وهو كفيل له ومستودع امره وميمون من اولاد سلمان وسلمان من اولاد اسحاق ابن يعقوب اهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والابلاغ (٢) .

وبالنسبة لعبدالله بن ميمون فاشار اليه الداعي ادريس بقوله انه لما قام اول الائمة المستورين الثلاثة وهو عبدالله الرضى وتسلم الرتبة من والده كتم نفسه وستر حجبه وحدوده فكان حجته وحجابه عبدالله بن ميمون . . . ثم تحدث الداعي ادريس باسهاب من هذا الامام المستور الى ان قال : فلما تمت مدته وتمت دعوته اقام ولده احمد التقى وصعد الى المقامات الشريفة التي هي في عالم الملكوت ترتقى فقام الامام احمد بن عبدالله التقى مقامه وهو الثاني من الخلفاء وحجته عبدالله بن ميمون (٣) .

---

(١) القرامطة لعارف تامر (ص ١٠٨) .
(٢) مخطوطة زهر المعاني للداعي ادريس (ص ٤٧) .
(٣) زهر المعاني للداعي ادريس (ورقة ٥٨-٥٩-٦٠) .

اضافة الى ذلك فقد نقل المستشرق لويس بعضا من النصوص الاسماعيلية التى تدل دلالة واضحة وقوية على حقيقة ميمون وابنه عبدالله ، كما تنوه بدورهما فى نشر الدعوة الاسماعيلية وخدمة ائمتها[1] .

والحقيقة ان هذا الرأى مما انفرد به عارف تامر واضرابه من المستشرقين من امثال ماسنيون وايفانوف حتى ان كاتبا اسماعيليا معاصرا مشهورا فى فكرته الاسماعيلية ترجم لكل من ميمون القداح وابنه عبدالله ورد هذه المزاعم واعتبرها خاطئة لان المصادر الاسماعيلية القديمة تذكر ان ميمونا من نسل سلمان الفارسى ومحمد بن اسماعيل من نسل على بن ابى طالب[2] .

وفى موضع آخر ناقش هذا الكاتب رأى تامر واعتبره اسطورة وخرافة وبين تناقضه العجيب فى كتاباته ومؤلفاته التى يذكر فى بعضها ميمون القداح وابنه عبدالله اكثر من مرة ويعتبرهما من الدعاة الافذاذ والحجج الكبار للائمة[3] وفى البعض الاخر يقول عنهما انهما شخصيتان اسطوريتان[4] .

ويخلص الكاتب الاسماعيلى الى ان رأى تامر هذا من الاساطير الخيالية التى لا تستحق الجدل والمناقشة لتفاهتها وتناقضها مع الوقائع والحقائق التاريخية التى اوردها تامر نفسه فى اكثر من مناسبة تحدث فيها من اسرة ميمون القداح[5] .

الثانية :

ان لميمون القداح وابنه عبدالله دورا كبيرا فى ظهور الحركة الباطنية والدعوة الى مبادئها المنحرفة . وقد اكد ذلك كل من البغدادى

---

(١) اصول الاسماعيلية (ص ١٥١ - ١٥٢ أ) .

(٢) اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٣٤٥ - ٥٥٩ - ٥٦٠) .

(٣) انظر كتابى عبقرية الفاطميين (ص ١٤ - ١٥) ، الهفت والاظله (ص ١٦ - ١٧) بتحقيق وتقديم تامر .

(٤) كتاب القرامطة لعارف تامر (ص ١٠٨) .

(٥) الحركات الباطنية لغالب (ص ٩٠ - ٩١ - ٩٢) .

والسمعانى والحمادى والجوينى (١) .

وحينما ترجم لهما غالب نوه بالدور الكبير الذى قام به كل منهما وما قال عن ميمون : انه وضع اسس وتنظيمات الدعوة السرية ووزع الدعاة على مختلف البلدان والاقاليم ... وعلى يده ازدهر المذهب الاسماعيلى ازدهارا عظيما ... ثم يضيف قائلا ان الاسماعيليين يعتبرونه بحق اول من وضع اسس وتنظيمات دعوتهم (٢) .

وعن عبد الله بن ميمون قال : انه من اعظم منظمى اصول المذهب الاسماعيلى ومن اهم الشخصيات العلمية الفلسفية فى عصره لعب دورا هاما فى تكوين عقائد الاسماعيلية وتنظيماتها السرية (٣) .

ويصف المستشرق ارنولد نشاطه بقوله : وكان عبد الله بن ميمون هو الذى بعث فى اوائل القرن التاسع الميلادى روحا جديدة فى نفوس الاسماعيلية ونشر تعاليم مذهبهم ... وقد انبث دعاته فى كل الجهات متنكرين فى زى الصوفيين غالبا او فى زى التجار وغير ذلك وقد مرنوا على ان يستحوذوا على عقول الناس جميعا وان يجذبوا جميع الطبقات الى رئيس الدعوة الاسماعيلية . وان يستخدموا تعاليمهم عن طريق التفاهم مع كل فرد بلغته الخاصة وعلى مقدار عقله (٤) .

وهكذا نجد ان نشاط الباطنية لم يظهر بشكل منظم ومرسوم الا على يد ميمون القداح الذى اجمعت كل كتب الفرق والملل والنحل ان هذا الرجل هو المؤسس الحقيقى لهذه الطائفة حيث نظم هذه الحركة وعلم دعاتها وارسلهم الى الاقطار المختلفة لنشر مبادئ الباطنية وتعاليمها (٥) .

---

(١) الفرق بين الفرق (ص ٢٦٦) ، الانساب (ورقة ٤٤٨) ، كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ١٦) ، تاريخ جهانكشاى (ص ١٥٩) .

(٢) اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٥٦٠-٥٦١) .

(٣) اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٣٤٥) .

(٤) الدعوة الى الاسلام لارنولد (ص ٢٤١) .

(٥) انظر مقدمة مشكاة الانوار للجليند (ص ٧) .

الحقيقة الثالثة :

ان عبدالله بن ميمون فارسي اهوازي ينسب الى الاهواز حيث موطن اسرته ولذا يقال عنه الاهوازي اما نسبته الى مكة وتلقيبه بالمكي فهي نسبة خاطئة وقعت بعضا من الكتاب في الخطأ والخلط بين شخصيتين متفاوتتين اهدافا وتاريخا .

وبيان ذلك ان بعض الكتاب المستشرقين من امثال ايفانوف وبرنارد لويس اعتبروا عبدالله بن ميمون الاهوازي مسكنا الباطن مذهبا هو نفس عبدالله بن ميمون المكي المحدث عند الشيعة الاثنى عشرية . ومما نقل لويس في معرض حديثه عن الاهوازي والذي لقبه بالمكي انه قال : انه محدث (اي الاهوازي) وانه مولى لجعفر كما نسب الى الذهبي وكذب عليه[1] بقوله : انه اقتبس آراء توثقه ـ اي الاهوازي ـ في رواية الحديث وتجعله حجة[2] .

وكذلك المستشرق ايفانوف نقل في كتابه (المؤسس المزعوم للاسماعيلية) ان عبدالله بن ميمون ورد في كتب اهل السنة من المحدثين كالذهبي وابن حجر وابن النجار ولم تنسب اليه تهمة الالحاد[3] . والواقع ان خلطهم هذا واضطرابهم راجع الى امرين :

(١) المحاولة الجادة منهما لتبرئة عبدالله بن ميمون الاهوازي مما اشتهر به من الالحاد والزندقة ونشر مذاهب الثنوية والمجوسية والباطنية . وهذا واضح في قول لويس : ان كثيرا من احكام المصادر السنية خاطئة في ميمون القداح وابنه عبدالله وانهما كانا في مستهل حياتهما محدثين شيعيين

---

(١) انظر كلام الذهبي ومانقله من علماء الجرح والتعديل حول عبدالله بن ميمون في ميزان الاعتدال (٢ : ٥١٢) ومن خلاله يتضح كذب لويس وافتئاته على الذهبي .

(٢) اصول الاسماعيلية (ص ١٤١) .

(٣) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢ : ٣٨١-٣٨٢) .

موثقين معروفين ولم يكونا ديصانيين ثنويين او ماشابه ذلك[١].

اما ايفانوف فقد نقلنا قبل قليل مايدل على نفس هذه المحاولة اضافة الى ذلك انه جند نفسه لخدمة التراث الاسماعيلي والذب عن ائمة الاسماعيلية ودعاتهم ولذا يقول النشار عنه : انه يقف دائما بجوار الفكرة الاسماعيلية ويجعل نفسه اسيرا لها ولا يرى سواها[٢].

(٢) الامر الثاني يعتبر مساعدا لهما على هدفهما الذى ذكرناه آنفا وهو : الاشتراك اللفظي لاسم كل واحد من الشخصيتين حيث انهما يسميان بعبدالله بن ميمون القداح .

والحقيقة ان الفرق واضح بينهما حيث ان عبدالله بن ميمون المكى يعتبر محدثا عند الشيعة ولكنه واه عند اهل السنة اما الاهوازى فهو عند اهل السنة ثنوى ديصانى جند نفسه لنشر الافكار الباطنية المسمومة . وهذه الحقيقة ادركها ابن الاثير حينما تحدث عن لقب القداحية فاوضح الفرق بين الاهوازى والمكى حيث لقب الاول منهما بالقداحى وقال ان هذه النسبة الى طائفة الباطنية اما الثاني فلقبه بالقداح وقال عنه انه يروى عن جعفر بن محمد بن طلحة وغيره المقلوبات[٣].

كما ان الفرق واضح بينهما من ناحية الفترة الزمنية فالمكى عاش فى القرن الثانى اما الاهوازى فعاش فى القرن الثالث وحينما تحدث ابن حجر من رجال الطبقة الثامنة اعتبر عبدالله بن ميمون المكى من هؤلاء الطبقة وهم الذين توفوا بعد المائة وقبل المائتين[٤].

ويحدد الزركلى وفاة عبدالله بن ميمون المكى بعام ١٨٠هـ[٥]. اما

---

(١) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١٤٩) .

(٢) نشأة الفكر الفلسفى (ص ٣٨٢) .

(٣) اللباب لابن الاثير (٣ : ١٧-١٨) .

(٤) انظر تقريب التهذيب لابن حجر مادة عبدالله .

(٥) الاعلام للزركلى (٤ : ٢٨٦) .

عبدالله بن ميمون الاهوازى فقد عاش فى القرن الثالث حيث ارتبطت جهوده واعماله باشخاص عاشوا فى هذا القرن من امثال حمدان قرمط ودندان الشعوبى المشهور . يقول غالب فى ترجمة عبدالله بن ميمون الاهوازى : ان ماذكر عنه من انه عاصر الباقر والصادق فى اوائل القرن الثانى الهجرى لا يعتمد عليه لان اغلب المصادر الموثوقة تشير الى انه عاش فى القرن الثالث حتى قابل دندان بعد سنة ٢٦٥هـ ثم يقول انه مات سنة ٢٧٠هـ فى سلميه ودفن بها[1]. وغالب المصادر - سواء كانت سنية او شيعية اثنا عشرية - اذا تحدثت عن عبدالله بن ميمون فانما المقصود به المكى الذى عاش فى القرن الثانى وليس الاهوازى الذى عاش فى القرن الثالث[2].

وقد نقل لويس نصوصا متعددة عن الشيعة الاثنى عشرية وكلها تتحدث عن المكى حيث تعتبره من رواة الاحاديث الذين رووا عن الباقر والصادق وانه عاش فى القرن الثانى .

ومن النصوص التى نقلها ماروى عن الكشى ان محمد الباقر قال لعبدالله بن ميمون القداح المكى : يا ابن ميمون كم انتم بمكة ؟ فقال نحن اربعة[3].

ومما قدمنا يتضح الفرق بين الاهوازى والمكى سواء من الناحية الزمنية لكل منهما او الاهداف والافكار التى تبناها كل واحد منهما ودعا اليها ونتيجة لعدم ادراك هذا الفرق بين المكى والاهوازى حصل خلط كبير اوقع العديد من الكتاب فى احكام خاطئة .

---

(١) اعلام الاسماعيلية لغالب (ص ٣٤٧) .
(٢) انظر ميزان الاعتدال للذهبى (٢ : ٢) ٥ ،تهذيب التهذيب لابن حجر(٦ : ٤٩) .
(٣) اصول الاسماعيلية (ص ١٤٧ - ١٤٨) .

الحقيقة الرابعة :

ان ميمون القداح الاهوازى وابنه عبدالله مزجا بين المذاهب والديانات المتعددة وذلك من خلال دعوتهم الى المذهب الباطنى وتلك وسيلة من وسائلهم الخبيثة جذبوا فيها عددا كبيرا من الاتباع حتى كانت النتيجة المدهشة وهى ان جمهورا عظيما من الرجال يعتنقون مذاهب مختلفة ويعملون معا لتحقيق غاية لا يعلمها سوى القليل منهم[1] .

ان هذه الحقيقة توضح معظم روايات اهل السنة عن حقيقة ميمون القداح وابنه عبدالله حيث ذكر بعضهم انهما يهوديان ويدعوان الى الديانة اليهودية وبعضهم قال انهما مجوسيان ويدعوان الى الديانة المجوسية وبعضهم قال انهما ثنويان ويدعوان الى الديانة الثنوية .

ويبدو من خلال هذه الروايات التناقض والاختلاف لكن مع عرضها معمبدأ الشمول والاستيعاب[2] والذى انتهجه ميمون القداح وابنه عبدالله يزول هذا التناقض وتصبح روايات اهل السنة صحيحة وتدل على حقيقة واحدة وهى : ان ميمون القداح وابنه عبدالله دعوا الى هذه المذاهب كلها بوسيلة تستوعبها وتجمع تباعها على مذهب واحد هو المذهب الباطنى والذى يعتبر شاملا لجميع هذه المذاهب والديانات المتعددة .

وهينما تحدث الغزالى عن نصب هذه البدعة وافاضتها بين هذا المبدأ من خلال عرضه لعدة طوائف اتفقت على نشر مذهب الباطنية ومما قال : ان نقلة المقالات قاطبة اتفقوا على ان هذه الدعوة لم

---

(١) تاريخ الجمعيات السرية لعنان (ص ٣٣) .

(٢) مبدأ من المبادىء الاساسية عند الباطنية والمراد منه ان المذهب الباطنى يشمل جميع المذاهب والديانات ويستوعبها وقد اتخذوه وسيلة للدخول على كل طائفة بما يناسبها .

يفتتحها منتسب الى ملة ولا معتقد لنحلة معتضد بنبوة . ولكن تشاور جماعة من المجوس والمزدكية وشرذمة من الثنوية الملحدين وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين (١).

ومما يدل على اهمية هذا المبدأ عند الباطنية جملة وصايا لهم نقلت الينا من نتاج مفكريهم ودعاتهم وفى رسائل اخوان الصفا - والتى تعتبر قاموسا للباطنية - نماذج متعددة ومنها قولهم : وينبغى لاخواننا - ايدهم الله - ان لا يعادوا علما من العلوم او يهجروا كتابا من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب لان رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها (٢).

كما نقل البغدادى ايضا وصية عبيدالله المهدى الى ابى طاهر القرمطى نقلا من كتابهم السياسة والبلاغ وفيها : ادع الناس بان تتقرب اليهم بما يميلون اليه واوهم كل واحد منهم بانك منهم فمن انست منه رشدا فاكشف له الغطاء واذا ظفرت بالفلسفى فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا واكرم الدهرية فانهم منا ونحن منهم (٣).

ومن وصاياهم للدعاة ايضا مانقله الحمادى عنهم بقوله : ان يسالم الداعية فى ظاهره اهل الديانات المختلفة ويريهم فى بعض احواله ان اليهودية والنصرانية والمجوسية والاسلام كلها معان متقاربة ودعوة واحدة وان البلاء الذى دهم الجهال هو الاختلاف والاتكال على ظاهر النصوص دون باطنها والجهل بمعانيها واوضاعها (٤).

وهذه الوصايا تعتبر جزءا لا يتجزأ من برنامج ابن ميمون والذى يصفه احد المستشرقين بقوله : انه دمج الغالبين والمغلوبين فى هيئة

---

(١) فضائح الباطنية للغزالى (ص ١٨) .
(٢) رسائل اخوان الصفا (٤ : ٤١-٤٢) .
(٣) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٧٨) .
(٤) الغلو والفرق الغالية (ص ١٧٨) .

واحدة. وجمع فى حظيرةواحدة جمعية سرية هائلة ذات مراتب عدة بين احرار المفكرين وبين الغلاة من جميع الطوائف وكان يعتمد كثيرا على طلاب الفلسفة اليونانية واليهم وحدهم استطاع ان يفضى بسره وخفى عقيدته .(١)

ولما لهذا المبدأ من دور كبير فى انتشار الحركة الباطنية فقد افرده بعض الباحثين بفصل كامل ومما قال فيه : ان الدعوة الاسماعيلية استطاعت ان تؤثر فى نفوس جماعات مختلفة فى العنصر والدين مزدكيين ومانويين وصابئيين وشيعة وسنة ومسيحيين ويهود من كل نوع فانشأت بحكم الضرورة نطاقا قويا من مذهب الشمول فى العقيدة تتقرب احيانا من مذهب عقلى خالص .(٢) ويقول احد الكتاب ان الاسماعيليين استغلوا بعض المذاهب وذلك كالتقيه فكانوا سنيين مع اهل السنة شيعيين مع الشيعة يهودا مع اليهود ومسيحيين مع المسيحيين ومجوسيين مع المجوس .(٣)

ومن خلال ماتقدم فى الفصل الثالث يظهر لنا ان الباطنية حركة واسعة النطاق اشتملت على العديد من الفرق والحركات الثورية كما يظهر لنا ايضا ان الحركة القرمطية انتاج باطنى تولى نشرها والدعوة اليها اشهر زعماء الباطنية وكان لهم الدور الكبير فى تربية قادة القرامطة وزرع بذور الهدم والتخريب فى اذهان هؤلاء القادة.

ولا غرو والحالة هذه ان تكون الحركة الباطنية جذرا من الجذور الاساسية لحركة القرامطة . ومن خلال الفصل السابق اجمل الادلة على هذه الحقيقة بالاتى :

(١) ان لزعماء القرامطة وقادتهم صلة وارتباطا باشهر دعاة

---

(١) كتاب اخوان الصفا للدسوقى (ص ٢٥) .

(٢) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١٩٤) .

(٣) الغلو والفرق الغالية للسامرائى (ص ١٦٨) .

الباطنية اقل مايقال عنها انها صلة التلميذ باستاذه والمتعلم بمربيه وشيخه وذلك كحمدان قرمط وعبدان وعلى بن الفضل الذين يعتبرون تلاميذ مخلصين لعبدالله بن ميمون اشهر زعماء الباطنية .

(٢) ان معتقدات الباطنية تمثل معتقدات القرامطة ولا خلاف بينهم في ذلك سوى بعض اجتهادات للقرامطة حول الامامة ومن احق الناس بها .

(٣) ان الحركة القرمطية تعتبر من الفرق الرئيسية للحركة الباطنية وكثيرا ما اطلق العلماء احداهما على الاخرى او جمعوا بينهما .

وحينما نستعرض كتب المقالات والفرق ولا سيما التي افردت القرامطة والباطنية بمؤلف خاص نجد انها قد جمعت بينهما او اعتبرتهما في بعض الحالات فرقة واحدة وذلك لما بينهما من صلة وتداخل في كثير من العقائد والمنطلقات .

ومن الامثلة البارزة على ماذكرنا ان الغزالي حينما تحدث عن الباطنية في كتابه " فضائح الباطنية " اعتبر القرامطة ضمن الباطنية وادمج بينهما في كثير من الحالات . وبالمقابل ابن الجوزي حينما تحدث عن القرامطة في كتابه " القرامطة " اعتبر الباطنية والحديث عنها ضمن القرامطة . اما الحمادي اليماني فقد جمع بينهما في كتابه كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة . والحقيقة انه لولا منهج القرامطة الثوري وخروجهم على بعض الائمة فترات من الوقت لاعتبرنا القرامطة والباطنية اسمين يدلان على حقيقة واحدة .

الفصل الرابع

طائفة الاسماعيلية ودورها في حركة القرامطة

(١) تعريف الاسماعيلية ونشأتها :

تعتبر الطائفة الاسماعيلية فرقة من اكبر الفرق الباطنية انتسبت الى التشيع واعتبرت من الغلاة وسميت بهذا الاسم لانتساب اصحابها الى اسماعيل بن جعفر الصادق وتوليهم له والقول بامامته بعد موت ابيه جعفر .[1]

وذهب الى هذا التعليل ابن الجوزي حيث قال فاما تسميتهم بالاسماعيلية فلانتسابهم الى اسماعيل بن جعفر[2] كما ذهب اليه ايضا الرازي فقال : ويقال لهم الاسماعيلية لانهم قالوا : الامام بعد جعفر اسماعيل بن جعفر .[3]

لكن الغزالي اعتبر غير ذلك فقال ان هذه التسمية نسبة الى زعيمهم محمد بن اسماعيل بن جعفر الذي يزعمون ان ادوار الامامة انتهت به .[4] ووافقه على ذلك ابن الجوزي في رأي له آخر غير ما تقدم .[5]

وحينما نستعرض هذين الرأيين نجد ان لكل منهما سببا فالتعليل الاول مبني على رأي من قال ان الامام بعد جعفر ابنه اسماعيل واصحاب هذا القول ينكرون موت اسماعيل في حياة ابيه وقالوا ان ذلك على جهة التلبيس لان اباه خاف عليه فغيبه عنهم .[6]

---

(١) اللباب لابن الاثير (١ : ٥٩) .
(٢) القرامطة لابن الجوزي (ص ٣٦) .
(٣) الزينة للرازي (ص ٢٨٧) .
(٤) فضائح الباطنية للغزالي (ص ١٦) .
(٥) تلبيس ابليس لابن الجوزي (ص ١٠٢) .
(٦) المقالات والفرق للقمي (ص ٨٠) .

اما التعليل الثانى فهو مبنى على القول بان الامام بعد جعفر محمد بن اسماعيل بن جعفر واصحاب هذا القول يرون ان الامر كان لاسماعيل فى حياة ابيه فلما توفى قبل ابيه جعل جعفر الامر لابن ابنه محمد بن اسماعيل بن جعفر وكان الحق له [١].

ومع التتبع للمصادر نجد أن موت اسماعيل فى حياة ابيه هو الصحيح وان الامامة انتقلت الى محمد بن اسماعيل بن جعفر [٢]، وبهذا الصدد يقول الاسفراييني : وهم يزعمون (اى الاسماعيلية) ان الامامة صارت من جعفر الى ابنه اسماعيل وكذبهم فى هذه المقالة جميع اهل التواريخ لما صح عندهم من موت اسماعيل قبل ابيه جعفر وقوم من هذه الطائفة يقولون بامامة محمد بن اسماعيل وهذا مذهب الاسماعيلية من الباطنية [٣].

كما يقول الحميرى ايضا : ان اسماعيل مات فى حياة ابيه ولهذا فقد اوصى جعفر الصادق بالامامة الى ابن ابنه محمد بن اسماعيل بن جعفر [٤].

والقول بموت اسماعيل فى حياة ابيه مما يؤكد عليه علماء الشيعة الاثنا عشرية ليتفق ومعتقدهم المبنى على انتقال الامامة من جعفر الصادق الى ابنه موسى الكاظم والتى ظلت الامامة مسلسلة فى ابنائه الاثنى عشر من بعده . لكن موت اسماعيل فى حياة ابيه لا يمنع من انتقال الامامة الى ابنه محمد بن اسماعيل لا سيما وان من معتقدات الشيعة عموما ان الامامة لا تنتقل من اخ الى اخيه بل تظل فى الاعقاب

---

(١) المرجع السابق (ص ٨٠) .

(٢) انظر على سبيل المثال الفرق بين الفرق البغدادى (ص ٤٦) ، الحور العين للحميرى (ص ١٦٢) .

(٣) الغلو والفرق الغالية للسامرائى (ص ١٠٦) .

(٤) الحور العين للحميرى (ص ١٦٢) .

لان النص لا يرجع القهقرى[1] .

ابتداء الاسماعيلية:

تعددت الاراء والاقوال حول نشأة الاسماعيلية وهاهي ذى استعرضها ثم ارجح مايتبين رجحانه من خلال الادلة التاريخية والحقائق الواقعة . ومن اول هذه الاراء واشدها غرابة مايراه علماء الحركةالاسماعيلية فى بعض كتبهم الباطنية الفلسفية من ان دعوتهم قديمة قدم هذا الوجود ويقول غالب: انهم دعموا هذا القول بنظريات علميةوتأويلات باطنية فلسفية[2] .

وهناك قسم آخر منهم يذهب الى القول بان حركتهم بدأت فى عهد اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام ويستدلون على ذلك بآراء تأويلية عقائدية[3] والحقيقة اننا حينما نستعرض بعض مؤلفاتهم الفلسفية وخاصة مايتعلق بمعتقداتهم حول الامامة والائمة نجد ان لديهم مايسمى بالاكوار والادوار والنطقاءوالصامتين بدءاً بآدم ابو البشر وانتهاء بقائمهم محمد بن اسماعيل مما يدل على انهم يرون قدم دعوتهم وانها ابتدأت معخلق آدم عليه الصلاة والسلام[4] .

ويذهب اسماعيلى معاصر الى القول بان الحركة الاسماعيلية نشأت نشأتها الاولى سنة ٢٨ اهـ،وذلك فى مدينة الكوفة بالعراق وان جعفر الصادق هو الذى خطط لها ونظمها[5] .

ويذهب جمع من المؤرخين وكتاب المقالات الى ان الحركة

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٦٨) .
(٢) الحركات الباطنية لغالب (ص ٧١) .
(٣) المرجع السابق (ص ٧١) .
(٤) انظر على سبيل المثال اثبات النبوات للسجستانى (ص ١٨١ ، ١٩٣) الرياض للكرمانى (ص ١٧٦ - ١٧٩) .
(٥) الحركات الباطنية لغالب (ص ٧١) .

الاسماعيلية انما نشأت بموت جعفر الصادق سنة ١٤٨ هـ حيث ان الشيعة سواء كانوا اسماعيلية، واثنى عشرية مجتمعون على امامة جعفر وبعد موته حصل الانشقاق والاختلاف بينهم الى فرقتين كبيرتين وهما :

(١) الاثنا عشرية الذين قالوا بامامة موسى الكاظم احد ابناء جعفر ونقلوها فى ابنائه من بعده حتى الامام المنتظر .

(٢) الاسماعيلية وهم الذين تمسكوا بامامة اسماعيل ومن بعده ابنه محمد بن اسماعيل وبعد وفاته تم نقلها الى الائمة المستورين .

وعلى هذا لم تظهر هذه الفرقة الا بعد موت جعفر الصادق حيث انتقلت الامامة الى عقب اسماعيل والذى تنسب الحركة الإسماعيلية اليه[1] .

وحينما نستعرض هذه الاراء الاربعة عن نشأة الاسماعيلية وبداية ظهورها نجد ان الرأى الاول والثانى من دعاوى الاسماعيلية الكاذبة والخالية من الادلة والحقائق حيث ان لفظ (اسماعيلية) ودلالته على الطائفة المعروفة لم يكن معروفا ومتداولا الا فى منتصف القرن الثانى للهجرة وذلك بوفاة الامام جعفر الصادق سنة ١٤٨ هـ ويقول احد الكتاب ان الحركة الاسماعيلية ابتدأت بجماعة اسماعيل بن جعفر بمؤازرة فعالة من اسماعيل نفسه وابنه محمد[2] .

اما الرأى الثالث فهو باطل من عدة وجوه :

اولها : ما اشتهر عن جعفر الصادق من الصدق والفضل فهو من اجلاء التابعين وله منزلة رفيعة فى لعلم حتى ان بعض الائمة الكبار اخذوا عنه كابى حنيفة ومالك ولقب بالصادق لانه لم يعرف عنه الكذب قط وكان جريئا على الخلفاء صداعا بالحق[3] ومن هذه اوصافه كيف ينسب اليه التخطيط والتنظيم لحركة الحادية كافرة كالاسماعيلية . ويقول الامام

---

(١) انظر على سبيل المثال الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٤٦) ، الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٩١) .
(٢) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ٨٢) .
(٣) الاعلام للزركلى (٢ : ١٢١) .

ابن تيمية في معرض حديثه عن الاسماعيلية الباطنية : واما الكذب والاسرار التي يدعونها عن جعفر الصادق فمن اكبر الاشياء كذبا حتى يقال ماكذب على احد ماكذب على جعفر رضي الله عنه (١) .

الثاني : ان الشيعة عموما كانوا مجتمعين على امامة جعفر الصادق ولم يقع بينهم اى اختلاف او فرقة الا بعد موته حيث ظهرت بعض المسميات التي تشعر بالاختلاف ومن ابرز هذه المسميات الاسماعيلية وهم الذين تمسكوا بامامة اسماعيل وابناءه من بعده ولذلك نسبوا اليه وعن ذلك يقول الرازي : ان الشيعة كانوا مجتمعين على القول بامامة على ثم الحسن ثم الحسين ثم على بن الحسين ثم محمد بن على ثم جعفر بن محمد فهذا ما اجتمعت عليه الرافضة وهو اصل لجميعهم ثم بعد مضى جعفر تفرقوا فرقا كثيرة وسموا بالقاب شتى (٢) .

الوجه الثالث : ان الالقاب والاسماء للفرق والطوائف تستمد ـ غالبا من اسماء اصحابها وتنسب اليهم واغلب فرق الشيعة تسمى باسماء ائمتها الذين يديرونها ويتزعمون الاتباع ومن الامثلة على ذلك الموسوية نسبة الى موسى الكاظم والزيدية نسبة الى زيد بن على والقرامطة نسبة الى حمدان قرمط والكيسانية نسبة الى كيسان وهكذا فانه على هذا النمط ينبغي ان نسمي الاسماعيلية بالجعفرية وذلك بناء على الرأى الثالث والقائل بان جعفر هو الذى خطط للاسماعيلية وانشأها ولكن لبطلان هذا الرأى فان تسميتها بالاسماعيلية انما هو نسبة الى امامها وزعيمها اسماعيل بن جعفر الصادق .

ويتضح مما قدمنا رجحان الرأى الرابع والقائل بان ظهور الاسماعيلية انما كان بعد موت جعفر سنة ١٤٨هـ ولذا يقول غالب :

---

(١) الفتاوى لابن تيمية (٤ : ٧٨) .

(٢) الزينة للرازى ضمن كتاب الغلو للسامرائي (ص ٢٨٦) .

اننا نذهب مع اكثر الباحثين والمؤرخين فنبدأ ببحث حركة الاسماعيلية منذ وفاة الامام جعفر الصادق وانشقاق شيعته الى قسمين[١].

---

(١) الحركات الباطنية لغالب (ص ٧١).

(٢) ائمة الاسماعيلية :

اتفقت الشيعة ـ اسماعيلية كانوا او اثنى عشرية ـ حول شخصيات الائمة حتى جعفر الصادق واول خلاف نشأ بين الاسماعيلية والاثنى عشرية انما هوحول شخصيات الائمة ومن الاحق بالامامة بعد موت جعفر، وهذا الخلاف يعتبر من الامور البارزة التى تميزت بها كل فرقة من الاخرى ولذا يقول الشهرستانى : ان الاسماعيلية امتازت عن الموسوية ومن الاثنى عشرية باثبات الامامة لاسماعيل بن جعفر (١) .

وحول امامته يدور خلاف كبير بين تلك الفرقتين الكبيرتين من فرق الشيعة فالاثنا عشريون يقولون ان اسماعيل توفى فى حياة ابيه وانتقلت الامامة بذلك الى اخيه موسى الكاظم .

اما الاسماعيليون فيقولون ان جعفرا نص على ولده اسماعيل وجعل الوصية اليه بالامامة لانه كان اسن ولده وآثرهم عنده (٢) .

وانكروا على من قال بموت اسماعيل فى حياة ابيه وقالوا : لا يموت حتى يملك لان اباه قد وصى له بالامامة بعده (٣) .

بل انهم ادعوا ان جعفرا اشار اليه فى حياته ودل الشيعة عليه فكانوا مجمعين كلهم انه الامام بعد ابيه وان جعفرا قلدهم ذلك فى حياته وامرهم به (٤) . ويتفق اكثر مؤرخى الاسماعيلية على ان قصة وفاة اسماعيل فى حياة ابيه انما كانت قصة اراد بها جعفر الصادق التمويه والتعمية على الخليفة العباسى ابى جعفر المنصور حيث كان يطارد ائمة الشيعة فخاف جعفر على ابنه وخليفته اسماعيل فادعى موته واتى بشهود كتبوا محضرا بوفاته وارسل ذلك المحضر الى الخليفة العباسى

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٩١) .
(٢) الحور العين للحميرى (ص ١٦٢) .
(٣) انظر المقالات والفرق للقمى (ص ٨٠) .
(٤) الزينة للرازى ضمن كتاب الغلو للسامرائى (ص ٢٨٧) .

الذى اظهر سرورا وارتياحا لوفاة اسماعيل الذى كان اليه امر امامة الشيعة ثم شوهد اسماعيل بعد ذلك بالبصرة وفى غيرها من بلاد فارس وعلى ذلك فالامامة لم تسقط عن اسماعيل بالموت قبل وفاة ابيه لانه مات بعد ابيه .(١)

وخرافة رجوع اسماعيل حيا بعد ان اشهد ابوه على موته ودفنه تعتبر من تمويهات الاسماعيلية التى رددوها فى كتبهم واكدوها .

يقول ادريس عماد الدين بعد ان ساق قصة موت اسماعيل واشهاد ابيه على موته ودفنه : فلما كان بعد ذلك ظهر اسماعيل بالبصرة واقبل اليه الناس يهرعون وهم يقولون هذا اسماعيل بن جعفر عاد حيا الى ان مر بشيخ زمن على دكانه من الشيعة الموالين لابيه فقال له يابن بنت رسول الله خذ بيدى اخذ الله بيدك فطلع اليه ومسح على ظهره بيده المباركة فثبت ظهره وبرء من علته وشاهد الخلق ذلك وغاب عنهم .(٢)

ومن هذه الترهات والخزعبلات يقول محمد حسين : ولعلى لا اغلو اذا قلت ان هذه القصة ـ اى التمويه بوفاة اسماعيل ـ انما هى من القصص الخيالية التى وضعها بعض اصحاب المناقب من مؤرخى وكتاب الاسماعيلية الذين يكثرون من مثل هذه القصص فى كتاباتهم ليضفوا على الائمة الاسماعيلية مناقب وفضائل لا يقرها عقل .(٣)

ومع التتبع للكثير من المصادر التاريخية نجد ان موت اسماعيل فى حياة ابيه هو الصحيح(٤) وان القول بغيبته او رجوعه حيا بعد ان مات

---

(١) انظر طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين (ص ١٢-١٣) .

(٢) مخطوطة زهر المعانى لادريس عماد الدين (ص ٤٧) .

(٣) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين (ص ١٣) ،

(٤) انظر على سبيل المثال اتعاظ الحنفا (١ : ١٥) ، الفرق بين الفرق (ص ٤٦) ، الحور العين (ص ١٦٢) ، العبر لابن خلدون (٤ : ٦١) .

هو من الاعيب الاسماعيلية وضحكهم على الاغبياء ولذا يقول الاسفراييني: ان جميع اهل التواريخ كذبوا الاسماعيلية في مقالتهم هذه واثبتوا موت اسماعيل قبل ابيه جعفر .(١)

ويحدد المقريزي وفاة اسماعيل بن جعفر بعام ثمان وثلاثين ومائة .(٢) على حين ان جعفر توفى عام ١٤٨ هـ فكانت وفاة اسماعيل قبل وفاة ابيه بعشرة اعوام وعلى هذا تعتبر اقوال الاسماعيلية وادعاءاتهم - عن بقاء اسماعيل واستمرار حياته الى مابعد ابيه - باطلة .

ومن الملاحظ ان الشيعة الاثنى عشرية يقولون بذلك ليتناسب ومعتقدهم في امامة اول ائمتهم بعد الاختلاف مع الاسماعيلية فهم ينقلون الامامة الى موسى الكاظم احد ابناء جعفر ويقولون ان الامامة انتقلت اليه بموت ابيه جعفر وموت اخيه الاكبر اسماعيل .

ولكن يبطل قولهم هذا مبدأ من مبادئ الشيعة على اختلاف فرقها وهو ان الامامة لا تكون الا للاكبر المنصوص عليه في بدء الامر مع تسلسلها في الاعقاب اي من الاباء الى الابناء . وبناء على هذا فالامامة ثابتة لاسماعيل لانه الاكبر المنصوص عليه وبموته سواء في حياة ابيه او بعده انتقلت الامامة الى اولاد اسماعيل لان النص لا يرجع القهقرى ولا ينص الامام على واحد من اولاده الا بعد السماع من ابائه .(٣)

ويقول القمي : ان الامامة لا تنتقل من اخ لاخ بعد الحسن والحسين رضى الله عنهما ولا تكون الا في الاعقاب ولم يكن لاخوى اسماعيل عبدالله وموسى حق في الامامة كما لم يكن لمحمد بن الحنفية حق مع على بن الحسين .(٤)

---

(١) الفلو للسامرائي (ص ١٠٦) .

(٢) اتعاظ الحنفا (١: ١٥) .

(٣) انظر الملل والنحل للشهرستاني (١: ١٩١) .

(٤) المقالات والفرق للقمي (ص ٨١) .

ويذهب مؤرخو الشيعة الاثنى عشرية وبعض مؤرخي السنة الى ان اسماعيل بن جعفر لم يكن بالرجل الذى يصلح للامامة لانه كان مدمنا على شرب الخمر ولوعا بالنساء وانه من اصدقاء ابى الخطاب الاسدى الفاسق الملحد الذى ادعى الوهية جعفر الصادق وانه كان رسوله مما جعل جعفر يتبرأ منه ولا يرضى عن الصلة التى كانت بينه وبين ابنه اسماعيل وان جعفر اظهر فرحة لموت ابنه اسماعيل لما كان معروفا عنه من فسق [(١)] .

وحينما نستعرض هذه التهم التى اثيرت حول اسماعيل نجد ان من اشدها خطرا صلة اسماعيل بابى الخطاب وانضمام الخطابية الى شيعة اسماعيل بعد موت ابى الخطاب حتى ان لويس اعتبر مجمل اصول الاسماعيلية انما نشأت بتعاون ابى الخطاب مع اسماعيل وانهما سعيا الى توحيد فرقة شيعية ثورية تجمع كل الفرق على امامة اسماعيل وذريته من بعده [(٢)] .

والحقيقة التى ظهرت لى من خلال الادلة والواقع ثبوت هذه الصلة والاندماج بين هاتين الحركتين وسبق ان بينت ذلك فى الفصل الثانى من هذا الباب . وبناء على مبدأ الشيعة ـ وهو انتقال الامامة من الاباء الى الابناء ـ فان الامامة انتقلت بعد موت اسماعيل الى ابنه محمد بن اسماعيل وهذا معتقد الشيعة الاسماعيلية حيث قالوا : انه بعد موت اسماعيل محمد بن اسماعيل السابع التام الذى تم دور السبعة به [(٣)] . ويقولون ايضا ان انتقال الامامة الى محمد بن اسماعيل انما كان نصا من ابيه ويروون ان اسماعيل اوصى ان يسلم الامر الى ولده محمد

---

(١) الحركات الباطنية لغالب (ص ٧٢-٧٣) .

(٢) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١١٥) .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى (١٩٢:١) .

ودعى نقباءه وخواصه واصحابه ليسلم الامر اليه بمحضر من خاصته رغم صغر سنه لانه لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره [(١)] .

ويقسم الاسماعيلية امامة محمد بن اسماعيل الى دورين :

الاول : دور الظهور . ويشمل الفترة الاولى من حياته حينما كان مقيما بالحجاز حيث فرق دعاته فى جزائر الارض للدعوة له ونشر المذهب الاسماعيلى ولكن الخليفة العباسى هارون الرشيد شعر بما يقوم به فى هذه الفترة فجد فى مطاردته والقبض عليه . وحينما علم محمد بن اسماعيل بذلك دخل بالدور الثانى والمسمى عند الاسماعيلية بدور الاستتار [(٢)] . ويتحدث غالب عن هذا الدور فيقول : ان المصادر جميعها تتفق على ان محمد بن اسماعيل استطاع ان يخرج سرا من المدينة ويتوغل فى شرقى المملكة الاسلامية [(٣)] . وقد ظل يتنقل من مكان الى مكان حتى استقر فى قرية من قرى الرى ونسبت اليه هذه القرية فيما بعد وسميت بمحمد اباد ويقول النشار انه كان يرجو من رحلته هذه عدة امور وهى :

(١) اتخاذ دار هجرة وقد اصبحت هذه عقيدة عند الاسماعيلية .

(٢) ان يكون بعيدا عن عيون الخليفة فى الحجاز فيستطيع بسهولة ان يبث دعاته .

(٣) فشله فى الحجاز امام عمه القوى موسى الكاظم واتباعه من الامامية الذين لم يستجيبوا لمحمد بن اسماعيل كثيرا .

(٤) كانت الحجاز مليئة بالعلماء والفقهاء فى عصر العباسيين الزاهر وفى هذا الجو العلمى لم تكن دعوة محمد بن اسماعيل تجد آذانا صاغية لاسيما ان هذه الدعوة نهجت منهجا باطنيا

---

(١) اسرار النطقاء لجعفر بن منصور (ص ٨٢) .

(٢) يعتبر الاستتار جزءا من عقيدة الاسماعيلية ويستخدم عادة للائمة وحججهم وذلك حينما يحاطون بالخطر والتهديد بالقتل .

(٣) اعلام الاسماعيلية لغالب (ص ٤٤٨) .

غريبا على التفكير الاسلامى فى ذلك الوقت .

(٥) بيد وان دعاة محمد بن اسماعيل قد انتشروا فى شرقى المملكة الاسلامية ونشروا الدعوة هناك فذهب محمد بن اسماعيل فى رحلته هذه الى ارض زرعت له من قبل .(١)

وتشير بعض مصادر الاسماعيلية الى ان الرشيد ظل يطارد امام الاسماعيلية الذى ظل بدوره ينتقل من مكان الى آخر فرارا من القبض عليه حتى استقر آخر الامر فى مدينة فرغانة وبها توفى .(٢)

ويرى الاسماعيلية ان الامامة ظلت مستمرة فى ابناء محمد بن اسماعيل حتى ظهور عبيدالله المهدى اول ائمة دور الظهور .

بينما يرى اهل السنة ان محمد بن اسماعيل مات ولم يعقب احدا من الاولاد ونستعرض بعض هذه الاقوال .

ففى كتاب الفرق بين الفرق للبغدادى قوله : ان اصحاب الانساب ذكروا فى كتبهم ان محمد بن اسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب .(٣)

كما يقول ابن الاثير : ان الاسماعيلية ينسبون الى محمد بن اسماعيل وفى كتاب الشجرة انه لم يعقب .(٤)

وايضا الغزالى ذكر ذلك وقال : ان اهل المعرفة بالنسب اوردوا فى كتاب الشجرة ان محمد بن اسماعيل مات ولا عقب له .(٥)

ويقول الحمادى : ان آل القداح زعموا انهم من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وحاشا لله ماكان لمحمد بن اسماعيل من ولد ولا عرف ذلك من الناس احد .(٦)

---

(١) تاريخ الفكر الفلسفى للنشار (٢ : ٣٨٧-٣٨٨) .
(٢) عيون الاخبار لادريس (ص ٣٥١ - ٣٥٦) .
(٣) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٤٧) .
(٤) اللباب لابن الاثير (١ : ٥٩) .
(٥) فضائح الباطنية للغزالى (ص ١٦) .
(٦) كشف اسرار الباطنية (ص ١٩) .

ونتيجة لهذا الخلاف بين اهل السنة والاسماعيلية حول عقب محمد ابن اسماعيل وامامة من بعده - تبدأ فترة من اشد الفترات غموضا واستتارا يصف محمد حسين هذه الفترة بقوله : انها فترة غامضة اشد الغموض حتى ان بعض مؤرخي وكتاب الاسماعيلية تحدثوا عن هذه الفترة رمزا دون تصريح مما يجعل موضوع الحديث عن دور الستر شاقا عسيرا على كل باحث في تاريخ الاسماعيلية فان الشيعة عامة والاسماعيلية بوجه خاص اتخذوا التقية مذهبا من مذاهبهم[1]، كما يقول احد المستشرقين عن هذه الفترة : ان سلسلة الائمة بين محمد بن اسماعيل وسعيد مهدى مازالت مشكلة من اعقد المشاكل فى التاريخ الاسلامى فالمؤرخون السنة يروون لها روايات عديدة مختلفة، والاسماعيليون وغيرهم ممن يعترف بحق الفاطميين الشرعى لا يبدو انهم متفقون فيما بينهم عليها[2] .

كما يقول حسن ابراهيم : ان المؤرخين لم يصلوا بعد الى رأى قاطع عن نسب الفاطميين الى اسماعيل بن جعفر الصادق او الى ابن ميمون القداح[3] .

والروايات حول هذه الفترة متعددة ومتضاربة فى آن واحد ومع التتبع والحصر لهذه الروايات فانى اجملها فى قولين :

الاول : رأى اهل السنة وخلاصته ان محمد بن اسماعيل مات ولا عقب له وتسلم الامامة حجته عبدالله بن ميمون القداح وظلت مستمرة فى اعقابه المستورين حتى ظهر عبيدالله المهدى واعلن امامته وعند ذلك حصل ماحصل من الخلافات والانشقاقات بين ائمة الاسماعيلية والقرامطة . ويقول اصحاب هذا الرأى ان فترة الاستتار لا تعدو كونها

---

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين (ص ١٩) .

(٢) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ٦١) .

(٣) تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم (ص ٧٩) .

تعمية وتغطية للامامة القداحيين الذين كانوا من اقرب الدعاة والصقهم باسماعيل بن جعفر وابنه محمد وسلسلة الامامة كالتالى : عبيدالله المهدى هو سعيد بن الحسين بن احمد بن عبدالله بن ميمون القداح .(١)

الرأى الثانى : رأى الاسماعيليين وخلاصته أن الائمة من لدن محمد بن اسماعيل الى الامام الظاهر عبيدالله المهدى يعتبرون من نسل محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ولكن هؤلاء الائمة دخلوا فى كهف التقية والاستتار وصبحوا لا يعرفون الا بالقابهم ولا يعرفهم الا اقرب المقربين اليهم وان سبب ذلك المطاردة والقتل لهم من قبل الخلفاء العباسيين .

ومع اتفاق اصحاب هذا الرأى على ماقدمنا الا انهم كانوا مختلفين اشد الاختلاف حول عدد الائمة فى فترة الاستتار واسمائهم والقابهم واقدم الروايات الاسماعيلية التى تتحدث عن هؤلاء الائمة رواية الداعى جعفر بن منصور اليمن وخلاصة ماجاء فيها : ان الامام الاول بعد جعفر هو عبدالله بن جعفر ثم محمد بن عبدالله ثم عبدالله ابن محمد فاحمد بن عبدالله ثم محمد بن احمد وكل هؤلاء تسموا بمحمد خلا عبدالله بن جعفر فانه تسمى باسماعيل . ويضيف الداعى جعفر بان الامام المهدى كتب اليه بنسبته على النحو الاتى : على بن الحسين ابن احمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن جعفر الصادق .(٢)

ويحدد النيسابورى عدد هؤلاء الائمة بثلاثة ويسمى الاول بعبيد الله الاكبر والثانى باحمد والثالث بالحسين وهو والد المهدى وبعد

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم (ص ٢٣٨) ، اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ٢٢ - ٢٨) ، الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٦٦) ، تثبيت دلائل النبوة للهمذانى (٢ : ٥٩٧) .

(٢) انظر الى كتاب الحاكم بامر الله (ص ٦١) نقلا من كتاب الفرائض وحدود الدين .

نقلته نقل الامامة الى ابنه عبيد الله المهدى الذى كان صغيرا فاستودع الامامة عمه سعيد الخير حتى كبر حيث سلم الامامة لصاحبها[١]. ويشاركه من حيث العدد صاحب زهر المعانى غير انه يسمى الامام الاول بعبد الله الرضى المستور والثانى باحمد التقى والثالث بالحسين المقتدى[٢].

ويرى اسماعيلى آخر ان محمد بن اسماعيل كان من ائمة عهد الستر وان سلسلة الائمة من بعده تجرى على النحو الاتى : محمد بن اسماعيل . فولده عبدالله . فولده احمد . فولده الحسين . فولده على[٣] ويعلق محمد حسين على هذه الاختلافات بقوله : وهكذا نجد ان كل مؤرخ من مؤرخى الاسماعيلية تناول الحديث عن هذه الفترة بما يبدو له بحيث جاء حديثهم مضطربا اشد الاضطراب مختلفا اشد الاختلاف فهم مختلفون فى اسماء ائمة هذه الفترة ومختلفون ايضا فى عددهم فبعضهم جعل الائمة ثلاثة وبعضهم قال انهم خمسة وبعضهم قال سبعة .

ويضيف قائلا : انه مادام مؤرخوا الاسماعيلية انفسهم لم يستطيعوا ان يعطونا صورة صحيحة عن ائمتهم فى هذه الفترة فمن الطبيعى ان لا نجد مؤرخا من مؤرخى العرب اهتم بهم فى هذه الفترة ومعنى هذا كله اننا لانستطيع ان ندلى برأى صحيح من تاريخ الاسماعيلية فى هذا الدور[٤].

---

(١) انظر استتار الامام للنيسابورى (ص ٩٥-٩٦) .
(٢) غاية المواليد من ورقة ٥٨ الى ٦٦ .
(٣) انظر الحاكم بامر الله لعنان (ص ٦٠) .
(٤) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين (ص ١٥-١٦) .

(٣) صلة الاسماعيلية بالحركة القرمطية :

من الامور الصعبة في الكتابة عن حركة القرامطة مدى الصلة والارتباط بينها وبين طائفة الاسماعيلية والكتابة في هذا الموضوع تكتسب اهمية كبيرة من حيث تحديد خط بياني بين حركتين طالما اختلف المؤرخون في بيان العلاقة بينهما ويحسن والحالة هذه ان اعرض الاراء مجملة ثم اتبع ذلك بالتفصيل .

فالمقريزي يذكر قصة اللقاء الذي تم بين مبعوث الامام الاسماعيلي حسين الاهوازي وبين حمدان قرمط وهي تفيد صراحة ان القرامطة فرع من فروع الاسماعيلية[1] . والمقريزي يستند في هذه القصة الى رواية النويري[2] وابن النديم[3] .

اما ابن الجوزي فيذكر في مؤلفاته رأيين :

اولهما : يتمثل في معرض حديثه عن الباطنية والقابها حيث يذكر ان للباطنية اسماء ثمانية وهي : الاسماعيلية . والقرامطة . والباطنية والسبعية . والبابكية . والمحمرة والخرمية والتعليمية[4] . فهو هنا يعتبر جميع هذه الاسماء انما تدل على حقيقة واحدة وهي الباطنية واما لفظ القرامطة فلا يعدو عن كونه اسما من اسماء الحركة الباطنية .

الرأى الثاني : يذكره عندما يتحدث عن القرامطة حيث يقول ان لهم القابا ثمانية وهي ماسبق ان ذكرته في رأيه الاول الا انه هنا يعتبر القرامطة اصل وجميع هذه الالقاب انما تدل عليها وتتفرع عنها[5] .

وماذكره ابن الجوزي في كلا الرأيين يعتبر خلطا واضحا بين

---

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٥١-١٥٢) .
(٢) نهاية الارب للنويري (٢٣ : ورقة ٥٦-٥٧) .
(٣) الفهرست لابن النديم (ص ٢٣٨) .
(٤) تلبيس ابليس لابن الجوزي (ص ١٠٢ -١٠٦) .
(٥) القرامطة لابن الجوزي بتحقيق الصباغ (ص ٣٥) .

الحركات المتعددة فالباطنية اصطلاح شامل لجميع من يقول بان لكل ظاهر باطنا فيدخل فى هذا القرامطة وغيرهم من الفرق الاخرى كالنصيرية والاسماعيلية والدروز . . . الخ وسبق ان فصلت القول فى ذلك عند الحديث عن فرق الباطنية . كذلك البابكية والخرمية لا يعتبران اسماء لحركة القرامطة اطلاقا حيث انها حركات قامت قبل وجود القرامطة وظهورهم وكل حركة كانت تمثل وجهة نظر تختلف بها عن الاخرى فعلى هذا لا يسلم لابن الجوزى هذه الاطلاقات التى تكررت عنده بل وعند غيره من العلماء كالغزالي[1] .

اما ابو الحسن الاشعرى فيعتبر القرامطة فرقة من فرق الرافضة الامامية[2] يشاركه فى ذلك ابو الحسين الملطى فى هذه التسمية[3] . ومن المعروف ان الامامية فرقة من فرق الشيعة تختلف مع الاسماعيلية اختلافا كبيرا ويعود اختلافهم الى الانقسام فى الامامة بعد موت جعفر الصادق كما ان الامامية يبغضون الاسماعيلية بغضا شديدا لانهم نازعوهم الامامة فى اسماعيل وابنه بعد جعفر الصادق وعلى هذا فلا نعتبر القرامطة فرقة من فرق الامامية بحال .

والشاطبى عندما يعدد فرق الشيعة الغلاة يذكر الاسماعيلية ثم يقول انهم هم الباطنية والقرمطية والخرمية والسبعية[4] . . .الخ

فهو بذلك يعتبر ان فرقة الاسماعيلية لها اسماء متعددة من ضمنها القرمطية فالاسماعيلية والقرمطية عند الشاطبى اسمان لفرقة واحدة اما الايجى فى كتابه المواقف فقد اعتبر القرامطة اصلا للاسماعيلية حيث يقول : ان الاسماعيلية طائفة من المجوس راموا عند شوكة

---

(١) فضائح الباطنية (ص ١١) .

(٢) مقالات الاسلاميين (ص ١٠٠) .

(٣) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع (ص ٨ ١-٢٠) .

(٤) الاعتصام للشاطبى (٢ : ٢١٩) .

الاسلام تأويل الشرائع ... ثم يقول ورأسهم حمدان قرمط [١] ، ويرى نظام الملك الطوسى خلاف ذلك تماما حيث يعتبر ان الاسماعيلية اصل (ممثلة فى عبد الله بن ميمون) وان القرامطة فرع (ممثلة فى غلام محمد بن اسماعيل ويدعى المبارك) ولذا يقول : وكان لمحمد بن اسماعيل غلام يسمى مبارك يكتب خطا دقيقا يقال له المقرمط . ولهذا لقب بقرمطويه حتى صار يعرف به وكان لمبارك هذا صديق من الاهواز يدعى عبد الله ابن ميمون القداح فاختلى به يوما وقال له : يامبارك كان مولاك محمد بن اسماعيل خليلى وقد اودعنى اسراره فانخدع مبارك وحرص على معرفة تلك الاسرار فاقسمه عبد الله بن ميمون الا تبوح بشىء مما اقول الا لمن هو اهل له . ثم حدثه باحاديث مستعجمة على لسان الائمة ... الخ [٢]

وبعض مصادر الشيعة تعتبر القرامطة فرقة من المباركية وعلى رأس هؤلاء سعد القمى الذى يقول : وتشعبت بعد تلك فرقة من المباركية ممن قال بامامة محمد بن اسماعيل تسمى القرامطة ... ثم يضيف قائلا وكانوا فى الاصل على مقالة المباركية ثم خالفوهم . [٣]

وحيث ان كتاب الفرق اعتبروا المباركية فرقة اخرى غير القرامطة فلا يصح ان نعتبر القرامطة فرع من المباركية ومن هؤلاء الذين اعتبروا المباركية طائفة وحدها والقرامطة كذلك الشهرستانى [٤] وابو الحسن الاشعرى [٥] والبغدادى [٦] والحميرى [٧] . ولذا يقول لويس : انى

---

(١) المواقف للايجى نقلا من تعليقات محمد رشيد رضا على الاعتصام للشاطبى (٢ : ٢١٢-٢١٣) ، ووهم الاستاذ عليان حينما نقل هذا الكلام ونسبه الى الشاطبى . انظر قرامطة العراق (ص ٤٦) ، وهو للايجى كما اثبتنا .

(٢) سياسة نامه للوزير نظام الملك الطوسى (ص ٢٥٨) .

(٣) كتاب المقالات والفرق لسعد بن عبد الله القمى (ص ٨٣) .

(٤) الملل والنحل (١ : ١٦٨) .

(٥) مقالات الاسلاميين (١ : ١٠١) .

(٦) الفرق بين الفرق (ص ٤٧) .

(٧) الحور العين للحميرى (ص ١٦٢) .

لا اعتقد بوجوب رفض هذا الزعم الذى يرى المبارك وقرمطويه شخصا واحدا للبينات والدلائل القديمة الموثوق بها التى تنافيه [١].

كما ان هناك من يربط بين القرامطة وبين الخرمية ويظهر ذلك من قول صاحب العيون والحدائق : انه لم يكن فى الاسلام حادث اضر بالاسلام والمسلمين من ظهور بابك الخرمى بتلك المقالة التى تفرع منها القرامطة والباطنية الى اليوم [٢].

وقد اشرنا سابقا الى ان الخرمية حركة قائمة بذاتها وتختلف كثيرا عن حركة القرامطة . وحينما ننظر الى الفترة التاريخية لهاتين الحركتين نجد ان بينهما وقتا ليس بالقصير . فالخرمية ظهرت فى وقت متقدم بينما تأخر ظهور القرامطة الى اواخر القرن الثالث .

بقى من هذه الاراء ما اعتبره بعض الكتاب المعاصرين وبعض المستشرقين من ان حركة القرامطة تطور مباشر للكيسانية [٣]. ويقول النشار فى ذلك انهم (اى القرامطة) بقوا دائما حنفية كيسانية الا فى انات تحولوا فيها ظاهريا للمذهب الاسماعيلى او استخدموه ثم عادوا الى الحنفية او الكيسانية [٤].

اما كازانوفا فيقول : يظهر ان عددا صغيرا من المتحمسين ظل متمسكا بالامامة الحنفية ثم انتهت بما يسمى بالقرمطية [٥].

كما يرى ان الوفاق قد تم بين الاسماعيلية وانصار محمد بن الحنفية

---

(١) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١١٤) .

(٢) العيون والحدائق لمجهول (٤ : ١١٢) .

(٣) احدى الطوائف الشيعية التى كانت تنادى بامامة محمد بن الحنفية وبابنائه من بعده واطلق عليها هذا الاسم نسبة الى احد زعماء الفرقة الذى يدعى كيسان .

(٤) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام (٢ : ٤٨٤) .

(٥) مقدمة اصول الاسماعيلية للدكتور عبد العزيز الدورى (ص ١٩) .

فى شخص القرامطة بسبب الرغبة الملحة فى القضاء على العباسيين (١) .

واصحاب هذا الرأى استندوا على كتاب ذكره كل من الطبرى وابن سنان فى تاريخهما وحكياه عن القرامطة (٢) .

---

(١) قرامطة العراق لعليان (ص ٤٢) .

(٢) نص هذا الكتاب كما ذكره الطبرى وابن سنان " وكان فيما حكوا عن هؤلاء القرامطة من مذهبهم ان جاءوا بكتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم يقول الفرج بن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانة داعية الى المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدى وهو احمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل وذكر ان المسيح تصور له فى جسم انسان وقال له انك الداعية وانك الحجة وانك الناقة وانك الدابة وانك روح القدس وانك يحيى بن زكريا وعرفه ان الصلاة اربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها وان الاذان فى كل صلاة ان يقول الله اكبر اربع مرات اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد ان آدم رسول الله اشهد ان نوحا رسول الله اشهد ان ابراهيم رسول الله اشهد ان موسى رسول الله واشهد ان عيسى رسول الله واشهد ان محمدا رسول الله واشهد ان احمد بن محمد بن الحنفية رسول الله وان يقرأ فى كل ركعة الاستفتاح وهى فى المنزل على احمد بن محمد بن الحنفية والقبلة الى بيت المقدس والحج الى بيت المقدس ويوم الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شىء والسورة الحمد لله بكلماته وتعالى باسمه المتخذ لاوليائه باوليائه قل ان الاهله مواقيت للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والايام وباطنها اوليائى الذين عرفوا عبادى سبيلى اتقون يا اولى الالباب وانا الذى لا اسأل عما افعل وانا العليم الحكيم وانا الذى ابلو عبادى وامتحن خلقى فمن صبر على بلائى ومحنتى واختبارى القيته فى جنتى واخلدته فى نعمتى ومن زال عن امرى وكذب رسلى اخلدته مهانا فى عذابى واتممت اجلى واظهرت امرى على السنة رسلى وانا الذى لم يعل على جبار الا وضعته ولا عزيز الا اذللته وليس الذى اصر على امره وداوم على جهالته وقالوا لن نبرح عليه عاكفين وبه مؤمنين اولئك هم الكافرون ثم يركع ويقول فى ركوعه سبحان ربى رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون يقولها مرتين فاذا سجد قال اللهم اعلى مرتين اللهم اعظم مرتين ومن شرائعه =

كما انه من المحتمل انهم استندوا الى ما اورده القاضي عبدالجبار عن ابي سعيد الجنابي من قوله : انه رسول الامين الامام حجة الله على خلقه وهو محمد بن عبدالله بن محمد بن الحنفية وهو مقيم في بعض هذه الجبال وهوالمهدى وانه فى سنة ثلاثمائة للهجرة يخرج ويملك الارض كلها[(١)] .

والرد على هذا واضح جدا حيث ان عبدالله بن محمد بن الحنفية المعروف بابى هاشم مات دون عقب فليس هناك وجود لمن يسمى بمحمد بن عبدالله بن محمد بن الحنفية[(٢)] .

اما الاستناد الى ماجاء في الكتاب الذى ذكره الطبرى وابن سنان فضعيف وقد ابدى الاستاذ عليان[(٣)] بعض الملاحظات الجيدة حول هذا الكتاب وهى :

(١) اشير فيه الى ان القرامطة كانوا ينادون بامامة احمد بن محمد بن الحنفية مع ان الثابت ان القرامطة كانوا ممن استجابوا للحسين الاهوازى الذى اتفق المؤرخون على انه كان داعيا اسماعيليا[(٤)] ، وظلوا على وفائهم للامام الاسماعيلى حتى آخر عهدهم بالعراق[(٥)] .

(٢) نص على ان الصلاة المفروضة هى صلاتان فقط وان الخمر حلال . . .

= ان الصوم يومان فى السنة يوم المهرجان والنوروز وان النبيذ حرام والخمر حلال ولا غسل من جنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة وان من حاربه وجب قتله ومن لم يحاربه ممن خالفه اخذت منه الجزية ولا يؤكل كل ذى ناب ولا كل ذى مخلب . تاريخ الامم للطبرى (٨ : ١٦١-١٦٢) ، تاريخ اخبار القرامطة لابن سنان (ص ١١-١٢) الا انه ذكر التكبيرات ثلاثا ولم يذكر الحج .

(١) تثبيت دلائل النبوة للهمذانى (١ : ٣٧٩) .
(٢) الكيسانية فى التاريخ والادب لوداد القاضى (ص ٢٩٩) .
(٣) قرامطة العراق لعليان (ص ٤٣ - ٤٤) .
(٤) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ورقة ٥٦-٥٧) .
(٥) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٩٤) .

والمعروف ان اولئك الذين استجابوا للداعي الاهوازي وعرفوا فيما بعد باسم القرامطة كانوا ممن اعجبوا بتقواه وورعه وكثرة تعبده الذي وصل الى حد اقامة خمسين صلاة في اليوم والليلة [١] . ولو صح انهم كانوا يؤمنون بما جاء في الكتاب المذكور لما استحسنوا ذلك العمل من الاهوازي ناهيك عن الاعجاب به .

(٣) من المحتمل ان يكون هذا الكتاب من وضع زكرويه بن مهرويه وابنائه بعد ان اصطدموا بزعيم الاسماعيلية في سلمية سنة ٢٩١ [٢] ولما كان زكرويه وابناؤه فشلوا في انتسابهم الى محمد بن اسماعيل فانهم حاولوا بضرب الدعوة الاسماعيلية والعباسيين معا وكانت وسيلتهم الدعوة لاحمد بن الحنفية ليدحضوا بها دعوة الاسماعيلية الحسينيين وكذلك ليتخذوا منها سلاحا يشهرونه في وجه العباسيين واختاروا احمد بالذات دون اخيه ابي هاشم بن محمد بن الحنفية لان الاخير كان قد تنازل عن حقه في الخلافة للعباسيين . ومما يؤيد ذلك ان الفرج بن عثمان الذي ورد الكتاب على لسانه ـ هو نفسه زكرويه بن مهرويه كما ذكر ذلك ابن خلدون [٣] .

واضافة الى ما ذكره عليان فان من المعروف عن الحركة القرمطية انها استوعبت عناصر دينية متباينة ومجموعة ائمة اسماعيلية وكيسانية وان بعض العقائد المنسوبة الى هؤلاء الائمة تتصل بالكيسانية والاسماعيلية وقد احتفظ بها بعض الاتباع الذين دخلوا في الدعوة القرمطية [٤] .

وليس من المستبعد ان فريقا من الكيسانية وجد في حركة

---

(١) تاريخ الامم للطبري (٨ : ١٦٠) .

(٢) مجلة كلية الاداب ـ استتار الامام للنيسابوري (ص ٩٦-٩٧) .

(٣) العبر لابن خلدون (٤ : ١٨١) .

(٤) مقدمة اصول الاسماعيلية للدكتور عبد العزيز الدوري (ص ٢١) .

القرامطة الوسيلة التى طال بحثهم عنها لاجل قلب الخلافة العباسية وذلك بعد مرور ما يزيد على قرن ونصف وهم ينتظرون رجعة محمد بن الحنفية حتى يئسوا من حدوث تلك الرجعة فماكان منهم الا ان تحولوا الى اراء القرامطة لا سيما انه كان بين القرامطة انشقاقات داخلية حيث وجد الكيسانية لهم مكانا بينهم وقد بقى فى اذهانهم بعض عقائدهم الاولى ومنها القول بامامة احد افراد بيت ابن الحنفية (١) .

ومما تقدم يتضح خطأ ماذهب اليه كل من كازانوفا والنشار من ان القرامطة كانوا كيسانية اوانهم اعتنقوا مبدأ الكيسانية الحنفية ولم يتحولوا عنه الا فى بعض الفترات ظاهريا .

وبعد عرض الاراء مجملة ندخل الموضوع بشىء من التفصيل على غرار ماكتبنا عن القرامطة تاريخيا حيث ابدأ الحديث عن قرامطة العراق ومدى صلتهم واختلافهم مع زعماء الاسماعيلية منتقلا بعد ذلك الى قرامطة الشام ثم قرامطة البحرين واخيرا قرامطة اليمن .

---

(١) انظر بحث الكيسانية فى التاريخ والادب لوداد القاضى (ص ٢٩٧- ٢٩٨) .

(١) قرامطة العراق :

مما لا خلاف فيه ان نشأة القرامطة فى العراق وظهورهم كحركة قائمة لها كيان ملموس اقترن بمجهود احد دعاة الاسماعيلية ويدعى بالحسين الاهوازى حيث وفد الى سواد الكوفة سنة ٢٦٤ هـ وقابل حمدان قرمط ولقنه اصول الدعوة الاسماعيلية ومن خلال هذه المقابلة اخذ عليه العهد للامام الاسماعيلى (١) .

وذكر الطبرى عن الحسين الاهوازى انه قبض عليه من قبل احد الولاة للعباسيين ولكنه تمكن من الفرار والهروب الى بلاد الشام (٢) .

وقد استخلف على الدعوة وامورها فى سواد الكوفة تلميذه حمدان قرمط وعلى يده انتشرت تلك الحركة المشهورة التى ظلت لا تعرف الا باسمه .

ظل حمدان ومعه عبدان على صلة تامة بزعماء الاسماعيلية فى مسلمية يتلقون تعاليمهم ويدينون لهم بالطاعة والولاء وحيث ان هذه الحقيقة مثار خلاف بين المؤرخين والكتاب فلابد من التدليل على تلك الصلة المستمرة بين قرامطة العراق وزعماء الاسماعيلية والادلة التى تثبت ذلك كثيرة منها :

(١) ان الداعى الاسماعيلى حسين الاهوازى لما حضرته الوفاة

---

(١) هذه البداية لحركة القرامطة ذكرها جمع من المؤرخين والعلماء وسيأتى البحث فيها فى الباب الثانى وفيه قصة اللقاء بين حمدان قرمط والداعى الاسماعيلى نقلا من اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٥١-١٥٢) ، وقد ذكرها ايضا النويرى فى نهاية الارب (٢٣ : ورقة ٥٦) اما باقى المؤرخين فذكروها لكنهم لم يصرحوا باسم الحسين الاهوازى مكتفين بقولهم قدم رجل من خوزستان الى سواد الكوفة ومن هؤلاء الطبرى فى تاريخه (٨ : ١٥٩-١٦٠) وابن الاثير فى الكامل (٦ : ٦٩-٧٠) ، وابن الجوزى فى تلبيس ابليس (ص ١٠٤) ، والغزالى فى فضائح الباطنية (ص ١٢) وقالا عن الاهوازى انه احد دعاة الباطنية .

(٢) انظر تاريخ الامم للطبرى (٨ : ١٦٠) .

- حسب مانقله النويري -[1] او هرب الى الشام - حسب رواية الطبري[2] - عين حمدان قرمط خلفا له في مواصلة الدعوة[3] وذلك دليل على ثقته به واخلاصه للمذهب الاسماعيلي .

(٢) ان زعماء الاسماعيلية كانوا يتدخلون تدخلا مباشرا في اختيار الرؤساء لحركة القرامطة في العراق[4] .

(٣) المساعدات المالية التي كان يتلقاها القرامطة في سواد الكوفة من زعماء الاسماعيلية في سلمية فعبد الله بن ميمون ارسل الى القرامطة جزءا من الهبة المالية الكبيرة التي حصل عليها من محمد بن الحسين (دندان) للانفاق على الدعوة هناك .

(٤) ان زعماء الاسماعيلية اعتبروا الحركة القرمطية نشأت تحت ظل ائمتهم فنجد ان زعيم الاسماعيلية يأمر احد ابنائه بالاقامة في بلدة الطالقان ليكون اقرب للاتصال بحمدان قرمط المقيم في كلواذى[5] .

ولذا فان كتابات حمدان قرمط الى زعماء الاسماعيلية انما كانت ترد عن طريق هذا الرجل المقيم في الطالقان حتى انه لما انقطعت المكاتبة بين حمدان والامام الاسماعيلي شخص هذا الرجل يسأل عن سبب ذلك واخذ يعاتب الدعاة في قطع رسائلهم[6] .

(٥) كان شعار الدعوة الاسماعيلية مخالفا - بطبيعة الحال - للشعار العباسي اللون الاسود فمنذ الفترات الاولى للدعوة الاسماعيلية

---

(١) نهاية الارب (٢٣ : ٥٧) .
(٢) تاريخ الامم (٨ : ١٦٠) .
(٣) انظر نهاية الارب للنويري (٢٣ : ورقة ٥٦) ، اتعاظ الحنفا للمقريزي (١ : ١٥٥) .
(٤) استتار الامام للنيسابوري من مجلة كلية الاداب (ص ٩٥-٩٦) .
(٥) الفهرست لابن النديم (١ : ١٨٩) ، كتاب الحاكم بامر الله (ص ٤٩) .
(٦) اتعاظ الحنفا للمقريزي (١ : ١٦٧-١٦٨) .

اتخذ عبدالله بن ميمون اللون الابيض شعارا للدعوة الاسماعيلية.(١)
وفى آخر ثورة لقرامطة العراق سنة ٣١٦هـ ذكر ابن الاثير ان
قوادهم كانوا يحملون اعلاما بيضاء وانهم كانوا يدعون للمهدى.(٢)
وهذا ما يؤكد بقاء الصلة والاستمرار بين ائمة الاسماعيلية وقرامطة
العراق حيث التمسك بالشعار الاسماعيلي والدعوة للائمة .
ولحسن هذه الصلة بين قرامطة العراق والاسماعيلية فقد اشكل
على كثير من المؤرخين والكتاب ما اورده كل من النويرى والمقريزى من
ارتداد القرامطة عن الدعوة الاسماعيلية وقطعهم لها نهائيا من العراق .
وحيث انه لم ينقل لنا عن خلاف وقع بين هذين الفريقين سوى هذه
الرواية فسوف انقلها ثم اناقشها مع العرض لتفسيرات الباحثين حول ذلك .
يقول النويرى : ان حمدان قرمط كان يكاتب من بسلمية فلما توفى
من كان فى وقته وجلس ابنه من بعده كتب الى حمدان كتابا فلما
ورد الكتاب قرأه وانكر مافيه وتبين ان مافيه من الفاظ قد تغيرت عليه
فاستراب وفطن ان حادثة حدثت فانفذ حمدان قرمط داعيته عبدان على
عجل ليتعرف على واقع الامر وكشف سر هذا التغيير المفاجىء فسار
عبدان ولما وصل عرف بموت الطاغية الذى كانوا يكاتبونه وهنا اجتمع بابنه
وسأله عن الحجة وعن الامام بعده الذى يدعو اليه فقال الابن ومن
الامام ؟ قال عبدان : محمد بن اسماعيل بن جعفر صاحب الزمان
الذى كان ابوك يدعو اليه وكان حجته فانكر ذلك عليه وقال محمد بن
اسماعيل لا اصل له ولا يكون الامام غير ابى وهو من ولد ميمون بن ديصان
وانا اقوم مقامه .(٣)

ويذكر المقريزى مضمون هذه الرواية ويضيف على ما ذكره النويرى

---

(١) كتاب عبيد الله المهدى لحسن ابراهيم وطه شرف (ص ٥٩) .
(٢) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٩٤) .
(٣) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ورقة ٧٠-٧١) .

ان حمدان قرمط لما عرف الخبر عن طريق عبدان جمع الدعاة وامرهم بقطع الدعوة حنقا من قول صاحب سلمية : لا حق لمحمد بن اسماعيل فى هذا الامر ولا امامة .

وكان قرمط انما يدعو الى امامة محمد بن اسماعيل فلما قطعوها من ديارهم لم يمكنهم قطعها من غير ديارهم لانها امتدت فى سائر الاقطار . ومن حينئذ قطع الدعاة مكاتبة الذين كانوا بسلمية .

ثم يضيف المقريزى قائلا ان عبدان عرف الرجل الذى كان يقيم فى الطالقان بقطع الدعوة عن ائمة الاسماعيلية وانهم (اى القرامطة) لن يعودوا فيها وانه (اى عبدان) تاب من هذه الدعوة حقيقة .(١)

تعددت آراء الكتاب والباحثين حول التفسير لهذا الانفصال الذى حدث بين قرامطة العراق وزعماء الاسماعيلية حتى ان بعض الكتاب ذكر اكثر من رأى ففى كتاب عبيد الله المهدى لحسن ابراهيم حسن وطه شرف تفسيرات عدة وهى :

(١) ان الامام المستور لم يكن معروفا لدى القرامطة وان الذى يعرفونه ويتراسلون معه انما هو الحجة الذى يقر فى مكاتباته مع القرامطة انه نائب عن الامام فلما اعلن عبيد الله المهدى امامته وخرج من دور الاستتار الى الظهور كان مفاجأة للقرامطة فقطعوا الدعوة واختلفوا مع الاسماعيليين .(٢)

وهذا التفسير غير صحيح لانه يتعارض مع الرواية التى ذكرها لنا المقريزى والنويرى ومؤداها : ان حمدان قرمط كان يعرف الامام الاسماعيلى ويكاتبه ويعرف اسلوبه من خلال كتاباته ولا ادل على ذلك من انه لما مات هذا الامام وخلفه ابنه وكتب الى حمدان انكر منه اشياء وبعث احد دعاته ليعرف الخبر ولما ذهب عبدان عرف موت الذى كانوا يكاتبونه .(٣)

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٨) .
(٢) انظر كتاب عبيد الله المهدى لحسن ابراهيم وطه شرف (ص ٨٥) .
(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٧) .

(٢) ان قرامطة العراق وعلى رأسهم حمدان كانوا من الكيسانية اعتنقوا المبدأ الاسماعيلي فترة من الوقت لكنهم في الاخير رجعوا الى عقيدتهم الاولى (الكيسانية) منتهزين فرصة انتقال الامامة من شخص لاخر وفي النهاية انتقضوا على الدعوة الاسماعيلية .(١)

ومن يذهب ايضا الى هذا الرأي النشار حيث ذكر عن حمدان وعبدان واتباعهما انهم تخلوا عن الدعوة الاسماعيلية وعادوا الى الكيسانية.(٢)

ويقرب من هذا الرأي ماذكره الدوري من ان انفصال حمدان واتباعه عن الدعوة الاسماعيلية راجع الى التباين والاختلاف بالمبادئ ، فالقرامطة كانوا ينتظرون عودة محمد بن اسماعيل وان هذه الدعوة تعتبر تمهيدا لرجوعه فعندهم انه لا معنى للامام المستور .(٣)

والحقيقة ان القرامطة حينما انفصلوا عن الاسماعيلية لم يرفعوا مبادئ فكرية مغايرة للدعوة الاسماعيلية والمصادر التي بين ايدينا لا تشير الى اى شئ من ذلك .

هذا وسبق ان بينت خطأ من يقول بان القرامطة كانوا كيسانية وانهم رجعوا اليها ودعمت ذلك بالادلة فيما مضى من البحث.

(٣) ان عبيد الله المهدى لم يكن اماما وانما هو من القداحيين الذين يعتبرون حجة للامام ولذا لما اعلنت امامته ثار القرامطة وعلى رأسهم حمدان وعز عليهم ان يروا على عرش الامامة اماما لا يمت الى العلويين بنسب كما انهم فوجئوا بهذا الانتساب لمعرفتهم بان عبيد الله من نسل ميمون القداح .(٤)

---

(١) انظر كتاب عبيد الله المهدى لحسن ابراهيم (ص ٩٤) .
(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام (٢ : ٤٥١) .
(٣) انظر دراسات في العصور العباسية المتأخرة لعبد العزيز الدوري (ص ١٦٧) .
(٤) انظر كتاب عبيد الله المهدى لحسن ابراهيم وطه شرف (ص ٩٣) .

ومن التفاسير الاخرى ان بعض الكتاب المعاصرين يرى أن المعضلة الرئيسية التى حملت فى طياتها بذور الفرقة بين الاسماعيليين والقرامطة هى مرحلة التستر عينها ، التى حالت دون استمرار التماس بين الفئتين واطلاعهما على الاهداف العليا . فلقد كان الامام الاسماعيلى محاطا بالسرية التامة وبمعزل الا عن المقربين المخلصين له ... ثم يضيف صاحب هذا القول بانه لم يتسن لجميع الاتباع ان يقفوا على اخبار امامهم ولا محل اقامته .... هذا فى دور الستر وما ان انتهى هذا الدور ، وتناهى للقرامطة ان الامام هو عبيد الله المهدى حتى التبس عليهم الامر لانهم لا يزالون يدينون بالطاعة والولاء لمحمد بن اسماعيل (١) .

ولكن يؤخذ على هذا التفسير انه اعتبر زعماء القرامطة من الاشخاص المبعدين عن الائمة واخبارهم بينما يعتبر من امثال حمدان قرمط وعبدان من المخلصين للدعوة والمقربين من ائمة الاسماعيلية . كما ان هذا التفسير لا يتلاءم وقرامطة العراق وانما ينطبق على قرامطة الشام وماحصل بينهم وبين الامام عبيد الله المهدى من خلافات وانشقاقات .

ويقرب من هذا التفسير مارآه بندلى جوزى بقوله : ويظهر لى ان زعماء القرامطة لم يكونوا مطلعين على اغراض رؤساء الحركة السرية اما لانهم لم يبلغوا الدرجة الاخيرة من التكريس ، او لانه لم يكن يسمح لهم بالوصول اليها اذ لم يكن يصل اليها الا القليلون (٢) .

ويرى اسماعيلى آخر ان حمدان كان ثوريا عنيفا لا يستطيع الصبر على الضيم ولا يستكين الى الظلم ولهذا فان اجتهاداته واختباراته قادته الى ركوب مراكب الاخطار باعلانه الثورة المبكرة على الخلافة العباسية دون الرجوع الى مركز الامامة فى سلمية وهى التى توصى بالتريث

---

(١) انظر اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٥٨-٥٩) .
(٢) تاريخ الحركات الفكرية لبندلى جوزى (ص ٦٠) .

وتكريس الجهود ... ثم يضيف قائلا ان سلمية لم تكن راضية من هذا الاجراء الذى فعله حمدان ولم تبارك تلك الخطوة[١].

وهذا التفسير فيه قلب للحقيقة والواقع فبينما المصادر تذكر هذا الخلاف وتعزوه الى زعماء الاسماعيلية وما احدثوه من تهديل وتغيير فى الامامة[٢] نجد صاحب هذا الرأى يصرفه عن مصدره واساسه مدعيا ان القرامطة وعلى رأسهم حمدان هم الذين احدثوا هذا الخلاف اذن فهذا التفسير لا يستحق مناقشة اكثر مما ذكرت.

وبعد سرد هذه التفسيرات ورد مالا يتلاءم مع الادلة والاحداث نجد ان من اقرب التفسيرات لهذا الانفصال هو التفسير الثالث ومؤداه : ان عبيد الله المهدى لم يكن اماما وانما هو من القداحيين فثورة القرامطة واختلافهم مع زعماء سلمية ام يحصل الا بعد اعلان عبيد الله اماما فكان هذا الاعلان مفاجأة لهم باعتبار ان عبيد الله المهدى لا يمت الى العلويين بنسب وترجيحنا لهذا التفسير يدفعنا الى ذكر الادلة التى تنفى انتساب عبيد الله المهدى ونسله الى آل البيت، ومن اقدم الروايات عن نسب عبيد الله رواية ابى عبد الله محمد بن على بن رزام الكوفى ونقل هذه الرواية ابن النديم فى كتابه الفهرست فهو يقول - بعد الحديث عن انتشار الدعوة الاسماعيلية وتنقل رئاستها من شخص لاخر - ثم قام بالدعوة بعد ذلك سعيد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون وكان الحسين مات فى حياة ابيه ومن قبل سعيد انتشرت الدعوة فى بنى العليص الكلبيين ولم يزل عبد الله وولده بعد خروجهم من البصرة يدعون انهم من ولد عقيل وكانوا قد احكموا النسب بالبصرة فمن ولد عبد الله انتشرت الدعوة فى

---

(١) القرامطة لعارف تامر (ص ١٢٠-١٢١).

(٢) انظر نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ورقة ٧٠-٧١)، اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٧-١٦٨).

الارض . . . ثم يضيف قائلا ان سعيد خرج الى مصر فادعى انه علوى فاطمى وتسمى بعبيدالله . . . ولكنه لما نظر الى ان ما ادعاه من النسب لا يقبل منه اظهر غلاما حدثا وزعم انه من ولد محمد بن اسماعيل وهو القيم بالامر بعد عبيدالله [١] .

كما ينقل لنا المقريزى دليلا آخر ويعزوه الى علوى عاش فى القرن الرابع ويدعى بالشريف العابد المعروف باخى محسن ومؤدى هذه الرواية ان القوم (اى العبيديين) من ولد ديصان الثنوى وان ديصان ولد له ابن اسمه ميمون القداح وانه ولد لميمون ابن واسمه عبدالله وهذا الابن ادعى انه ولد عقيل بن ابى طالب واخذ يدعوالى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وولد لعبدالله ابن يسمى احمد وولد لاحمد ولدان هما الحسين ومحمد ثم هلك احمد فخلفه ابنه الحسين فى الدعوة فلما هلك الحسين خلفه اخوه احمد وكان للحسين ابن اسمه سعيد فبقيت له الدعوة حتى كبر ولما تولى الامامة هرب الى المغرب سرا وصار صاحب الامر فيها وتسمى بعبيد الله وتكنى بابى محمد وتلقب بالمهدى وصار اماما علويا من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق قال : (اى الشريف اخو محسن) فعبيدالله ـ الملقب بالمهدى ـ هو سعيد بن الحسين بن احمد بن عبدالله بن ميمون القداح بن ديصان الثنوى الاهوازى واصلهم من المجوس [٢] .

اما القاضى ابى بكر الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣هـ فيقول : ان القداح جد عبيدالله كان مجوسيا وان عبيدالله دخل المغرب وادعى انه علوى ولم يعرفه احد من علماء النسب وكان باطنيا خبيثا ... الخ [٣]

ويقول ابن حزم بعد ذكره لادعاءات عبيدالله المهدى : وكل

---

(١) الفهرست لابن النديم (ص ٢٣٨ - ٢٣٩) .
(٢) انظر اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ٢٢ - ٢٨) .
(٣) كتاب الحاكم بامر الله (ص ٥١) .

هذه دعوى مفتضحة لان محمد بن اسماعيل ابن جعفر لم يكن له قط ولد يسمى الحسين وهذا كذب فاحش ولان مثل هذا النسب لا يخفى على من له اقل علم بالنسب ولا يجهل اهله الا جاهل[١] .

ويقول البيرونى فى كتابه الاثار الباقية " فلا يحتاج فى تصحيحه (اى النسب) الى بذل الاموال والجعل كما بذلها عبيد الله بن الحسين بن احمد بن عبدالله بن ميمون القداح لنقباء العلوية لما كذبوا اعتزاءه اليهم ايام خروجه بالمغرب حتى ارضاهم واسكتهم[٢] .

اما ابن خلكان فيذكر الاختلاف فى نسبه ويرجح القول بانكار نسبة عبيد الله الى آل البيت حيث يقول : (ان اهل العلم بالانساب من المحققين ينكرون دعواه فى النسب)[٣] .

اما شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فيقول عن العبيديين ان اهل العلم بالانساب اتفقوا على براءتهم من نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان نسبهم متصل بالمجوس واليهود[٤] .

وفى موضع آخر ذكر ان اهل العلم بالانساب وغيرهم يعلمون انه ليس لبنى عبدالله بن ميمون نسب صحيح . وقد شهد بذلك طوائف اهل العلم من اهل الفقه والحديث والكلام والانساب . وثبت فى ذلك محاضر شرعية . وهذا مذكور فى كتب عظيمة من كتب المسلمين بل ذلك مما تواتر عند اهل العلم[٥] .

اما ادلة المؤيدين فيقول عنان عنها فى كتابه الحاكم بامر الله :

ان مما يلفت النظر فى الكتابات الاسماعيلية اعراضها عن ذكر نسب

---

(١) جمهرة انساب العرب لابن حزم (ص ٦١) .
(٢) الاثار الباقية (ص ٣٩) ، نقلا من وفيات الاعيان (٣ : ١١٧) .
(٣) وفيات الاعيان (٣ : ١١٧ - ١١٨) .
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨ : ٤٨٣) .
(٥) المرجع السابق (٣١ : ٩٤) .

الفاطميين فيما خلا روايتين[(١)] وردتا عرضا وفيما خلا هاتين الروايتين الموجزتين فان معظم الروايات الاسماعيلية المفصلة من نسبة الخلفاء الفاطميين ترجع الى عصور متأخرة كرواية الخطاب المتوفى سنة ٥٣٣هـ ورواية عماد الدين ادريس المتوفى سنة ٨٧٢هـ ورواية الحسن بن نوح المتوفى سنة ٩٣٩هـ، كما ان هذه الروايات صدر معظمها من دعاة الاسماعيلية فى الهند وفارس واليمن ولم تصدر بمصر موطن الخلفاء الفاطميين انفسهم اية رواية تؤيد نسبهم[(٢)] .

وان اول مايلاحظ على الخلفاء الفاطميين انهم لم يذكروا نسبتهم مفصلة فى اية مناسبة من المناسبات الرسمية وحينما سأل المعز عن نسبه قال لمن سأله من الاشراف سنعقد مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس فى مجلس عام وجلس لهم وقال : هل بقى من رؤسائكم احد فقالوا : لم يبق معتبر فسل عند ذلك نصف سيفه وقال : هذا نسبى ونثر عليهم ذهبا وقال : هذا حسبى[(٣)] .

ويقول عنان فى كتابه الحاكم بامر الله : وما له مغزى عميق فى ذلك ان القاضى النعمان صديق المعز وداعيته الاكبر لم يذكر لنا فى اى كتاب من كتبه العديدة شيئا عن نسبة الخلفاء الفاطميين فهو يلزم الصمت ازاء نسبة عبيد الله وابنائه وآبائه مع انه كان معاصرا لابن رزام الذى ينسب الفاطميين الى ميمون القداح ولابن النديم صاحب الفهرست الذى ينقل روايته وقد كان بلاريب بمركزه وعلمه وصلته الوثيقة

---

(١) وهما رواية الداعى جعفر بن منصور اليمن عن نسبة المهدى وترجع هذه الرواية الى اوائل القرن الرابع والثانية رواية الداعى حميد الدين الكرمانى عن نسبة الحاكم بامر الله وترجع الى اوائل القرن الخامس .

(٢) انظر كتاب الحاكم بامر الله لمحمد عنان (ص ٧٣) .

(٣) وفيات الاعيان لابن خلكان (٣ : ٨٢) .

باولى الامر اوثق من يستطيع ان يدفع هذا الطعن فى نسب الخلفاء الفاطميين[1] ولكنه لم يفعل ذلك وهذا مثار استغراب وتساؤل .

ومما قدمنا من الادلة يتضح ان عبيدالله المهدى دعى لا يمت الى العلويين بنسب وهذا مادفع بالقرامطة الى الانفصال من الدعوة الاسماعيلية ورفضهم للامتثال باوامر زعماء سلمية .

ونصل بعد سرد هذه الاراء وترجيح الرأى الاخير بان قرامطة العراق حينما انفصلوا عن زعماء الاسماعيلية لم يرفعوا شعارات ومبادىء مغايرة لعقائد الاسماعيلية بل ان ماحصل بينهما حول الامامة فقط واحقية آل البيت بها من نسل محمد بن اسماعيل .

---

(١) الحاكم بامر الله لمحمد عبدالله عنان (ص ٧٣) .

(٢) قرامطة الشام :

مما لا شك فيه ان قرامطة الشام جزء لا يتجزأ من قرامطة العراق وبجهود هم انتشرت الحركة فى الشام على يد آل زكرويه الذين تربوا على يد حمدان قرمط وعبدان الكاتب فمهرويه من اوائل من استجاب الى حمدان (١) .

اما ابنه زكرويه فهو احد من تبع عبدان حيث نصبه داعيا على اقليم نهرهد وما والاه واصبح زكرويه يبعث الدعاة من قبله (٢) .

واول خلاف حصل بين قرامطة العراق وقرامطة الشام بعد موت حمدان قرمط وتولى عبدان لزعامة القرامطة حيث كانت لزكرويه اليد الطولى فى القضاء على عبدان وفى ذلك يقول المقريزى : ان زكرويه باطن على قتل عبدان بمساعدة جماعة من قرابته وثقاته وبيتوه ليلا وقتلوه (٣) .

وبعد المؤامرة على قتل عبدان فر زكرويه بن مهرويه لان الدعاة واصحاب قرمط طلبوه ليقتلوه فاستتر ويقول المقريزى مشيرا الى نتائج هذه المؤامرة : ان القوم كلهم خالفوه (اى زكرويه) الا اصل دعوته (٤) .

من هنا حصل الخلاف والفرقة بين قرامطة العراق وقرامطة الشام فاصبح لزكرويه وابنائه نشاط فى الشام بعيد عن نشاط القرامطة بالعراق ولكن هذا الخلاف لم يتوقف عند هذا الحد بل امتد الى زعماء الاسماعيلية حيث قام الحسين بن زكرويه باحداث دامية مع مركز الدعوة الاسماعيلية فى سلمية فخرج على الامام الاسماعيلى وطارده وقضى على اقربائه فنكل بهم اشد تنكيل قتلا وتشريدا وسيأتى ذكر ذلك مفصلا فى الباب الثانى (٥) .

---

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٥٥) .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق (١ : ١٦٨) .
(٤) المرجع السابق ونفس الصفحة .
(٥) راجع هذه الاحداث عند ترجمة الحسين بن زكرويه بالباب الثانى .

ونستنتج من هذه الاحداث ان الخلاف بين قرامطة الشام وزعماء الاسماعيلية ظهر منذ انفصال اسرة آل زكرويه عن قرامطة العراق وان هذا الخلاف وصل نهايته حتى اصبح قرامطة الشام يعيشون بمعزل عن جميع الفئات سواء مركز الدعوة الاسماعيلية فى سلمية او قرامطة العراق الذين اخذوا يطاردون زكرويه الى سنة ثمان وثمانين ومائتين ليقتلوه ولكنه استتر عنهم[١] .

او قرامطة البحرين الذين رفضوا التعاون مع حركة آل زكرويه فى معاركهم ضد الدولة العباسية باعتبارهم خارجين على الامام الاسماعيلى يقول دى غويه "ان قرامطة العراق وقرامطة البحرين رفضوا الاعتراف بكل ما ادعاه ابناء زكرويه"[٢] .

ولا شك ان عدم تعاون هؤلاء معهم يعطى دليلا واضحا على ان قرامطة الشام لا يعترفون بامامة زعماء سلمية كما اعترف بها قرامطة العراق والبحرين ولذا نادوا على انفسهم بالامامة وانهم اصحاب الحق فيها وسيأتى بيان الادلة على ذلك[٣] .

ومن الواضح جدا لدى المتتبع لزعماء قرامطة الشام فى كل ثورة قاموا بها انهم لم يرفعوا شعارات فكرية وعقائدية تميزهم عن غيرهم بل كانوا اصحاب شعوذة وتمويه وادعاءات كاذبة موهوا بها على السذج من بادية الشام الذين لاهدف لهم الا السلب والنهب . وبهذا يتضح لنا طبيعة حركة قرامطة الشام وانها لا تعدو عن كونها حركة ثورية يتطلع قادتها الى الزعامة واتباعها الى كسب الاموال والمتاع باسلوب السلب والنهب ويقول عارف تامر عنهم :

---

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٦٨) .
(٢) قرامطة العراق لعليان (ص ٨٥) .
(٣) راجع ترجمة الحسين بن زكرويه فى الباب الثانى .

ان انصارها كانوا من قبائل البدو الذين لا تربطهم روابط اجتماعية او سياسية او تعاون وثيق في سبيل الهدف (١) .

(١) القرامطة لعارف تامر (ص ١٣٧) .

(٣) قرامطة البحرين :

تعتبر حركة القرامطة فى البحرين امتدادا للدعوة القرمطية فى العراق بل جزء لا يتجزأ منها فاول من نشر الدعوة هناك تربى على يد عبدان واخذ الدعوة عنه حتى صار داعية من كبار الدعاة فى المذهب.(١)

يقول ابن حوقل ـ مشيرا الى بداية ابى سعيد الجنابى ـ انه تعلق بدعوة القرامطة من قبل عبدان الكاتب وانه عينه للدعوة فى جنوب فارس ولكنه اضطر للهرب بسبب تتبع الشرطة له فكتب اليه حمدان بالشخوص اليه ولما اجتمع به وعاينه رأى منه نافذا فيما يكلفه ورأى ما دار عليه ليس من قبله هو فانفذه الى البحرين وامره بالدعوة هناك وايده بوجوه القوة من المال والكتب وغيرهما(٢) .

ويقول عنه فى موضع آخر : ان ابا سعيد يعتبر من اتباع حمدان وعبدان المخلصين(٣) .

ويؤكد البغدادى ذلك بقوله : ثم ظهر بعد حمدان قرمط فى الدعوة الى البدعة ابو سعيد الجنابى الذى كان من المستجيبين لحمدان وتغلب على ناحية البحرين(٤) .

اذن فدعوة القرامطة فى البحرين ماهى الا ثمرة من غرس قرامطة العراق وامتداد لحركتهم التى ظلت على صلة وثيقة بالائمة الاسماعيليين اما صلة قرامطة البحرين بالائمة العبيديين فاختلفت حسب زعامة افراد الحركة .

فالفترة الاولى ـ وتتمثل فى حكم ابى سعيد الجنابى وابنائه من بعده ـ ظل الائمة العبيديون يمدون القرامطة بالافكار والاراء والتعاليم

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٥٩-١٦٠) .
(٢) المسالك والممالك لابن حوقل (ص ٢١٠) .
(٣) المرجع السابق (ص ٢١١) .
(٤) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٦٧) .

والارشادات ويشرفون على احوالهم وتنظيماتهم كما ان القرامطة بدورهم في هذه الفترة كانوا يخضعون للائمة الخضوع التام ويسيرون وفق تعاليمهم ويشير عنان الى ذلك بقوله : ان فورة القرامطة كانت من ثمار وحي الائمة وقد لبثت موالية لهم مدى حين (١) .

اما الفترة الثانية وتبدأ بعد وفاة ابي طاهر سنة ٣٣٢هـ حيث ساد التوتر وساءت العلاقة بين الائمة العبيديين والقرامطة حتى وصل الخلاف حدته في فترة الحسن الاعصم الذي فجرها حربا دموية مع ائمة الدولة العبيدية في مصر ،

ودراسة هذه الفترة وتحليل احداثها هو الذي يهمنا في هذا الفصل اما الفترة الاولى فهي تعطي الصورة الواضحة للقرامطة وصلتهم بالائمة .

ومظاهر الخلاف بين قرامطة البحرين والائمة في فترة التوتر ظهرت متعددة ومختلفة ومن هذه المظاهر :

(١) حذف اسم الامام الاسماعيلي من الخطبة ويبدو وهذا واضحا في الحرمين الشريفين فحينما اغار القرامطة على مكة سنة ٣١٧هـ ، اصبحت الخطبة لعبيد الله المهدي بدلا من الخليفة العباسي وبقي ذكره طوال فترة بقاء آل طاهر وحينما بدأ التوتر وساءت العلاقة بين قرامطة البحرين والامام العبيدي حذف اسمه من الخطبة واصبح القرامطة يخطبون لانفسهم . يقول ابن الاثير حينما ذكر بعض احداث سنة ٣٥٩هـ ان الخطبة بمكة كانت للمطيع لله العباسي وللقرامطة الهجريين (٢) ، وهذا في الحقيقة يعتبر مظهرا من المظاهر الاولية في الخلاف بين الفرعين الاسماعيلي والقرمطي .

---

(١) الحاكم بامر الله لعنان (ص ٢٨٨) .
(٢) الكامل لابن الاثير (٨ : ١٤٧) .

(٢) تدرج الامر بالقرامطة الى نبذ اسم الامام الاسماعيلى كلية حيث حذفوا اسمه من جميع المساجد التى تحت سيطرتهم فحينما دخل الحسن القرمطى الشام اقام الدعوة فى مساجدها للخليفة العباسى وامر بحذف اسم الخليفة الفاطمى من الخطبة [١] وذكر الحاكم فى الخطبة كان - ولا زال - يمثل الولاء والتبعية ولذا فقد اعتبر الائمة تصرف الحسن هذا بمثابة الخروج عليهم والتنكر لتعاليمهم التى تنص على جعل الخطباء ابواقا لهم مابين ثناء عليهم ودعاء لهم فى الاعياد والجمع والمناسبات .

(٣) تظاهر القرامطة بالرجوع الى كنف الدولة العباسية والتباعد عن الدولة العبيدية وكانت وسيلتهم فى اثبات ذلك بعض الهتافات والشعارات التى يرفعونها فى المناسبات . يقول ابو المحاسن ان القرمطى سار بجيشه الى الشام ومعه اعلام سود (شعار العباسيين) واظهر ان الخليفة المطيع ولاه وكتب على الاعلام اسم المطيع عبد الكريم (الخليفة العباسى) وتحته مكتوب (السادة الراجعون الى الحق) [٢] .

كما يذكر المقريزى : ان القرامطة قاموا الدعوة للمطيع لله العباسى فى كل بلد فتحوه وسودوا اعلامهم ورجعوا عما كانوا يمخرقون به واظهروا انهم كامراء النواحى الذين من قبل الخليفة العباسى [٣] .

(٤) الدعاية الفكرية والاعلامية التى استخدمها القرامطة للحط من قيمة الائمة فحينما دخل الحسن الاعصم دمشق لعن المعز الخليفة العبيدى - على منبر الجامع ولعن اباه وقال عنهم

---

(١) سياسة الفاطميين الخارجية لمحمد سرور (ص ١٢٦) .
(٢) النجوم الزاهرة ، لابى المحاسن (٤ : ٧٤) .
(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٨٨) .

ان هؤلاء من ولد القداح وهم كذابون ممخرقون اعداء للاسلام ونحن اعلم بهم ومن عندنا خرج جدهم القداح[1].

(٥) واخيرا الحرب الدموية التى فجرها الحسن القرمطى مع الائمة العبيديين فى اماكن متعددة شملت كلا من فلسطين والشام ومصر وفى كثير من المعارك كانت الهزيمة تصاحب الجيش العبيدى وفى النهاية وصل الحسن بجيوشه الجرارة اسوار القاهرة واصبح يهدد العبيديين فى عقر دارهم .

يتحدث النويرى عن مدى الاهتمام والخوف الذى اصاب المعز من جراء زحف القرامطة قائلا : ان جوهر (قائد الجيش) كتب الى المعز لدين الله ... يخبره بما جرى على عسكره من القتال والحصار وان الحسن اخذ يقاتلهم على خندق عسكرهم وقد اشرف على اخذ مصر فقلق من ذلك قلقا شديدا وجمع من يقدر عليه وسار الى مصر وهو يظن انها تؤخذ قبل ان يصل اليها[2] .

ان هذه المظاهر - التى تدل على وقوع الاختلاف وسوء العلاقة لا تعطى دليلا على نبذ القرامطة للدعوة الاسماعيلية حيث ان هذا الاختلاف وقع لفترة معينة وتحت زعامة شخص واحد فقط هو الحسن الاعصم .

وان معرفة الاسباب الحقيقية لما وقع من احداث فى هذه الفترة تعيننا على تفسير هذا الاختلاف وسوء العلاقة وتتلخص هذه الاسباب فى امور ثلاثة :

(١) انقسام قرامطة البحرين الى فريقين : احدهما موال للائمة فى مصر والمغرب وهذا الفريق يحظى بتأييدهم .

والثانى مخالف لهم ويسعى الى الاستقلال الذاتى دون الرجوع اليهم ولذا حاول الائمة مساعدة الفريق الموالى لهم باذكاء نار الحرب

---

(١) النجوم الزاهرة لابى المحاسن (٤ : ٧٤) .

(٢) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٩٦) .

بين الفريقين والسعى لابعاد الفريق المخالف لهم لكن لم تنجح هذه المحاولات حيث تغلب هذا الفريق وحدث الخلاف . ويذكر ابن خلدون هذه الاحداث مشيرا الى دور الائمة العبيديين فيها يقول ان المعز ارسل الى ولد ابى طاهر وبنيه الذين ابعدوا الى جزيرة اوال يخبرهم باحقيتهم فى امارة القرامطة ولما علم الحسن بن احمد بذلك امر بحذف اسم المعز من الخطبة فى بلاد البحرين واقامة الدعوة للخليفة العباسى المطيع . بل يذكر ابن خلدون فى موضع آخر ان المعز كتب الى الحسن بالنفى والتوبيخ وعزله عن القرامطة وولى مكانه بنى ابى طاهر فخرجوا من اوال ونهبوا الاحساء فى غيبته (١) .

فالقرامطة المناوئون اعتبروا تصرفات المعز هذه اثارة للنزاع وتدخلا مباشرا فى شئونهم ونتج من ذلك حملة اعلامية على العبيديين تلاها حمل السيف عليهم ومقاتلتهم فى عقر دارهم .

(٢) ان القرامطة وعلى رأسهم الحسن الاعصم سبقوا جيش العبيديين الى الشام وجرى صلح بينهم وبين حاكم الشام الحسن بن عبيد الله الاخشيدى ومن بنود الصلح دفع اتاوة للقرامطة تقدر بثلاثمائة الف دينار (٢) .

ولكن الجيش العبيدى بقيادة جعفر بن فلاح تمكن من الاستيلاء على دمشق وابعاد الاخشيديين عن حكمها وطالب الحسن القرمطى بالاتاوة التى كان يدفعها الاخشيدى فرفض العبيديون اداءها اليه فادى ذلك الى عداء سافر بين الحسن القرمطى والعبيديين (٣) .

ومما يدل على ذلك ايضا ما ذكره ابن خلدون من انه لما استولى جوهر على مصر وجعفر بن فلاح الكتامى على دمشق طالب الحسن

---

(١) العبر لابن خلدون (٤ : ١٩٢-١٩٣) .
(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٨٦-١٨٧) .
(٣) سياسة الفاطميين الخارجية لمحمد جمال الدين سرور (ص ٩٤) .

الاعصم بالضريبة التي كانت له على دمشق فمنعوه ونابذوه وكتب له المعز من المغرب واغلظ عليه (١) .

(٣) كان من سياسة العبيديين الاستيلاء على مصر والتثنية ببلاد الشام وفي مثل هذه الحالة لابد وان مطامع العبيديين اصطدمت بمطامع القرامطة الذين سبقوا العبيديين الى احتلال الشام .

ولذا لما ارسل المعز جيشه الى الشام بقيادة جعفر بن فلاح هب القرامطة والتحم جيشهم مع جيش العبيديين وبعد معركة شديدة انهزم العبيديون وقتل قائدهم جعفر .

وقد اعتبر المعز هذه المعركة من اسوأ ما فعله قرامطة البحرين بقيادة الحسن الاعصم - مع اسيادهم العبيديين فتراه يوجه للحسن خطابا شديد اللهجة ويذكره بما فعل في هذه المعركة فيقول ضمن خطاب طويل : ثم لم يكفك ذلك حتى جمعت ارجاسك وانجاسك وحشدت اوباشك واقلاسك وسرت قاصدا الى دمشق وبها جعفر بن فلاح في فئة قليلة من كتامة وزويلة فقتلته وقتلتهم جرأة على الله ورداً لامره واستبحت اموالهم وسبيت نساءهم .. فعل بني الاصفر والترك والخزر ثم سرت امامك ولم ترجع واقمت على كفرك ولم تقلع (٢) ...

اذن وبعد معرفة الاسباب الحقيقية للاحداث الدامية التي ذرت بقرنها بين قرامطة البحرين وائمتهم العبيديين نصل الى نتيجة وهي : ان هذه الاحداث لا تعطي اي مستند او دليل على ان قرامطة البحرين نبذوا عقائدهم التي تلقوها وآمنوا بها من دعاتهم ائمة الاسماعيلية كما ان هذه الاحداث طابعها نفعي لكل طرف .

---

(١) العبر لابن خلدون (٤:١٩٢) .
(٢) اتعاظ الحنفا (١:١٩٨) .

فالعبيديون يريدون نشر المذهب الشيعي والقضاء على المذهب السني وذلك بتوسيع رقعة الدولة العبيدية على حساب الدولة العباسية .

وقرامطة البحرين يريدون ذلك ايضا مع الاستقلال الذاتي وفي سبيل الوصول الى هذا الهدف رفعوا بعض الشعارات واللافتات التي خدمتهم فترة من الوقت ربحوا من خلالها مساعدة بعض اعداء الدولة العبيدية من امثال البويهيين والعباسيين والحمدانيين .

ان الظروف والملابسات التي عاشها الحسن الاعصم بنظرته الاستقلالية من اسياده العبيديين لا تتم له الا بان يلوح بمثل هذه التنازلات والشعارات الكاذبة في سبيل الاطماع السياسية الفردية وقد ادرك هذا الامر احد خلفاء بني العباس حيث يذكر ابو المحاسن ان الحسن الاعصم طلب من المطيع لله ان يمده بالمال والرجال ليخرج الحاكم العبيدي من الشام وامتنع الخليفة المطيع من ذلك قائلا : كلهم قرامطة وعلى دين واحد فاما المصريون (يعني بني عبيد) فاماتوا السنن وقتلوا العلماء واما هؤلاء (يعني القرامطة) فقتلوا الحاج وقلعوا الحجر الاسود وفعلوا ما فعلوا[1] .

وحيث ان الخليفة ليس بيده حل ولا عقد فقد رحب البويهيون بالحسن القرمطي واعطوه مالا وسلاحا[2] .

ويعلق احد المستشرقين (روسو) على اخطاء بعض الكتاب الذين يفرقون بين القرامطة والاسماعيلية من حيث المعتقد بقوله : هناك كثير من الكتاب يفرقون بين القرامطة والاسماعيلية ويجعلون من هذه الفرقة (القرامطة) فرقة قائمة بنفسها غير ان تلك التفرقة تتصل فقط بتكوينهم السياسي لا بالعقائد التي يعتنقونها[3] .

---

(١) النجوم الزاهرة لابي المحاسن (٤ : ٧٤) .
(٢) المرجع السابق (٤ : ٧٤) .
(٣) قرامطة العراق لعليان (ص ٥١) .

ومن الادلة على ان تصرفات الحسن هذه من قبيل المناورات السياسية انه اصطلح مع العبيديين ورجع الى ولائهم وطاعتهم . يقول ابن القلانس : ان العزيز[1] انفذ النجب بالرسل والكتب للحسن القرمطي فلحقوه بطبرية واعادوا عليه الرسائل بالصفح عما جرى منه .... والتماس ما يريده ليبلغه له ويرجع الى بلاده فاقام على امره وترددت المراسلات اليه ومنه والوسيط جوهر الى ان تقرر الامر على ثلاثين الف دينار له ولاصحابه تحمل اليه كل سنة ويكونوا على الطاعة والموادعة وتوجه اليه جوهر وقاضي الرملة فاستحلفاه للعزيز على الوفاء والمصلحة واخذا له المواثيق المسددة المؤكدة واعطياه المال والخلع والحملان وانصرف الى الاحساء ... ولم يزل المال المقرر للقرمطي يحمل اليه في كل سنة على يد ابي المنجا صاحبه الى ان مات[2] .

كما يذكر ذلك ايضا ابن خلدون بقوله ان العزيز انه بعث الى الاعصم القرمطي من يرده ليصله كما فعل بافتكين فادركه بطبرية وامتنع من الرجوع فبعث اليه بعشرين الف دينار وفرضها له ضريبة وسار القرمطي الى الاحساء وعاد العزيز الى مصر[3] .

كما ان القرامطة بعد وفاة الحسن رجعوا الرجوع الواضح الى كنف العبيديين وعملوا على محاربة العباسيين والقيام بهجمات على اراضي الدولة العباسية حيث هاجموا الكوفة وملكوها سنة ٣٧٥هـ[4] .

---

(١) هو الخليفة الخامس من خلفاء الدولة العبيدية واسمه نزار بن المعز بن معد العبيدي الرافضي وقد تسلم الخلافة بعد وفاة والده سنة ٣٦٥هـ، وهي فترة الحرب بين القرامطة والعبيديين ومدة حكمه احدى وعشرون حيث توفي سنة ٣٨٦هـ وجاء بعده ابنه الحاكم . انظر دول الاسلام للذهبي (١ : ٢٣٤) .

(٢) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانس (ص ٢٠-٢١) .

(٣) العبر لابن خلدون (٤ : ١١٠) .

(٤) اتعاظ الحنفا (١ : ٢٠٦) .

ويؤكد ابن خلدون رجوع القرامطة الى دعوة العبيديين بقوله ورجعوا الى دعوة العلوية ومحاربة بنى بويه[(١)]. ويذكر ابن حوقل في احداث سنة ٣٦٧هـ ما يؤكد على ذلك الرجوع فيقول : ان قرامطة البحرين ارسلوا فى هذه السنة ضريبة سنوية الى الامام العبيدى[(٢)].

والخلاصة ان قرامطة البحرين من اول نشأتهم الى انقراضهم وزوال دولتهم نهائيا كانوا على صلة وثيقة بالائمة العبيديين ماعدا فترة واحدة تتمثل فى حكم الحسن الاعصم وان الاسباب التى دفعته الى التخلى عن اسياده العبيديين تتلخص فى امور ثلاثة :

(١) موقف العبيديين العدائى له ولاسرته بصاحب ذلك ميلهم مع آل ابى طاهر ومحاولة تثبيتهم لزعامة القرامطة فى البحرين .

(٢) قطع الضريبة المالية التى كان يتلقاها الحسن من الاخشيديين فى الشام .

(٣) تصادم المطامع السياسية بين العبيديين وبين قرامطة البحرين وعلى الرغم مما وقع من توتر وسوء علاقة بينهما فى فترة معينة فان العقيدة والفكرة ظلت واحدة لم تختلف وفى رسالة المعز الى الحسن الاعصم ما يؤكد ان القرامطة والاسماعيلية اغترفوا من معين واحد وانهم (اى القرامطة) من الائمة استمدوا تعاليمهم وافكارهم .

---

(١) العبر لابن خلدون (٤ : ١٩٤) .
(٢) اصول الاسماعيلية (ص ١٨٧) .

(٤) قرامطة اليمن :

تمتاز الحركة القرمطية في اليمن عن غيرها من حركات القرامطة الانفة الذكر بصلتها الواضحة والشديدة بالاسماعيلية حيث تولى الائمة بانفسهم بعث الدعاة اليها .

والدليل على ذلك ان اول داع اسماعيلي بعث الى اليمن كان على يد احد الائمة المستورين فيذكر القاضي النعمان وصية هذا الامام الى الداعي ابن حوشب قائلا له : الى عدن لاعه فاقصد وعليها فاعتمد فمنها يظهر امرنا وفيها تعز دولتنا ومنها تفترق دعاتنا[1] .

ولما اجتمع على بن الفضل القرمطي بالامام الاسماعيلي[2] - بعد اخذ العهد عليه - ورآه واختبر حاله قال لابي القاسم : هذا الذى كنا ننتظره ومن ثم اوصى كل واحد منهما وودعهما ودعا لهما وانصرفا عنه متوجهين الى اليمن[3] .

فالصلة بين ائمة الاسماعيلية وبين دعاة القرامطة في اليمن واضحة لا محال للتدليل عليها وهذا ماجعل برنارد لويس يوجز الكلام حول ذلك بقوله : ان الدعوة في اليمن كانت منذ بدايتها حتى نهايتها على اتصال وثيق بالائمة انفسهم ولم تشق عن الفرقة الاسماعيلية الرئيسية في حال من الاحوال والمصادر الاسماعيلية تحدثنا باسهاب عن ارسال الامام نفسه الداعيين اليها[4] كما ان هذه المصادر تصف لنا اجتماعهما بالامام ونشاطهما في اليمن[5] .

---

(١) افتتاح الدعوة للنعمان (ص ٤١) .

(٢) عينت المراجع اسم هذا الامام وقد ذكرت ذلك عند الحديث عن على بن الفضل في الباب الثاني - الفصل الخامس .

(٣) انظر رسالة افتتاح الدعوة للنعمان (ص ٤١-٤٢) .

(٤) هما على بن الفضل القرمطي وابن حوشب الاسماعيلي .

(٥) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١٦٦) .

انطلق الداعيان الى اليمن للدعوة الى المذهب الاسماعيلى ونشره هناك . ولكن بعد فترة اختلفا اختلافا كثيرا فابن حوشب ظل على ولائه لعبيد الله المهدى حتى توفى (١) .

اما على بن الفضل القرمطى فانه لما استحكم له الامر فى اجزاء كثيرة من اليمن خلع طاعة عبيد الله المهدى ومن ثم بدأت هوة الخلاف تتسع بين القرامطة فى اليمن ـ بزعامة على بن الفضل ـ والائمة الاسماعليين وقد جرت محاولات عدة من صاحبه ابن حوشب لارجاعه الى الولاء والتبعية للامام الاسماعيلى وكان يذكره قائلا له : كيف تخلع طاعة من لم تنل خيرا الا به وتترك الدعاء له ؟ او ماتذكر ما بينك وبينه من المواثيق والعهود (٢) .

فلم يلتفت الى قوله وكتب اليه : انما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها ولى بابى سعيد الجنابى اسوة لانه خلع ميمونا وابنه ودعا الى نفسه وانا ادعو الى نفسى (٣) .

وهكذا يتضح لنا تيار القرامطة الموحد تجاه ائمتهم حيث الاختلاف والصراع وماذاك الا لان النفوس تربت عندهم على الانانية والاطماع التى اثرت تأثيرها البالغ فى الاتباع .

لم يكتف ابن الفضل بخلع طاعة امام الاسماعيلية بل نصب نفسه اماما وهدد صديقه الداع الاسماعيلى ابن حوشب بالحرب اذا لم يدخل فى طاعته وينزل على حكمه (٤) .

واخيرا اعد القرمطى جيشا كبيرا واختار لحربه عشرة آلاف مقاتل

---

(١) سياسة الفاطميين الخارجية لمحمد سرور (ص ٧٤) .
(٢) سياسة الفاطميين الخارجية (ص ٧٣) نقلا من انباء الزمن لابن المؤيد (ورقة ٣١) .
(٣) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣٣) .
(٤) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣٣) .

ووقعت بين الطرفين حروب ومجازر[١] وكانت النهاية ان اشتدت وطأته على ابن حوشب فارسل الى على بن الفضل فى طلب الصلح ولكنه ابى الا بعد ان يحقق له شرطا واحدا وهو بعث احد ابناء ابن حوشب ليكون دليلا على دخوله فى طاعة ابن الفضل ، واخيرا اجابه ابن حوشب الى طلبه وارسل اليه ولده واقام عنده سنة ثم رده اليه[٢] .

ويقول محمد سرور : ان هذا الصلح لم يؤد الى عودة الوفاق بينهما بل ظل كل واحد منهما يعمل مستقلا عن الاخر مما كان سببا فى اضعاف الدعوة الاسماعيلية فى بلاد اليمن[٣] .

كانت ردود الاسماعيليين شديدة على ابن الفضل ولا غرو فى ذلك فهم كما قال الله تعالى " بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون "[٤] .

يقول احد دعاة الاسماعيلية عن ابن الفضل : انه ممن آمن ثم كفر ودخل فى الدعوة ثم خرج منها واصر واستكبر وكثير ممن ظن به الخير خالف ماظن فيه[٥] .

كما ان قاضيهم النعمان حكم عليه بالانسلاخ من امر الله وامر اوليائه وانه استحل المحارم ورفض الظاهر ودعا الناس الى الاباحات فلما اشتهر بذلك تبرأ منه ذلك الذى افسده فكان كما قال عز وجل من شأن ابليس اللعين " اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى اخاف الله رب العالمين "[٦] . فحارب ابا القاسم وكانت له امور يطول ذكرها ومات على ذلك من غيه وضلاله[٧] .

---

(١) تفصيل هذه المعارك فى كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣٥ - ٣٦) ، الكفاية والاعلام للخزرجى (ورقة ٢٦) .
(٢) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣٦) .
(٣) سياسة الفاطميين (ص ٧٤) .
(٤) سورة الحشر : ١٤ .
(٥) عيون الاخبار للداعى ادريس (ص ٣٩٩) .
(٦) سورة الحشر : ١٦ .
(٧) افتتاح الدعوة للنعمان (ص ١٥٠) .

والحقيقة انه حينما يتضح لنا ما بين الاسماعيلية والقرامطة من المهاترات والخلافات ورمى بعضهم بعضا بالكفر والانسلاخ من الدين نجد ان الشبه واضح فيمن حكى الله عنهم بقوله تعالى " وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب "(١) .

اما تحليل هذه الاحداث والخلافات . فالمصادر الاسماعيلية تعزو خروج بن الفضل على الدعوة الاسماعيلية وخلعه طاعة الامام الاسماعيلي الى شخص اسمه فيروز صحب المهدى فى رحلته من الشام الى المغرب لكنه افترق عنه من مصر مخالفا المهدى وفر هاربا الى اليمن واجتمع بابن الفضل ومازال معه حتى افسده وفتنه من الدعوة الاسماعيلية (٢) .

وعلى اعتبار صحة ماذكرته هذه المصادر فانه ينبغى الا نغفل المطامع الشخصية وحب الزعامة التى اتسم بها زعماء القرامطة فى كل مكان . ويتضح ذلك جليا من رد على بن الفضل القرمطى لزعيم الاسماعيلية فى اليمن - حينما كان يراسله ويأمره بالعدول عن مطامعه والرجوع الى كنف الدولة العبيدية - قائلا له : انما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها ولى بابى سعيد الجنابى اسوة لانه خلع ميمونا وابنه ودعا الى نفسه وانا ادعو الى نفسى (٣) .

والخلاصة التى نصل اليها بعد استعراض هذه الاختلافات ان القرامطة - على اختلاف اماكنهم وازمانهم - اتفقوا على امرين هما :

(١) الخروج على زعماء الاسماعيلية فى فترات متقطعة ولكنهم فى

---

(١) سورة البقرة : ١١٣ .
(٢) سيرة جعفر الحاجب (ص ١١٥) من مجلة كلية الاداب .
(٣) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣٣) .

آخر الامر يرجعون الى طاعتهم وينضوون تحت رايتهم .

(٢) ان القرامطة ـ سواء في العراق او الشام او البحرين او اليمن ـ لم يرفعوا شعارات فكرية تميزهم عن الاسماعيليين مما دفعنا الى تفسير هذه الاختلافات بانها اطماع سياسية وحب للزعامة والسلطة وان الائمة لم يستطيعوا استيعاب هذه النزعات من بعض زعماء القرامطة الذين خرجوا على ائمتهم .

الباب الثانى

****
*   *
*   تاريـــخ القـــرامطــــــة   *
*   *
****

الفصل الاول : تعريف القرامطة وبداية عهدهم

الفصل الثانى : قرامطة العراق وزعماؤهم

الفصل الثالث : زعماء قرامطة الشام

الفصل الرابع : قرامطة البحرين وزعماؤهم

الفصل الخامس : الحركة القرمطية فى اليمن

الفصل الاول

تعريف القرامطة وبداية عهدهم

اختلف المؤرخون فى بيان تسمية القرامطة بهذا الاسم وذكر ابن الجوزى معظم هذه الاراء فى كتابه المنتظم قائلا : واما سبب تسميتهم بالقرامطة ففى سبب ذلك ستة اقوال :

احدها : انهم سموا بذلك لان اول من اسس لهم هذه النحلة محمد الوراق المقرمط وكان كوفيا .

والثانى : ان لهم رئيسا من السواد من الانباط يلقب بقرمطويه فنسبوا اليه .

والثالث : ان قرمط كان غلاما لاسماعيل بن جعفر فنسبوا اليه لانه احدث لهم مقالاتهم .

والرابع : ان بعض دعاتهم نزل برجل يقال له كرميته[1] فلما رحل تسمى باسم قرمط بن الاشعث ثم ادخله فى مذهبه .

والخامس : ان بعض دعاتهم رجل يقال له كرمية فلما رحل تسمى باسم ذلك الرجل ثم خفف الاسم فقيل قرمط .

والسادس : انهم لقبوا بهذا نسبة الى رجل من دعاتهم يقال له حمدان بن قرمط من اهل الكوفة حيث اعتنق المذهب الاسماعيلى على يد احد دعاة الباطنية[2] .

وقال بالرأى الرابع كل من الطبرى وابو الفداء وابن الوردى[3] وكلهم

---

(١) كلمة كرميتة بالنبطية معناها احمر العينين وقد اطلق على حمدان "كرميتة" لشدة حمرة عينية ثم خفف هذا الاسم فقيل قرمط .
انظر تاريخ الامم للطبرى (٨ : ١١٠) .

(٢) المنتظم لابن الجوزى (٥ : ١١١ - ١١٣) .

(٣) تاريخ الامم (٨ : ١١٠) والمختصر فى اخبار البشر (٢ : ٥٥) وتاريخ ابن الوردى (١ : ٢٤١) .

يجمعون على ان الداعي الاهوازي لما قدم الكوفة نزل عند رجل من صفته انه احمر العينين شديد حمرتهما وكان اهل القرية يسمونه كرميتة وهو بالنبطية احمر العينين فسمى باسم الرجل الذي كان في منزله ثم خفف قرمط وسمى اتباعه قرامطة . اما البغدادي وابن الاثير والغزالي والمقريزي والديلمي فهم يقولون : انهم لقبوا بذلك اللقب نسبة الى رجل يقال له حمدان قرمط وكان احد دعاتهم في بداية الامر حتى استجاب له جماعة فكان ان سموا قرامطة او قرمطية[1] . وهذا ماذكره ابن الجوزي في الرأي السادس والمرجح من هذه الاقوال ان هذه التسمية تعود الى حمدان قرمط دون سواه خاصة اذا تذكرنا انه هو نفسه قرمط بن الاشعث وهو الذي نزل عنده الداعي الحسين الاهوازي الذي جاء من ناحية خوزستان (الاهواز) هذا فضلا عن ان القرامطة لم يكن لهم كيان قبل مقدم الاهوازي الى سواد الكوفة ومقابلته لحمدان قرمط الذي تزعم الجماعة التي استجابت له كذلك لم يعرف لاسماعيل بن جعفر عامل يقال له قرمط[2] .

فلفظ القرامطة انما هو اصطلاح اطلق على الفرقة التي نشأت على يد حمدان وسوف يتضح هذا الامر اكثر عند الحديث عن تاريخ القرامطة ولا سيما عن حياة حمدان زعيم القرامطة الاول .

وكما اختلف الباحثون حول تسمية القرامطة فانهم ايضا اختلفوا حول المعنى والمدلول لعبارة " قرامطة " .

فيرى البعض ان هذه صفة لحمدان حيث كان قصير القامة يقرمط في سيره اذا مشى . اي يقارب بين خطواته . . وقيل لقب بذلك لانه كان احمر البشرة تشبيها له بالقرمد وهو الطوب الاحمر الاجر[3] .

---

(١) الفرق بين الفرق (ص٢٦٦) ، اللباب لابن الاثير (٣ : ٢٨) ، فضائح الباطنية (ص ١٢) ، اتعاظ الحنفا للمقريزي (١ : ١٥٢) ، بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص ٢٢) .

(٢) قرامطة العراق لعليان (ص ٣٠) .

(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزي (١ : ٢٦) ، الحركات الباطنية لغالب (ص١٣٣) .

وفسر دى غويه كلمة قرامطة تفسيرا لغويا فيقال قرمط الرجل فى خطـــوه اذا قارب بين قدميه وقرمط الكاتب اذا قارب فى كتابته بين السطور ويقـــال ان حمدان بن الاشعث سمى قرمط لقصر قامته ورجليه [١] . ويرى الفيروز ابـادى ان هذا اللفظ مأخور من اقرمط اى غضب وتقبض [٢] . ويرى ايفانوف ان كرامتـــة كلمة معروفة عند اهالى بلاد العراق الجنوبية ولم تستعمل فى العربية ومعناهـا الفلاح او القروى ثم عربت الى قرمط ويرجح غالب هذا الرأى قائلا : ان هـــذا المعنى لا يزال يستخدم الى الان عند سكان جنوب العراق كما انه يتفق وطبيعة الحركة القرمطية فقد كانت فى جوهرها " ثورة الفلاحين " [٣] .

وذكر انستاس الكرملى سبب اختلاف العلماء فى تأويل اسم القرامطـــــة بقوله : ان اللفظة آرامية نبطية من قرمطونا ـ بضم القاف وتسكين الـــــراء اى المدلس الخبيث المكار المحتال او من (قرمطا) وهو التدليس والخبث والمكر والاحتيال لما اشتهر عنهم من هذه الامور [٤] .

ويقول الحميرى : ان القرمطة عند اهل اليمن عبارة عن الزندقة وصاحبهـا عندهم قرمطى فجمعه قرامطة [٥] .

وعلى اية حال فالقرمطة ان لم تكن باسمها بل بمعناها انما نشأت علــــى يد حمدان بن الاشعث الملقب بقرمط فى سواد الكوفة فى العقود الاخيرة مــن القرن الثالث الهجرى واصبحت فى كتب اهل السنة والجماعة تمثل الهرطقـــة والالحاد والتحلل والفوضى .

اما القرامطة انفسهم فقد اعتبروا القرمطة الحركة العظيمة التى تظهر بين الحين والحين تلقى فى العالم الاسلامى بذور الاصلاح [٦] .

---

(١) قرامطة العراق لعليان (ص ٣١) .
(٢) القاموس المحيط (٢ : ٣٧٩) .
(٣) الحركات السرية لغالب (ص ١٦٠) .
(٤) بلوغ المرام للعرشى (ص ٣٤٠) .
(٥) الحور العين للحميرى (ص ٢٠٠) .
(٦) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام للنشار (ص ٤٣٧) .

ويقول ماسينيون ان كلمة قرامطة تعني بمدلولها الواسع : الحركة العظيمة التي اكتسحت العالم الاسلامي بين القرنين التاسع والثاني عشر الميلادي لتأمين الاصلاح والعدل الاجتماعي على اساس المساواة [(١)]. وجدير بالذكر ان القرامطة يسمون انفسهم "المؤمنون المنصورون بالله والناصرون لدينه والمصلحون في الارض" [(٢)]. وهذه دعوى كاذبة حيث ان قتل المسلمين والاعتداء على حرماتهم والمقدسات الاسلامية والسلب والنهب من اعمال القرامطة التي اشتهروا بها دون سواهم ولذا يقول احد المستشرقين ان اسم القرامطة اصبح اسما قبيحا ومشهرا بهم نتيجة لثوراتهم في سوريا والعراق ونتيجة لاعمال قائد البحرين ابو سعيد الجنابي وولده ابو طاهر الذي غزا العراق عدة مرات ونهب مكة وحمل الحجر الاسود بعيدا عن الكعبة [(٣)]. وسوف تتضح هذه الاحداث والحقائق اكثر فيما سيأتي من البحث .

والخلاصة ان لفظ القرامطة يعتبر علما على مذهب معين له عقائده ونظمه التي تميزه عن سائر المذاهب ولذا يقول ابن العديم : ان لفظة قرامطة يعتبر نسبة الى مذهب يقال له القرمطة خارج عن مذاهب الاسلام ويكون بهذا عزوه الى مذهب باطل لا الى رجل [(٤)] كما يقول السمعاني : ان القرمطي نسبة الى مذهب مذموم ورأى خبيث [(٥)].

ويشاركه ابن الاثير على ذلك ويقول : ان هذه النسبة تنصب الى المذهب المذموم الذي يعرف القائلون به بالقرامطة [(٦)].

---

(١) مقدمة اصول الاسماعيلية للدوري (ص ٢٤) .
(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي (١ : ١٧٤) ، المسالك والممالك للبكري (ورقة ١٢١) .
(٣) الموسوعة البريطانية (١٣ : ٢٤٠) .
(٤) تاريخ اخبار القرامطة (ص ٧١) .
(٥) الانساب للسمعاني ورقة (٤٤٨) .
(٦) اللباب لابن الاثير (٣ : ٢٨) .

بداية القرامطة وظهورهم .

انفرد المسعودي عن غيره بالقول بأن دعوة القرامطة بدأت سنة ٣٦٠هـ وانطلقت الدعوة من اصبهان [١] . وهذا مخالف للحقيقة والواقع فمن حيث الزمان اخر خروجهم الى فترة كانوا فيها فى اوج قوتهم ولا سيما قرامطة البحرين ومن حيث المكان فالدعوة انما بدأت فى سواد الكوفة وليست باصبهان كما اتفق على ذلك المؤرخون وكتاب المقالات هذا مع العلم ان المسعودى وبنفس الكتاب سطر ما يخالف رأيه هذا من حيث الزمان والمكان فاثبت احداثا متعددة للقرامطة قبل هذا التاريخ بكثير [٢] .

ويقابل تطرف المسعودى تطرف للديلمى فى التقديم حيث يرى ان اصل هذه الدعوة ظهور ميمون القداح فى الكوفة سنة ستا وسبعين ومائة ١٧٦هـ [٣] .

ويرى جمهور المؤرخين ان هذه الدعوة وصلت الى العراق عن طريق الداعى الاسماعيلى حسين الاهوازى وفى مقدمة هؤلاء المؤرخين الطبرى الذى ذكر ان بدأ امرهم قدوم الاهوازى الى سواد الكوفة حيث قابل حمدان ونزل عنده وآمن بدعوته ولما فر الاهوازى خلفه حمدان قرمط فى الدعوة بسواد الكوفة [٤] .

ويذكر النويرى نفس هذه الحادثة مع اختلافات طفيفة عن رواية الطبرى ويحدد هذه البعثة بعام ٢٦٤هـ [٥] .

اما ابن النديم فانه يرى ان عبد الله بن ميمون القداح هو الذى قابل حمدان قرمط واستجاب له واصبح داعية فى المذهب ويحدد ذلك بعام احدى وستين ومائتين للهجرة ٢٦١هـ [٦] .

---

(١) التنبيه للمسعودى (ص ٣٤٢) .
(٢) نفس المرجع السابق (ص ٣٣٠ - ٣٣١) .
(٣) بيان مذهب الباطنية للديلمى (ص ٤) .
(٤) تاريخ الامم للطبرى (٨ : ١٥٩، ١٦٠) .
(٥) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٥٦) .
(٦) الفهرست لابن النديم (ص ٢٣٨) .

ويرى الطوسى ان دعوة القرامطة ابتدأت وانتشرت على يد غلام حجازى اسمه مبارك ويلقب بقرمطويه . وقد عرف اسرار المذهب وتعاليمه من عبدالله بن ميمون ثم افترقا وقصد مبارك الكوفة لنشر الدعوة القرمطية هناك[1] .

وقد انفرد الطوسى بهذه الرواية مع العلم ان المبارك شخص آخر غير قرمط فالاول تنتسب اليه فرقة المباركية اما الثانى فتنتسب اليه حركة القرامطة[2] .

والراجح من هذه الاراء ان بداية القرامطة انما كان على يد الداعى حسين الاهوازى من سواد الكوفة بتوجيه من الامام الاسماعيلى فى سلمية وان ذلك فى سنة اربع وستين ومائتين ٢٦٤ هـ . حيث قابل هذا الداعى حمدان قرمط ولقنه اصول الدعوة واصبح اصلا من اصول الدعوة الاسماعيلية .

وهذا ماتفق عليه جمع من المؤرخين القدامى كالطبرى والنويرى والمقريزى[3] وان انطلاق الدعوة وانتشارها من الكوفة ليس مصادفة او عبثا فبيئة الكوفة مناسبة تماما فهى اولا معادية للعباسيين علوية فى ميولها كما انها مجمع للثقافات والاديان القديمة . وهى مركز الغلو الذى استغله العباسيون ثم ناوأوه وضربوه فاتجه ضدهم .

والكوفة ايضا مركز ثقافى هام انتشرت فيها الفلسفة اليونانية وحركة الزندقة بين المثقفين فوسعت الشكوك بينهم وزعزعت آراءهم الدينية وبالنسبة للعامة انتشرت بينهم الاساطير والخرافات مما جعلهم على استعداد لنبذ عقائدهم متى تبين لهم ان المصلحة تقتضى ذلك[4] . وقد صرح الغزالى بهذه الحقيقة قائلا : والعاصى الجاهل يظن ان التلبيس بالاديان والعقائد مثل المواصلات والمعاقدات الاختيارية فيصلها مرة بحكم المصلحة ويقطعها اخرى[5] .

---

(١) سياست نامه للطوسى (ص ٢٥٨ - ٢٥٩) .
(٢) مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ١٠٠ - ١٠١) .
(٣) انظر تاريخ الامم للطبرى (٨ : ١٥٩) ، نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٥٦) ، اتعاظ الحنفا (١ : ١٥١ - ١٥٢) .
(٤) مقدمة اصول الاسماعيلية للدورى (ص ٧ - ٨) .
(٥) فضائح الباطنية للغزالى

كما ان سوء الاحوال الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة الكوفة ساعد كثيرا على نجاح دعوة القرامطة وانتشارها هناك .

ومما هو معروف ان الكوفة تعتبر موطنا من مواطن التشيع الرئيسية مما يسهل على القرامطة نشر دعوتهم حيث العقول مهيأة ولاسيما ان دعوة القرامطة تنشر - فى بدايتها - مبادىء الشيعة الامامية وتدعو لامام من آل البيت.

ويقول عليان : ان الداعى الاهوازى لم يجد صعوبة فى نشر دعوته بسواد الكوفة لان العقول كانت مهيأة تماما لتقبل دعوته فأدى مهمته فى سهولة ويسر وبيدو انه كان لديه الكثير من المعلومات عن منطقة الكوفة واهلها وذلك كما يتضح من المحادثة التى جرت بينه وبين حمدان (١) .

اما ظهور القرامطة وبدء ثورتهم علنا فقد تعددت حوله الروايات واختلفت فاكثر المؤرخين يحددون ظهورهم بعام ثمانى وسبعين ومائتين ٢٧٨هـ (٢) . ويرى ابن ايبك وصاحب العيون والحدائق ان ظهورهم فى عام اربع وستين ومائتين ٢٦٤هـ (٣) . اما المقريزى فانه لا يحدد فترة زمنية لظهورهم وانما يذكر تواريخ متعددة للفترات التى مر بها بناء الحركة القرمطية فيحدد لقاء الاهوازى بحمدان سنة اربع وستين ومائتين ٢٦٤هـ . ثم يمضى بالحديث عن حمدان وتنظيمه للدعوة وجمع الاموال وشراء السلاح واعداده وذلك فى فترة زمنية مقدارها اثنى عشرة سنة اى انه فرغ من هذه الامور سنة ست وسبعين ومائتين للهجرة . اما اجتماع القرامطة وبناء دار لهجرتهم وانتقالهم اليها فهذا كان سنة سبع وسبعين ومائتين (٤) . ويفهم من هذا

---

(١) قرامطة العراق لعبد الفتاح عليان (ص ٢١) .

(٢) تاريخ الامم للطبرى (٨ : ١٥٩) ، البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٦١) دول الاسلام للذهبى (١ : ١٦٨) ، المختصر لابى الفدا (٢ : ٥٥) تاريخ ابن الوردى (١ : ٢٤١) ، العبر لابن خلدون (٤ : ١٨١) ، المنتظم لابن الجوزى (٥ : ١١٠) ، تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ٣٦٦) ، تاريخ اخبار القرامطة (ص ٧) ، مرآة الجنان (٢ : ١٩٢) .

(٣) العيون والحدائق لمجهول (٤ : ١٢٧) ، كنز الدرر (٦ : ٤٦) .

(٤) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٥٣ - ١٥٧ - ١٥٨) .

ان ظهورهم واعلان قيامهم على الدولة العباسية عند المقريزى بعد هذه الفترة الزمنية .

ويرى احد المستشرقين ان ظهور القرامطة بدأ بشن الغارات على مناوئيهم ويحدد ذلك بعام سبع وسبعين ومائتين ٢٧٧هـ (١).

وهناك رأى لاحد الكتاب المعاصرين يلفت فيه نظر الباحثين الى الفترة المبكرة لظهور القرامطة من حيث الزمان والمكان يقول فيه : مع التقدير لهذه الاراء الا انه يبدو لى من خلال اطلاعى على عدد كبير من المخطوطات القديمة فى التاريخ وغيره واخص بالذكر سيرة الهادى الى الحق وما دون حول سيرة منصور اليمن ان حركة القرامطة انطلقت فى البداية فى شبه الجزيرة فى المنطقة الجبلية القريبة من نجران فمنذ فترات مبكرة من القرن الثانى للهجرة اصبحت هذه المنطقة مسرحا لنشاط عدد كبير من رجالات البيت العلوى الذين كانت غالبيتهم من اصل حسنى (٢).

وحيث ان اكثر المؤرخين متفقون على ان بداية الحركة سنة ثمان وسبعين ومائتين للهجرة فهو ما ارجحه مما سلف من الاراء المتعددة والله اعلم .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية (٨ : ٧٧) .

(٢) تاريخ العرب والاسلام لزكار (ص ٣٠٢) .

الفصل الثانى

قرامطة العراق وزعماؤهم

من بديهيات الامور ان ظهور قرامطة العراق لم يحصل فجأة وبطريقة سحرية وانما سبق ذلك جهد عظيم لنشر فكرتهم بجد ونشاط حتى كثر اتباعهم واصبحوا جماعة كبيرة اقل مايقدم الفرد لهذه الدعوة ماله ونفسه .

وان الظروف التى عمل من خلالها دعاة القرامطة ساعدتهم كثيرا على الظهور حتى اصبحوا بذلك قوة كبيرة يحسب لها الف حساب .

ولابد من الاشارة الى ان من سنن الله الكونية انه بقدر ماتتمسك هذه الامة بدينها ويهيمن هذا الدين على جميع شئون الحياة عقيدة وسلوكا واقتصادا وسياسة ومنهج حياة . فى هذه الحالة تكون قادرة على البقاء والاستمرار امام اعداءها حتى النصر الذى ضمنه الله لها . قال تعالى " ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم "(١) .

والامة الاسلامية واجهت ـ قديما وحديثا ـ الوانا متعددة وانماطا مختلفة من المؤامرات والحركات الهدامة باءت بعضها بالفشل لتمسك الامة بدينها ونجحت بعضها . وامامنا الان حركة القرامطة التى كتب الله لها ان تتسلط على الامة فترة من الزمن وبناء على ماقدمنا فنجاحها له عوامل متعددة :

(١) فراغ فكرى وجهادى عند المسلمين فى تلك الفترة مكن القرامطة وامثالهم من دعاة الهدم والتخريب من ملء هذا الفراغ بمعتقداتهم المسمومة .

(٢) ظلم واستبداد من جانب الحكام والامراء على الضعفاء والمعوزين ويتضح ذلك ان معظم القرامطة هم من العبيد والاجراء لدى امراء النواحى ولا سيما فى سواد الكوفة الذى انطلق منه القرامطة .

---

(١) محمد : ٧ .

(٣) ضعف الخلافة وتلاعب الوزراء بالخلفاء مما ادى الى تشتت الامر والتقاعس عن الجهاد فى سبيل الله .

ان هذه العوامل كلها متوفرة فى الفترة الاولى لظهور القرامطة مما ادى - بطبيعة الحال - الى انتشار دعوتهم وتغلبهم فترة من الزمن وهذه العوامل من جانب المسلمين وتقصيرهم اما الجانب الاخر فهو راجع الى القرامطة انفسهم حيث النشاط فى الدعوة والتضحية بالمال والنفس والعمل الجماعى المنظم .

والحركات - ايا كانت - لا يمكن ان تظهر وتقوم ويصبح لها كيان ملموس ومهم فى واقع الحياة الا بالجهود الجماعية الدائبة المستمرة ومع ذلك فالكثير من المؤرخين المسلمين ينسبون الحركات الى اشخاص وافراد معينين ولا يدركون الجهود الجماعية التى تقوم بها جماعات متكاتفة ومتراصة وتستغرق فترة طويلة لتتخذ شكلا معينا . بل هم ينسبون نظم الحركة وتعقيداتها الى اشخاص وافراد كما فعلوا بنسبة الحركة الاسماعيلية الى ميمون القداح وابنه عبد الله فى حين ان الحركة الاسماعيلية استغرقت وقتا طويلا وساهمت فى بنائها جهود الكثيرين حتى اتخذت شكلها المعروف[1] . ومن خلال الجهود الجماعية يبرز بعض الافراد الذين عملوا وتفانوا اكثر من غيرهم . ونحن اذا تأملنا ذلك فى حركة القرامطة نجد اشخاصا برزوا وظهروا واقترن بهم الكثير من الاحداث وذلك كشخصية حمدان قرمط التى لا تذكر - غالبا - الا وقد قرن بها حركة القرامطة .

ومثل هؤلاء الافراد يعتبر وجودهم اساسا من اسس الدعوة ومصدرا من مصادر قوتها . واذا ماقتل احدهم او مات فانه يترك فراغا كبيرا له اثر كبير على اخفاق الحركة وضعفها وذلك لما لهم من دور فكرى او قيادى . وسوف اتتبع - من خلال الفصول القادمة - مثل هؤلاء الافراد مستقصيا التعريف بهم وبحياتهم وماقاموا به فى سبيل الدعوة ونشرها مع التركيز على الناحية الفكرية والقيادية .

---

(١) مقدمة اصول الاسماعيلية للدورى (ص ٩ - ١٠) .

وحيث ان جهد القرامطة وعملهم لم يكن محصورا فى بقعة واحدة بـــل عرف ما يسمى بقرامطة العراق . وقرامطة الشام . وقرامطة البحرين وقرامطـــة اليمن فانى سأتحدث عن زعمائهم على ضوء هذا التقسيم بادئا بزعماء قرامطـــة العراق وعلى رأسهم المؤسس الحقيقى لحركة القرامطة والذى اقترنت الحركـــة باسمه حيث لم يعرف لهذا اللفظ (القرامطة) اي اطلاق او اعتبار قبل ظهوره .

(١) حمدان قرمط

مؤسس الحركة القرمطية وداعيتهم الاول يسمى بحمدان بن الاشعث ويلقب بقرمط[1] ، عاش في سواد الكوفة حيث كان يحمل اجيرا واكارا لاحد الاغنياء من اهالي الكوفة وقيل ان اصله من خوزستان[2] . وقيل ان حمدان من قرية من قرى واسط[3] آمن بالدعوة الاسماعيلية على يد الداعي الاسماعيلي حسين الاهوازي حيث كان مهيأ لقبولها .

وتروي مصادر عدة قصة المقابلة التي تمت بين حمدان والاهوازي حيث خرج الثاني داعية الى العراق فلقي حمدان بن الاشعث بسواد الكوفة ومعه ثور ينقل عليه فتماشيا ساعة فقال حمدان للحسين :

اني اراك جئت من سفر بعيد وانت معي فاركب ثوري هذا . فقال الحسين : لم اؤمر بذلك . فقال له حمدان : كأنك تعمل بأمر لك . قال نعم . قال : ومن يأمرك وينهاك .

قال : مالكي ومالكك ومن له الدنيا والاخرة . فبهت حمدان يفكر ثم قال له : ياهذا مايملك ماذكرته الا الله . قال : صدقت والله يهب ملكه لمن يشاء .

قال حمدان للحسين فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ قال له :

---

(١) ورد في عدة مصادر سبب تلقيبه بذلك فالطبري يقول ان حمدان كان احمر العينين وسمي لذلك قرمط . تاريخ الامم للطبري (٨ : ١٦٠) . وقيل لقب بهذا اللقب لانه كان قصيرا متقارب الخطو ويذكر السمعاني حديثا نقله عن ابي القاسم الطبراني وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى عامر بن ربيعة يمشي فقال انه ليقرمط في مشيه . الانساب للسمعاني (ورقة ٤٤٨) ، والتفسير الثاني يتناسب مع اللغة حيث ذكر الفيروزبادي في قاموسه ان القرمطة هي تقارب الخطو . انظر (٢ : ٣٧٩) .

(٢) الاعلام للزركلي (٦ : ٤٥) .

(٣) الفرق الاسلامية لمجهول (ورقة ٦٨) .

دفع الى جراب فيه علم وسر من اسرار الله وامرت ان اشفى هذه القرية واغنى اهلها واستنقذهم واملكهم املاك اصحابهم .

وابتدأ يدعو حمدان حتى قال له : ياهذا نشدتك الله الا رفعت الى من هذا العلم الذى معك وانقذتنى ينقذك الله . قال له : لايجوز ذلك اوآخذ عليك عهدا وميثاقا اخذه الله على النبيين والمرسلين والقى اليك ماينفعك . فمازال يضرع اليه حتى جلسا فى بعض الطريق واخذ عليه العهد . فقال له قرمط : قم معى الى منزلى حتى تجلس فيه فان لى اخوانا اصير بهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدى .

فصار معه الى منزله واخذ على الناس العهد واقام الاهوازى بمنزل حمدان قرمط فاعجبه امره وعظمه . وكان الحسين على غاية مايكون من الخشوع صائما نهاره قائما ليله فكان المغبوط من اخذه الى منزله ليلة وكان يخيط لهم الثياب ويكتسب بذلك فكانوا يتبركون به وبخياطته واستحكمت ثقة الناس به وثقته هو بحمدان قرمط وسكونه اليه فاظهر له امره [١] حتى ان الحسين لما قاربت منيته عين حمدان خلفا له واخذ على اكثر اهل السواد [٢] .

ومن هذا اللقاء وحمدان قد بدأ حياة جديدة من العمل المثمر والمستمر فى سبيل فكرته ومبدأه حتى صار اصلا من اصول الدعوة الاسماعيلية .

ورواية لقاء الاهوازى بحمدان تكاد تكون محل اجماع من المؤرخين وكتاب المقالات حيث ذكرها الطبرى وابن الجوزى وابن كثير وابن الاثير والنويرى والغزالى [٣] .

ومن الجدير بالذكر ان حمدان كان قبل لقاءه مع الاهوازى سنة ٢٦٤ هـ احد دعاة الباطنية [٤] فليس الشخص فارغا بل كان عنده دعوة وفكرة ويدل على

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٥١ - ١٥٢) .
(٢) المرجع السابق (ص ١٥٥) ، مذاهب الاسلاميين لبدوى (٢ : ١٠٤) .
(٣) تاريخ الامم للطبرى (٨ : ١٥٩ - ١٦٠) ، المنتظم (٥ : ١١٣) ، البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٦٢) ، الكامل (٦ : ٦٩) ، نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٥٥ - ٥٦) ، فضائح الباطنية (ص ١٢) .
(٤) فضائح الباطنية للغزالى (ص ١٣) .

ذلك ان حمدان حينما قبل الدخول والانضمام فى الدعوة الاسماعيلية واخذ الاهوازى العهد عليه . طلب حمدان منه الذهاب الى بيته وقال له : ان لى اخوانا اصيرهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدى (١) .

وقد يفهم من الرواية التى ذكرنا ان لقاء الحسين بحمدان مجرد مصادفة على قارعة الطريق لكن الامر ليس كذلك بل ان هذا اللقاء امر مدبر ومتعمد لان الداعى ذهب الى قرية حمدان واقام بها بل اقام فى بيت حمدان ولم يذهب الى القرية التى سأل عنها خاصة وانه ـ كما ادعى ـ مأمور بانقاذها .

والاهوازى ايضا كان يعلم مدى تحمس حمدان للعمل والدعوة فجاءت المقابلة معه فى وقتها المناسب حيث وجده الاهوازى شعلة متوقدة من الحماس يحمل بين جنبيه قلبا نابضا مستجيبا ولذا تم اقناعه بسرعة وكانت النتيجة ان انضم حمدان الى ركب الدعوة الاسماعيلية واخذ الاهوازى العهد عليه بعد ساعة من لقائهما على الطريق (٢) .

وتذكر المصادر ان الاهوازى لما اخذت دعوته فى الانتشار والذيوع ولا سيما بين العمال والاجراء تساهل هؤلاء فى اعمالهم الزراعية واستاء احد كبار الملاك ووجدوا ان السبب فى ذلك الاهوازى حيث فرض عليهم خمسين صلاة فى اليوم والليلة . واتجه الملاك ـ وهم اصحاب السلطة ـ الى البحث عن الاهوازى والقبض عليه واخيرا قبضوا عليه ولكنه تمكن من الهرب والاختفاء حيث خلفه فى مسئولية الدعوة حمدان قرمط الذى واصل الدعوة فى سواد الكوفة وادى نشاطه الى انتشار دعوة القرامطة هنالك (٣) .

اصبح حمدان الداعى الاول والمسئول المباشر عن شئون الدعوة فى القطر العراقى يعاونه بعض الدعاة الذين اشتهروا بين اتباعه كمهرويه بن

---

(١) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٥٦ -٥٧) ، اتعاظ الحنفا (١ : ١٥٢) .
(٢) انظر قرامطة العراق لعليان (ص ٢١) .
(٣) تاريخ الامم للطبرى (٨ : ١٦٠) ، نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٥٧) .

ذكرويه السلماني وجلندى الرازي وعكرمة البابلي واسحاق السوراني وعطيف النيلي وعبدان الكاتب - وهو اشهرهم - واخذ هؤلاء الدعاة يدعون ويأخذون على الناس[1] حتى كثروا وانتشروا بسواد الكوفة والسلطان لا يعلم من امرهم شيئا واخذ حمدان يبعث الدعاة الى بطون العرب المتصلة بسواد الكوفة فدخل منهم طائفة ونصب في هذه الطائفة دعاة فلم يتخلف عنه رفاعى ولا ضبعى ولم يبق بطن من بطون العرب الا دخل في الدعوة منه ناس كثير او قليل من بنى عابس وذهل وعتره وتيم الله وبنى ثعل وغيرهم من بنى شيبان فقوى حمدان قرمط بذلك وانتشرت الدعوة واتسعت رقعتها[2].

وهكذا صادفت الدعوة على يد حمدان رواجا عظيما وانتشارا واسعا واخذ يبث دعاته في السواد يأخذون على الناس وكان من اكبر الدعاة لديه عبدان الكاتب . ولما رأى حمدان الاقبال على جمعيته قويا رتب لهم نظاما دقيقا يضمن نجاح الحركة وانتشارها . فكان دعاته يجوبون المناطق المحددة لهم مرة في كل شهر ويبذلون قصارى جهدهم في معرفة واستطلاع اخبار اشياعهم واعدائهم معا . كما انه اتخذ من بين هؤلاء الدعاة اثنى عشر نقيبا لتنسيق الدعوة وتنظيم نشرها اسوة باستاذه ومعلمه الاهوازي الذي اختار من بين اتباعه اثنى عشر نقيبا وقال لهم : انتم كحواري عيسى بن مريم[3].

هذا وقد احكم حمدان قرمط حركته بنظام اقتصادي جذاب فكما ان الدعوة قائمة على جهود بشرية فلابد لها من مال يغذيها وقد ابتدع لاتباعه المستجيبين له نظام الضرائب المتعددة بعد ان وعدهم ومناهم بأن الارض ستكون ملكا لهم وبين ايديهم ولذا فلا حاجة لهم الى اموال يكتنزونها في بيوتهم . ومن هذه الضرائب :

(١) ضريبة الفطرة .

(٢) وضريبة الهجرة .

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٥٥) .

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٥٦) .

(٣) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٥٧) ، تاريخ الامم للطبرى (٨ : ١٦٠) .

(٣) وضريبة البلغه .

(٤) وضريبة الخمس .

وقد استخدم التدرج فى مطالبة اتباعه بذلك . ويبين المقريزى تفاصيل هذه الضرائب بقوله :

ان حمدان ابتدأ يفرض عليهم ان يؤدوا درهما عن كل واحد وسمى ذلك الفطره على كل احد من الرجال والنساء فسارعوا الى ذلك .

فتركهم مدة ثم فرض الهجرة وهو دينار على كل رأس ادرك وتلا قوله تعالى " خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم والله سميع عليم "[١] . وقال : هذا تأويل هذا فدفعوا اليه وتعاونوا عليه فمن كان فقيرا اسعفوه .

فتركهم مدة ثم فرض عليهم " البلغة " وهى سبعة دنانير وزعم ان ذلك هو البرهان الذى اراد الله بقوله " قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين "[٢] . وزعم ان ذلك بلاغ من يريد الايمان .

فلما توطأ له الامر فرض عليهم اخماس ما يملكون وما يتكسبون وتلا عليهم " واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه "[٣] .

فقوموا جميع ما يملكونه من ثوب وغيره وادوا ذلك اليه فكانت المرأة تخرج خمس ما تغزل والرجل يخرج خمس ما يكسبه فلما تم ذلك فرض عليهم الالفة وهو ان يجمعوا اموالهم فى موضع واحد وان يكونوا فيه اسوة واحدة لا يفضل احد منهم صاحبه واخاه فى ملم يملكه وتلا عليهم " واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا "[٤] .

وعرفهم انه لا حاجة بهم الى اموال تكون معهم لان الارض باسرها ستكون لهم دون غيرهم وقال : هذه محنتكم التى امتحنتم بها ليعلم

---

(١) التوبة : ١١٣ .
(٢) البقرة : ١١١ .
(٣) الانفال : ٤١ .
(٤) آل عمران : ١٠٣ .

كيف تعملون . وطالبهم بشراء السلاح واعداده وذلك كله فى سنة ست وسبعين ومائتين ٢٧٦ هـ .(١)

وهكذا نرى حمدان استطاع بذكائه ومايتمتع به من مواهب طموحة ان يجذب الاتباع اليه وان يكون منهم جماعة تقدم كل ماتملك فى سبيل مبدأها وفكرتها . وحيث ان للقرآن سحره على النفوس وتأثيره على القلوب نرى حمدان يتذرع -كذبا- عند مطالبه بالايات القرآنية موهما اتباعه ان القرآن دستوره ونظامه .

ومما سهل عليهم دفع هذه الضرائب ماكان يمنيهم به ويعدهم بقوله ان الارض ستكون لهم دون غيرهم وهذا مصدر خداع كاذب اتخذ وسيلة لجذب الاتباع والافراد قديما وحديثا -كما ان حمدان كان مدركا لبعض النواحى النفسية لاتباعه حيث سلك فى مطالبه المالية معهم مبدأ التدرج وبطريقة تصاعدية كانت مثار اعجاب ودهش لهم وادعى لقبولهم واتباعهم لما يأمرهم به ولذلك وصل حماسهم ذروته فقدموا هذه الضرائب المالية وادوها عن طيبة خاطر حتى اذا عجز احدهم عن تأديتها اداها عنه غيره راضيا مسرورا وذلك نوع من التعاون والتقارب له اثر كبير فى نجاح دعوتهم وانتشارها .

هذا وان تسمية هذه الضرائب بالفطرة والهجرة والبلغة والخمس والالفة تسمية لها دلالات معينة ومثل هذه الالفاظ ما يشد الاتباع لدفعها لا سيما اذا تذكرنا ان حمدان يربط هذه المدلولات بالايات القرآنية .

وقد استعمل جزء من هذه الضرائب وسيلة لنشر الدعوة حيث كان يوزع على الفقراء ويكسو العارى يدل على ذلك قول النويرى : فمن كان فقيرا اسعفوه .(٢)

هذا ولابد من الاشارة الى ان كل هذه التدابير كانت فى وسط الاتباع لا تظهر لغيرهم حيث ان حمدان حرص على ان تسير الحركة فى عالم السرية ولا تظهر امام الخلافة العباسية الا بعد انتشار اتباعهم واستطاعتهم

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٥٦ - ١٥٧) .
(٢) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٥٨) .

ضد الهجمات عنهم يدل على ذلك قول المقريزى بعد ان تحدث عن نظم حمدان هذه قال : وكان ذلك كله فى سنة ست وسبعين ومائتين للهجرة [١]
وقد ظهر لنا فيما مضى ان خروج القرامطة وظهورهم واعلان ثورتهم انما كان سنة ٢٧٨هـ وتدابير حمدان هذه تدل على انه كان منظما وصاحب تفكير يعرف كيف يبنى اتباعه ويوجههم كما يريد وذلك خلاف ما ذكره بعض المؤرخين - بكل بساطة - ان حمدان كان جاهلا او بقارا ورجلا بسيطا ساذجا . بينما يعتبر خلاف ذلك فيصفه المقريزى بانه ذكى داهية [٢] كما يصفه آخر بانه كان طموحا واسع الحيلة كيسا ذا كفاية عظيمة [٣] .

ومن تدابير حمدان لاتباعه استحداث ما يسميه بنظام الالفة ومهمة هذا النظام اعداد الاتباع وتنظيم الكفاح ضد المخالفين وتهيئة الاجواء المناسبة لاتباعه حيث انصرف الجميع لخدمة الدعوة وتحقيق اهدافها بدلا من العمل لكسب قوتهم لان هذا النظام كفل للجميع حياة رغدة كما مكن جميع القرامطة من حمل السلاح . واقام الدعاة فى كل قرية رجلا مختارا من ثقاتها يجمع عنده اموال اهل قريته من بقر وغنم وحلى ومتاع وغيره واخذ كل رجل منهم بالانكماش فى صناعته والكسب بجهده ليكون له الفضل فى رتبته وجمعت المرأة كسبها من مغزلها والصبى اجرة نطارته للطير واتوه به فلم يتملك احد منهم الا سيفه وسلاحه [٤] .

ويعتبر هذا النظام الذى سنه حمدان لاتباعه تطبيقا لمبادئ مزدك حول شيوعية الاموال والغاء ما وهب الله للانسان من حقوق فردية .

ولم يكتف حمدان بشيوعية المال بل ذهب الى اهدار كرامة الانسان فقرر شيوعية النساء معللا ذلك بانه من صحة الود والالفة بينهم وعن هذا يقول النويرى : ان القرامطة كانوا يجمعون النساء فى ليلة معروفة ويختلطن

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٥٧) .
(٢) اتعاظ الحنفا (١ : ١٥٥) .
(٣) دائرة المعارف الاسلامية (٨ : ٧٧) .
(٤) اتعاظ الحنفا (١ : ١٥٧) .

بالرجال وذلك من صحة الود[١] .

ووصف احد المستشرقين[٢] دعوةحمدان هذه بقوله : لما فاز قرمط بتنفيذ كل ذلك ووافقه عليه صحبه امر الدعاة ان يجمعوا النساء فى ليلة معروفة ومعينة بحيث يمكن للرجال ان يستمتعوا بهن فى اختلاط وشيوع وكان يقول ان ذلك هو الكمال واقصى درجات الصداقة والاخاء واحيانا كان الزوج يقدم زوجه بنفسه الى رفاقه متى سرهم ذلك .

وقد ذكر ابن الاثير وابن سنان حادثة تدل على هذا المنطلق البشع لدى القرامطة فذكرا ان الجنابى ـ مؤسس دولة القرامطة بالبحرين ـ قدم زوجته ليحيى بن ذكرويه وامرها بعدم الامتناع[٣] .

ويبين المقريزى ان حمدان كان يتدرج باوامره هذه حتى اذا ماوثق من تطبيقها طالبهم بما هو اشد بعدا وانحرافا عن تعاليم الاسلام .

فمن اشتراكية الاموال الى شيوعية الاعراض يقول عن ذلك :

فلما استقام له ذلك (اى تطبيق اشتراكية الاموال) امر الدعاة ان يجمعوا النساء ليلة معروفة ويختلطن بالرجال ويتراكبن ولا يتنافرن فان ذلك من صحة الود والالفة بينهم[٤] .

اما تعاليم حمدان الاعتقادية فانه لما تمكن من امورهم ووثق بطاعتهم وتبين مقدار عقولهم اخذ فى تدريجهم واتاهم بحجج من مذهب الثنوية[٥] فسلكوا معه فى ذلك حتى يقضى على ماكان يأمرهم به فى مبدأ امرهم من الخشوع والورع والتقوى وظهر منهم بعد تدين كثير اباحة الاموال والفروج والغناء عن الصوم والصلاةوالفرائض واخبرهم ان ذلك كله موضوع عنهم . وان اموال المخالفين ودماءهم حلال لهم وان معرفة صاحب الحق ـ اى امامهم محمد

---

(١) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٥٩) .

(٢) دى ساس نقلا من تاريخ الجمعيات السرية لمحمد عنان (ص ٣٤ ـ ٣٥) .

(٣) الكامل لابن الاثير (٦ : ٩٣) ، تاريخ اخبار القرامطة (ص ١٤) .

(٤) اتعاظ الحنفا (١ : ١٥٧) .

(٥) مذهب من مذاهب الفرس القديمة وخلاصته القول بالهين اثنين الهللخير وهو النور واله للشر وهو الظلمة . انظر الملل والنحل للشهرستانى (٢ : ٤٩) .

ابن اسماعيل ـ تغنى عن كل شيء ولا يخاف معه اثم ولا عذاب وان هذا الامام هو المهدى الذى يظهر ويقيم الحق وان البيعة له وان مايجمع من الاموال مخزونة له [1] ..

ويصف النويرى حالة القرامطة بعد هذه التعاليم وتلك التربية بقوله : وظهر فى كثير منهم الفجور وبسط بعضهم ايديهم لسفك الدماء وقتلوا جماعة ممن اظهر خلافا لهم فخافهم الناس واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم فأظهر موافقتهم كثير من مجاوريهم جزعا منهم [2] ويشاركه المقريزى فى ذلك [3] .

ويقول عنان : انه نتيجة لهذه التربية وتلك التعاليم التى ابتدعها حمدان قرمط سرعان ماتحول القرامطة الى عصابة هائلة من السفاكين والاشقياء تقتل خصومها وتستحل اموالهم وأعراضهم وتنشر الدمار والرعب فيما حولها من الانحاء [4] .

وبعد انتشار الدعوة واتساع رقعتها اخذوا فى دور الظهور حيث اجتمع الدعاة واتفقوا على ان يجعلوا لهم موضعا يكون وطنا ودار هجرة يهاجرون اليها ويجتمعون بها فاختاروا من سواد الكوفة قرية فحازوا اليها صخرا عظيما وبنوا حولها سورا منيعا عرضه ثمانية اذرع ومن ورائه خندق عظيم وفرغوا من ذلك فى اسرع وقت وبنوا فيها البناء العظيم وانتقل اليها الرجال والنساء من كل مكان وسميت دار الهجرة وذلك فى سنة سبع وسبعين ومائتين ٢٧٧هـ . فلم يبق حينئذ احد الا خافهم ولا بقى احد يخافونه لقوتهم وتمكنهم من البلاد [5] .

ولا شك ان اعمالهم هذه كانت تسير فى طى الخفاء وقد استفادوا من

---

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٥٨) .
(٢) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٦٩) .
(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٥٨) .
(٤) تاريخ الجمعيات السرية لمحمد عنان (ص ٣٥) .
(٥) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٦٩) ، اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٥٨) .

اخطاء من سبقهم والذين عجلوا بالظهور قبل اوانه كحركة الحزمية وثورة الزنج ويذكر المقريزى بعض العوامل التى ساعدت على انتشار دعوة القرامطة وقوتها فى ابان ظهورها يقول : وكان الذى اعانهم على ذلك تشاغل الخليفة بفتنة الخوارج وصاحب الزنج بالبصرة وقصر يد السلطان وخراب العراق وتركه وركوب الاعراب واللصوص بعد السبعين ومائتين بالقفر، وتلاف الرجال وفساد البلدان فتمكن هؤلاء وبسطوا ايديهم فى البلاد وعلت كلمتهم (١) .

ولما تهيأ الامر لحمدان وكثر اتباعه اعلن ثورته فى اول امره بشكل بسيط ثم ظهرت تلك الثورة بشكل قوى ومفاجئ وذلك فى عام ٢٨٧هـ فى مكان اسمه جنبلاء بين الكوفة وواسط فهاجم المسلمين وقتل النساء والاطفال واحرق الدور وسار بدر عامل الخليفة المعتضد الى القرامطة وشتتهم واوقع فيهم مقتلة كبيرة الا انه لم يفن حركتهم لانه - على مايقال - كان بحاجة الى العمال والمزارعين ليقوموا بشئون الارض والعمل فعادت الدعوة ثانية وعادت الثورة عام ٢٨٩هـ .

شعر الخليفة وبعد فترة بخطورة الحال فوجه اليهم جيشا كبيرا وظفر بهم واخذ رئيسا لهم يعرف بابى الفوارس فامر به المعتضد فعذب ثم قتل (٢) .

---

(١) المرجع السابق (ص ١٥٩) .

(٢) انظر الكامل فى التاريخ لابن الاثير (٦ : ٩٥ - ١٠٠) وفى نفس الصفحة الاخيرة يذكر ابن الاثير نص المناظرة الجريئة التى جرت بين الخليفة العباسى المعتضد وبين ابى الفوارس وهى تدل على شجاعة القرامطة ورباطة جأشهم وتمسكهم بآرائهم ومعتقداتهم فى اقسى الظروف وهذه نص المناظرة . قال الخليفة لما احضر ابا الفوارس بين ايديه اخبرنى هل تزعمون ان روح الله تعالى وارواح انبيائه تحل فى اجسادكم فتعصمكم من الزلل وتوفقكم لصالح العمل ؟ فقال له : ياهذا ان حلت روح الله فينا فما يضرك . وان حلت روح ابليس فما ينفعك فلا تسأل عمالا يعنيك وسل عما يخصك قال : ماتقول فيما يخصنى ؟ قال اقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وابوكم العباس حى فهل طلب الخلافة ام هل بايعه احد من الصحابة ؟ ثم مات ابو بكر =

وهنا يحدث امر غريب وهو ان حركة القرامطة فى العراق تختفى وتسكت الى امد بعيد بينما تنفجر وتظهر فى اماكن اخرى بعيدة فى الشام وفى البحرين وفى اليمن . ويظل الخفاء يحيط بقرامطة العراق حتى سنة ٣١٦هـ ، حينما قاموا بثورتهم الكبرى .

ومهما يكن من امر فان حمدان اختلف مع قيادة الدعوة الاسماعيلية فى سلمية مركز الدعوة الاصلية [١] وفى وسط هذه الاحداث الغامضة اختفى حمدان وقتل عبدان وتختلف الروايات وتتعدد حول نهايتهما فالبعض يرى ان زعماء الاسماعيلية الحقوا الضرر بهما وانهم دبروا مع آل زكرويه القضاء عليهما [٢] . ويرى البعض الاخر ان نهاية حمدان بالذات كانت طبيعية وانه توفى لكبر سنه [٣] . ويذكر الحمادى ان حمدان قتل ببغداد [٤] ويقرب من ذلك قول الزركلى انه قبض عليه عامل الرحبة سنة ٢٩٣هـ وقتله المكتفى بالله الخليفة العباسى [٥] وقيل انه رحل الى الشام ومات فيها بعد ذلك [٦] .

= فاستخلف عمر وهو يرى موضع العباس ولم يوص اليه ثم مات عمر وجعلها شورى فى ستة انفس ولم يوص اليه ولا ادخله فيهم فبماذا تستحقون الخلافة ؟ وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها فأمر المعتضد به فقتل .

(١) يذكر المقريزى خلافا اساسيا حدث بين زعماء الاسماعيلية فى سلمية وحمدان قرمط حول الامامة حيث يرى حمدان ان الامام الحقيقى محمد بن اسماعيل اما زعماء سلمية فانكروا امامته وكانت النتيجة ان جمع حمدان الدعاة وامرهم بقطع الدعوة عن زعماء سلمية . انظر اتعاظ الحنفا (١ : ١٦٧ - ١٦٨) .

(٢) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٧٠) ، اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٨) .

(٣) قرامطة العراق لعليان (ص ٨٣) نقلا عن المستشرق الفرنسى دى غويه .

(٤) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ١٨) .

(٥) الاعلام للزركلى (٦ : ٣٥ - ٣٦) .

(٦) دائرة المعارف الاسلامية (٨ : ٧٧) .

وهكذا نرى الغموض يحيط فى آخر حياة حمدان قرمط وتلك سنة من سنن الله عز وجل فى المتآمرين والهداميين الذين يعيثون فى الارض فسادا . وقد ترك من بعده اتباعا له آمنوا بتعاليمه وساروا على نهجه وطريقته فى الضلال والهدم . وعلى رأس هؤلاء عبدان الذى يعتبر من الصق الاتباع به واكثرهم خدمة لدعوته .

(٢) عبـــدان الكاتب

لكل حركة من الحركات نظام فكرى تقوم على اساسه تلك الحركة ويواكبهـــا فى كل تحركاتها ونظمها ولا تقوم الحركات ويتجمع الافراد الا على ذلك .

ونحن حينما ندرس اى مذهب من المذاهب فاننا نجد اتباعه والمؤمنـــين به يقدمون فى سبيله كل مايملكون ويستطيعون فبعضهم يقدم خدمة فكريـــــة وبعضهم يقدم دورا قياديا والبعض الاخر يقدم دورا تربويا وهكذا تتـــــوزع الجهود والاعمال حسب المواهب والطاقات .

وحينما نتتبع دعاة القرامطة نجد بعضهم برز فى ناحية تخدم الدعــــوة والبعض الاخر برز فى ناحية اخرى ومن ابرز دعاتهم فى المجال الفكرى وانشطهم بلا منازع عبدان القرمطى والملقب بعبدان الكاتب لكثرة ماكتب والف فــــــى المذهب ولذا يصفه البعض بأنه عقل القرامطة الاول [١] .

والحقيقة ان حياته العلمية وظروف نشأته بقيت مجهولة الى اليوم ومـــع التتبع للمصادر والمراجع لانجد الا نتفا قليلة تلقى الضوء على حياة هذا الرجل وسوف اتتبع هذه النتف القليلة لعلها تعطينا بعض الحقائق عن هذه الشخصيـــة التى تأتى بالدرجة الثانية بعد حمدان قرمط .

اشتهر عبدان بالتأليف والتصنيف للمذهب ويصفه ابن النديم بقوله :

انه اكثر الجماعة كتبا وتصنيفا [٢] ولكثرة ما الف فى المذهب فقد استغلـــه بعض دعاة القرامطة حيث ينسبون كتاباتهم الى عبدان ليضمنوا لها الذيـــوع والانتشار . وماذلك الا لشهرته فى التأليف ويقول ابن النديم عن ذلك وكـــل من عمل كتابا نحله اياه [٣] اى نسبه الى عبدان ومن امثلة ذلك مافعله ابـــن اخت عبدان وهو عيسى بن موسى الذى كان يشترى بعض الكتب من الوراقـــين وينسبها الى خاله عبدان . يقول النويرى عن ذلك العبث : واقام عيســـى

---

(١) قرامطة العراق لعليان (ص ٨٣) .
(٢) الفهرست لابن النديم (ص ٢٤٠) .
(٣) المرجع السابق بنفس الصفحة .

ببغداد .. يعمل كتبا يجمع فيها مايأخذه من كتب يشتريها من الوراقين .. ورتب كتبا نسبها الى عبدان الداعى ليوهم الناس ان عبدان كان احد العلماء بكل فلسفة وغيرها وانه يعلم مايكون قبل وقوعه[١] .

ومثل هذا العبث والخلط والاضطراب يجعلنا نشك فى اى كتاب ينسب للقرامطة ولا سيما لعبدان ومن امثلة ذلك ماذكرته احدى الباحثات من انه يوجد بمكتبة تامر كتاب الميزان لعبدان[٢] اضافة الى ذلك ان ابن النديم ذكر جميع مؤلفات عبدان مارأى منها ومالم ير ولم يذكر هذا الكتاب . يقول : ولعبدان فهرست يحتوى على ماصنفه من الكتب فمن ذلك :

(١) كتاب الرحا والدولاب

(٢) كتاب الحدود والاسناد

(٣) كتاب اللامع

(٤) كتاب الزاهر

(٥) كتاب الميدان

ومن كتبه الكبار :

(١) كتاب النيران

(٢) كتاب الملاحم

(٣) كتاب المقصد

ويقول عن هذه الكتب الثلاثة الاخيرة انها بلغتنا وهى الموجودة والمتداولة وباقى مافى الفهرست (اى الخمسة الاولى)[٣] فيقول عنها قل ما رأيناها او عرفنا انسان انه رآها[٤] ويقول بدوى : ولم يصلنا شىء من مؤلفات عبدان حتى الان[٥] .

---

(١) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٩٢) .

(٢) الخلفية العقائدية لحركة القرامطة (ص ٢٠٣) .

(٣) وقد وهم الاستاذ عليان حينما اعتبرها سبعة . انظر قرامطة العراق (ص ٦٢) .

(٤) الفهرست لابن النديم (ص ٢٤٠) .

(٥) مذاهب الاسلاميين للدكتور بدوى (٢ : ١٨٧) .

ونتيجة لهذا التحريف والشعوذة اخطأ بعض الكتاب فنسبوا كتاب : البلاغ السابع الى عبدان[١] مع العلم ان ابن النديم قال عنه : ولهم - اى للاسماعيلية البلاغات السبعة ومن ضمنها البلاغ السابع الذى يوجد فيه نتيجة المذهب والكشف الاكبر ويقول عنه : قد قرأته ورأيت فيه امرا عظيما من اباحة المحظورات والوضع من الشرائع واصحابها[٢].

وهكذا يتضح لنا شهرة عبدان ونشاطه الفكرى خدمة لمذهبه ولاريب ان الدعوة صادفت على يده كثيرا من الذيوع والانتشار فدعاة القرامطة المشهورين اخذوا الدعوة عنه وذلك كأبى سعيد الجنابى مؤسس دولة القرامطة فى البحرين وزكرويه بن مهرويه زعيم قرامطة الشمال[٣].

ويقول المقريزى : ان من قبل عبدان جماعة دعاة متفرقون فى عمله فداعيته على فرات بادفلى الحسن بن ايمن . وداعيته على طسوح تستر رجل يعرف بالبورانى وداعيته على جهة اخرى المعروف بالوليد وفى اخرى : ابوالفوارس ويضيف المقريزى بان هؤلاء رؤساء دعاة عبدان ولهم دعاة تحت ايديهم فكان كل داع يدور فى عمله ويتعاهده فى كل شهر مرة[٤].

ويوضح النويرى اسلوبا خاصا لعبدان فى دعوته فيقول : انه كان فطنا خبيثا خارجا عن طبقة نظرائه من اهل السواد ذا فهم وحذق وكان يعمل عند نفسه على حد قد نصب له من غير ان يجاوزه الى غيره من خلع الاسلام ولا يظهر غير التشيع والعلم ويدعو الى الامام من آل رسول الله محمد بن اسماعيل ابن جعفر[٥].

---

(١) انظر قرامطة العراق لعليان (ص ٦٣) حيث ذكر ان المستشرق ماسينون اعتبر هذا الكتاب من مؤلفات عبدان . وكذلك المزاوى حيث قال : ويبدو لى ان هذا الكتاب من تأليف عبدان تلميذ قرمط . انظر حاشية سياسة نامه للطوسى (ص ٢٧٩) .

(٢) الفهرست لابن النديم (ص ٢٤٠) .

(٣) تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم (ص ٣٨٨) .

(٤) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٥٥) .

(٥) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٢٦) .

٣٠ وكان حمدان قرمط يوجهه فى بعض المهمات الاساسية للدعوة فحينما مات الامام الاسماعيلى ارسله حمدان الى مقر الامامة ـ الذى كان لا يعرفه ولا يتصل به الا المقربين ـ ليعرف خبر الامام ومن خلفه فى رئاسة الدعوة فأدى مهمته هذه بنشاط واستجابة سريعة خلاف ابن مليح الذى طلب حمدان منه الذهاب فامتنع (١) .

ولما كان يتمتع به عبدان من نشاط وبراعة فى سبيل الدعوة ونشرها فانه الشخص الوحيد الذى كان مهيأ لخلافة حمدان قرمط فى رئاسة الدعوة ويدل على ذلك قول ابن النديم : فاما اليمن وفارس والاحسا فان الدعاة صاروا الى هناك من جهة عبدان خليفة حمدان قرمط وصهره (٢) .

ولكن هل تولى عبدان زعامة القرامطة ام كانت نهايته قبل توليها ؟

وللاجابة على ذلك فان المصادر لا تلقى على ذلك الا نزرا يسيرا من الاخبار ولكن يبدو لى ـ من خلال هذا النزر اليسير ـ ان ثمة صراعا خفيا حدث بين زعماء القرامطة بالعراق حول رئاسة الطائفة بعد حمدان وكان عبدان وزكرويه يطمعان فى تلك الرئاسة . فعبدان كان عقل القرامطة المفكر والرجل الذى اعتنق الدعوة على يديه مشاهير القرامطة ولذلك كان من الطبيعى ان يخلف حمدان قرمط .

وكان ذكرويه ينافس عبدان على تلك الزعامة ويعتقد انه احق بها لان اباه كان من دعاة ائمة الاسماعيلية الاوائل واحد انصارها قبل حمدان قرمط نفسه وكان شعور آل زكرويه باصالتهم فى الدعوة على هذا النحو مدعاة لطموحهم ذلك الطموح الذى دفعهم الى قتل عبدان حتى يصفو لهم الجو لتولى زعامة القرامطة بالعراق (٣) ومما يدل على ذلك ماذكره المقريزى من ان مبعوث الامام الاسماعيلى لما جاء مستفسرا عن انقطاع المكاتبة بين قيادة الدعوة فى سلمية

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٧ - ١٦٨) .
(٢) الفهرست لابن النديم (ص ٢٣٩) .
(٣) قرامطة العراق لعليان (ص ٨٣) .

وبين القرامطة مضى الى عبدان فعاتبه وعاتب الدعاة على انقطاع كتبهم ولكن عبدان عرفه بقطعهم للدعوة وانهم لن يعودوا فيها فانصرف هذا المبعوث الى زكرويه بن مهرويه فاستجاب له وقال ان هذا لا يتم مع عبدان لانه داعي البلد كله والدعاة من قبله والوجه ان نحتال على عبدان حتى نقتله . وباطن على ذلك جماعة من قرابته وثقاته وقال لهم : ان عبدان قد نافق وعصى وخرج من الملة . فبيتوه ليلا وقتلوه وذلك فى سنة ست وثمانين ومائتين للهجرة (١) .

ولعل الدكتور بدوى اعتمد على هذه الرواية فذكر ان وفاة عبدان انما كانت عام ست وثمانين ومائتين ٢٨٦هـ (٢) .

وبعد موت حمدان وقتل عبدان يتوقف النشاط القرمطى فى العراق وتخفت ثوراتهم فترة طويلة الى ان قاموا بثورتهم الكبرى سنة ٣١٦هـ . حيث تجمعوا من جديد حول قائدين احدهما يدعى عيسى بن موسى وهو ابن اخت عبدان والاخر حريث بن مسعود . ويقول ابن الاثير ان الذى شجعهم على ذلك هو انتصارات قرامطة البحرين بزعامة ابى طاهر القرمطى ويشير الى انهم كانوا يكتمون اعتقادهم فلما اجتمعوا اظهروا اعتقادهم واجتمع منهم بسواد واسط اكثر من عشرة آلاف رجل وولوا امرهم حريث بن مسعود (٣) .

سار القائد الاول عيسى بن موسى مع اتباعه الى الكوفة ونزل بظاهرها وجبى الخراج وطرد عمال الخليفة العباسى المقتدر من السواد ووجه دعاته الى جميع من بالسواد من القرامطة فاستجابوا له وتوافدوا اليه . وقد هاجمته جيوش الخليفة بقيادة صافى البصرى وانتهى الامر بالقبض عليه وسجنه فى بغداد (٤) .

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٨) .
(٢) مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوى (٢ : ١٨٥) .
(٣) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٩٤) .
(٤) المرجع السابق بنفس الصفحة .

اما حريث بن مسعود فخرج بواسط واوقع الهزيمة باحد الجيوش العباسية التى تصدت له واستولى على مؤنه وعتاده مما مكنه من الصمود طويلا ثم مضى الى اعمال الموفقى[(١)] واستولى على تلك الناحية وبنى بها دار هجرة وكان اتباعه ينهبون ويسبون ويقتلون وتقلد حربهم والى واسط وقاتلهم ولكنهم هزموه فسير المقتدر بالله[(٢)] اليهم هارون بن غريب فاوقع بهم الهزيمة وقتل كثيرا منهم واسر منهم كثير وحمل قائدهم حريث بن مسعود الى مدينة السلام حيث قتل هو والاسرى ثم صلبوا واخذت اعلامهم وكانت بيضاء ومكتوب عليها قوله تعالى " ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين "[(٣)] .

ويسمى المسعودى هؤلاء الثوار بالقرامطة البقليه ويعلل ذلك بانه اسم ديانى عندهم ويقول ان جمهور هؤلاء من بنى ذهل وبنى رفاعة[(٤)] ويعتبر هؤلاء النهاية لقرامطة العراق حيث لم تقم لهم بعد ذلك قائمة . يقول ابن الاثير بعد ذكره ثورات هؤلاء : واضمحل امر من بالسواد منهم وكفى الله الناس شرهم[(٥)] .

لكن هذا لا يعنى انتهاء نشاط القرامطة فى اماكن اخرى بل ظل نشاطهم مستمرا ودعوتهم قائمة لا سيما قرامطة البحرين حيث بقيت دولتهم الى حوالى نهاية القرن الخامس وهذا ما سأتطرق اليه فى الفصل الرابع .

اما قرامطة الشمال وكفاحهم فهذا ما سأتحدث عنه فى الفصل الاتى .

---

(١) نهر كبير حفره الموفق ابى احمد الناصر لدين الله بن المتوكل على الله واخى الخليفة المعتمد وقد نسب اليه وهو قرب مدينة واسط . انظر معجم البلدان لياقوت (٥ : ٢٢٤ - ٢٢٥) .

(٢) الخليفة الحادى عشر بعد المأمون واسمه ابو الفضل جعفر بن محمد تولى الخلافة يوم مات اخوه المكتفى سنة خمس وتسعين ومائتين وعمره ثلاث عشرة سنة مدة خلافته اربعا وعشرين سنة حيث توفى سنة عشرين وثلاثمائة . انظر مختصر التاريخ لابن الكازرونى (ص ١٧٢ - ١٧٣) .

(٣) انظر صلة تاريخ الطبرى لعريب (٨ : ٩٥-٩٧) ، الكامل لابن الاثير (٦ : ١٩٤) اما الاية فهى من سورة القصص آية رقم (٥) .

(٤) التنبيه والاشراف للمسعودى (ص ٣٣٨ - ٣٣٩) .

(٥) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٩٤) .

الفصل الثالث

زعماء قرامطـــة الشـــام

لم تتوقف حركة القرامطة بعد موت حمدان وقتل عبدان بل تحول نشاطهم نحو الشمال على يد زكرويه بن مهرويه وابنائه وهؤلاء يطلق على حركتهم اســـم حركة الجزيرة العراقية والشام[1] كما يطلق عليهم قرامطة الشام وبعض المستشرقين يسمون حركة القرامطة بالشام حركة الهلال الخصيب .[2] ولغرابة هذه الحركـــة فى الادوار التى مرت بها لابد من الاشارة الى بعض خصائصها المميزة لهـــا عن حركات القرامطة الاخرى واستطيع ان اجمل هذه المميزات بامور ثلاثة :

الامر الاول :

انها قامت ـ اى حركة قرامطة الشام ـ على حساب توقف الحركــــــة القرمطية فى العراق وانتقلت الى الشام بين الاعراب والبدو والرحل فى فـــترة غامضة حيث تبدو الاحداث متشابكة ومتناقضة فى آن واحد فموت حمدان رئيـس الحركة القرمطية وقتل عبدان كلها كانت جسرا ومعبرا لانتقال النشاط القرمطى الى الشام ولكن هل كان ذلك لصالح الحركة حيث ابعادها عن مركز الخلافـــة بغداد امان ذلك مجرد تطاحن وتنازع حول القيادة ؟ ذلك ماتختلف حولـــه التفســـيرات .

كما ان خلاف قادة القرامطة فى الشام مع زعماء الاسماعيلية وتمردهـــم على تعاليمهم من الاشياء التى يكتنفها الغموض لاسيما اذا تذكرنا ان ذكرويـه

---

(١) تاريخ الاسلام لحسن ابراهيم (٣ : ١٩٧) .

(٢) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ٧٧) ومن الجدير بالذكر ان هــذه الاسماء من تقسيمات المستعمرين للمناطق الاسلامية ومن ذلك تسميتهم لجزء من الدول العربية بالشرق الاوسط .

اتفق مع مبعوث الامام الاسماعيلي على قتل عبدان والتخلص منه [(١)] .

ولتفسير ذلك كله فان احد الكتاب ذكر ان ثمة صراعا خفيا حدث بين زعماء القرامطة بالعراق حول رئاسة الطائفة بعد حمدان وكان عبدان وذكرويه يطمعان في تلك الرئاسة . . فزكرويه ينافس عبدان على الزعامة ويعتقد انه احق بها لان اباه كان من دعاة ائمة الاسماعيلية الاوائل . وكان شعور آل زكرويه باصالتهم في الدعوة على هذا النحو مدعاة لطموحهم ذلك الطموح الذى دفعهم الى قتل عبدان حتى يصفو لهم الجو لتولى زعامة القرامطة بالعراق [(٢)] . .

ومن الشواهد التى تؤيد قيام مثل هذا الصراع بين آل زكرويه وعبدان ذلك الجفاء الذى كان بينهم وبين قرامطة العراق من انصار عبدان عندما وقفوا على مافعله آل زكرويه بزعيمهم حيث طلبوا زكرويه بن مهرويه ليقتلوه فاستتر وتنقل فى القرى والقرامطة تطلبه الى سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة [(٣)] .

كما ان القرامطة - اتباع عبدان - خالفوه كلهم ولذا لما طلب منهم الانضمام الى حركته رفضوا ولم ينضم منهم احد يقول ابن الاثير وابن سنان ان زكرويه بن مهرويه سعى فى استغواء قرامطة السواد فلم يجبه منهم احد الا فخذ من بنى العليص ومواليهم [(٤)] .

وكذلك يقول احد المستشرقين : ان قرامطة العراق وقرامطة البحرين رفضوا الاعتراف بكل ما ادعاه ابناء زكرويه [(٥)] .

ويستخلص مما سبق ان قتل عبدان وموت حمدان وماتلى ذلك من زعامة زكرويه وابنائه للحركة هذه الامور كلها ولدت استياء عاما لدى القرامطة فى العراق مما جعل زكرويه ينقل الحركة الى بادية الشام التى وجد فيها

---

(١) سوف اذكر حادثة زعماء القرامطة الشام مع الامام الاسماعيلي ومحاولتهم قتله بشيء من التفصيل عند الحديث عن شخصية الحسين بن زكرويه .

(٢) انظر قرامطة العراق لعليان (ص ٨٣) .

(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٨) .

(٤) الكامل لابن الاثير (٦ : ٩٩) ، تاريخ اخبار القرامطة لابن سنان (ص ١٧) .

(٥) دى غويه فى مذكراته عن قرامطة البحرين (ص ٥٨) .

كل تقبل وخاصة من الاعراب الذين لا هم لهم الا قطع الطرق والسلب والنهب وعن هؤلاء يقول الطبري : وكانت جماعة من كلب تخفر الطريق على البر بالسماوه فيما بين الكوفة ودمشق فارسل زكرويه اولاده اليهم فبايعوهم وخالطوهم وانتموا الى على بن ابى طالب والى محمد بن اسماعيل بن جعفر وذكروا انهم خائفون من السلطان وانهم ملجأون اليهم فقبلوهم على ذلك ثم دبوا فيهم بالدعاء الى رأى القرمطة[1] .

ومع هذا فان بعض اهالى الشام قد تأثروا بالتعاليم الاسماعيلية بحكم قربهم من سلميه مقر الائمة الاسماعيليين ولذا يذكر النيسابوري : ان يحيى بن زكرويه - والذى يسميه بابى القاسم بن ابى محمد - لما خرج بالبحث عن الامام وقع اختياره على القاصيين دون غيرهم من القبائل وذلك لان الدعاة كانت تدعو فيهم وان الدعوة قد انتشرت بينهم وقد عاقده هؤلاء وحالفوه وثاروا معه[2] .

الامر الثانى :

ان هذه الحركة لم تجد الذيوع والانتشار والقبول الا فى وسط البدو الرحل والاعراب الجفاة الذين لا هم لهم الا السلب والنهب . يصف ابن الاثير تأييد البدو للحسين بن زكرويه بقوله : انه دعا الناس فاجابه اكثر اهل البوادى وغيرهم فاشتدت شوكته[3] .

كما يصف ابن سنان ذلك - مبينا بعض اهداف هؤلاء الاعراب - بقوله انه لما عقد البيعة لنفسه على القرامطة دعاهم الى ماكان اخوه يدعوهم اليه فاشتدت شوكته ورغبت البوادى بالنهب فانثالت عليه انثيالا[4] .

ويقول عليان عن انصار قرامطة الشام : انهم كانوا يقاتلون معه - اى زكرويه - حبا فى الغنائم والاسلاب وليس انتصارا لمذهبه وكثيرا ماكانوا

---

(١) تاريخ الامم للطبري (٨ : ٢١٤) .
(٢) استتار الامام للنيسابوري (ص ٩٧) .
(٣) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٠٤) .
(٤) تاريخ اخبار القرامطة (ص ٧٠) .

ينفضون من حول دعاته في ساعة العسرة حين يلوح الخطر كما حدث بالنسبة للحسين بن زكرويه حيث رفض انصاره مواصلة القتال معه ضد العباسيين فاضطره ذلك الى الهرب نحو العراق . وكما حدث بالنسبة للداعي ابي غانم الذي وصل امر اتباعه معه الى حد قتلهم اياه[1].

وبحكم ان اتباع هذه الحركة من تلك الطبقة كان الجهل - بطبيعة الحال - مسيطرا عليهم مما جعلهم يتقبلون التمويه والشعوذة التي كان ينادي بها زعماؤهم يقول الطبري : ان ابن زكرويه المسمى بيحيى والمكنى بابي القاسم لقبوه الشيخ على امر احتال فيهم ولقب به نفسه . وزعم ان ناقته التي يركبها مأمورة وانهم اذا تبعوها في مسيرها ظفروا وتكهن لهم واظهر عضدا له ناقصة وذكر انها آية[2].

كما موه على اتباعه قبل موته بقوله لهم : بايعوا لاخي فاني غدا اطلع الى السماء اقيم بها اربعين يوما وآتي اليكم فبايعوا له على اربعين يوما لا غير[3].

كما ان اخاه الحسين اظهر شامة في وجهه ذكر انها آيته ولقب ابن عم له بالمدثر وذكر انه المعني في السورة التي يذكر فيها المدثر[4].

ويرى المستشرق ايفانوف : ان ابتعاد المهدي عن حركة آل زكرويه يرجع الى انه ماكان ليوافق علنا على ان يكون اولئك البدو الذين استجابوا لآل زكرويه مبشرين بظهور المهدي لان هؤلاء يسفكون الدماء بينما كان الاسماعيليون يمنون الناس بان امامهم حين يظهر سيملأ الارض عدلا بعد ما ملئت جورا[5].

وهكذا لم تقم دولة لآل زكرويه لعدم وجود قاعدة صلبة من المبادىء

---

(١) قرامطة العراق لعليان (ص ١٤٨ - ١٤٩) .

(٢) تاريخ الطبري (٨ : ٢١٤) .

(٣) استتار الامام للنيسابوري (ص ٩٩) .

(٤) تاريخ الطبري (٨ : ٢١٥) .

(٥) انظر قرامطة العراق لعليان (ص ١١٠ - ١١١) نقلا عن ايفانوف .

والافكار فاتباعهم وجنودهم تربوا على الشعوذة والمخاريق الكاذبة التى وجدت لها رواجا فى مجتمع الاعراب حيث لا تربطهم روابط فكرية او حتى تعاون فى سبيل هدف كريم وكانت النتيجة ان هذه الحركة لم تتمتع فترة طويلة حيث قضى عليها عام ٢٩٤هـ مع العلم انها ظهرت فى عام ٢٨٩هـ .

الامر الثالث :

ان نطاق حركة قرامطة الشام ضيق للغاية حيث كان محور نشاطها وحركتها اسرة واحدة هى اسرة آل زكرويه فما ان انتهت هذه الاسرة بالقضاء على زكرويه بن مهرويه سنة ٢٩٤هـ الا كان بصحبة ذلك موت الحركة ونهايتها ولذا يقول المقريزى : ومات خبر القرامطة بموت زكرويه (١) .

ان اصالة هذه الاسرة فى الدعوة الاسماعيلية وجدت فى عهود مبكرة فالمقريزى يشيد بنشاط ابيهم مهرويه حيث يعتبر من اتباع الدعوة الاسماعيلية الاوائل ومن كبار رجالها .

كما انه من اوائل من استجاب لحمدان قرمط ويصفه المقريزى بأنه احد الدعاة الذين صارت لهم مرتبة فى الثقة والدين وانه عظم قدره فى اعين الناس (١) .

ولشعورهم بهذه الاصالة فى الدعوة وجهودهم فى نشرها كانوا يترقبون مركزا فى عالم الدعوة الاسماعيلية ودفعهم ذلك الى المؤامرة فى قتل عبدان لانهم يرون احقيتهم عليه . كما ان عزل يحيى بن زكرويه احدث لديهم صدمة عنيفة دفعتهم الى قتل ابى الحسين الاسود نائب الامام الاسماعيلى المهدى بل المؤامرة على قتل الامام المهدى نفسه (٣) .

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٧٩) .
(٢) المرجع السابق (١ : ١٥٥ - ١٥٩) .
(٣) استتار الامام للنيسابورى (ص ٩٦) .

ولما لهذه الاحداث من اهمية بالغة فى ايضاح مابين القرامطة والاسماعيلية فسوف نتعرض لها بالتفصيل عند الحديث عن شخصيات هذه الاسرة التى اشتهر منها ثلاثة افراد وهم :

(١) يحيى بن زكرويه

(٢) الحسين بن زكرويه

(٣) والدهم زكرويه بن مهرويه

وقد كان لكل واحد من هؤلاء دور قيادى وعسكرى دفعنى الى الحديث بالتفصيل عن كل شخص على حده بدءاً بيحيى .

(١) يحيى بن زكرويه القرمطى

اختلف المؤرخون فى تسمية هذا الشخص فالطبرى يقول : ان اسمه يحيى وكنيته ابو القاسم ولقبه الشيخ . وقد زعم لاتباعه من القرامطة انه ابوعبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد . كما قيل انه زعم انه محمد بن عبدالله بن يحيى . كما قيل أيضا انه زعم انه محمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب[١] .

واما ابن خلدون فيقول انه حول اسمه وادعى انه محمد بن عبدالله وانه كان يكتم هذا الاسم[٢] .

ويسميه ابن كثير بيحيى بن زكرويه بن مهرويه[٣] غير ان البغدادى يسميه بابى القاسم بن مهرويه[٤] ومن القابه المشهورة صاحب الجمل وصاحب الناقة[٥] .

ان امامنا الان عدة اسماء والقاب لشخصية واحدة فعلينا اذن عند التتبع لاعماله وتحركاته الا نغفل هذا التعدد بل نجعله نصب اعيننا لكى نصل الى حقيقة الاحداث التى قام بها بعد التأكد من نسبتها اليه .

ومن الملاحظ ان زعماء هذه الحركة يتخفون ويتسترون من خلال هذه المزاعم الكاذبة ويكون ذلك مدعاة للتمويه بالشخصية الحقيقية . ومما يؤكد ذلك ماذكره ابن سنان عن يحيى بن زكرويه بقوله : لما بايعه بعض الاعراب فى الشام زعم لهم انه محمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل[٦] . بل ذكر المقريزى ان اباه زكرويه هو الذى امره بهذا الانتساب[٧] .

---

(١) تاريخ الامم للطبرى (٨ : ٢١٤) .
(٢) العبر لابن خلدون (٤ : ١٨٤) .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٨٥) .
(٤) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٧٤) .
(٥) تاريخ اخبار القرامطة لابن سنان (ص ٧٣ - ١١٠) .
(٦) المرجع السابق (ص ١٨) .
(٧) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٨) .

اتصف يحيى بكثرة الشعوذة والتمويه ومن مخاريقه انه كان يركب جملا ويأمر اصحابه الا يقاتلوا حتى ينبعث الجمل من قبل نفسه وبين لهم انهم اذا فعلوا ذلك لم يهزموا وانه اذا اشار بيده الى ناحية اعدائه انهزموا [١].

وكان يموه على اتباعه ويقول لهم : بايعوا لاخى فانى غدا اطلع الى السماء اقيم بها اربعين يوما وآتى اليكم [٢].

كما تكهن لهم واظهر عضدا له ناقصة وزعم انه آية ومع اسفافه فى مثل هذه الامور فقد وجد آذانا صاغية لمثل هذه الخزعبلات . يقول الطبرى : ان هذه التمويهات والادعاءات وجدت طريقها الى بعض الاعراب من بنى الاصبغ حيث اخلصوا له وتسموا بالفاطميين ودانوا بدينه [٣].

ان العامل الاساسى لقبول مثل هذه الامور هو الجهل الذى سيطر على اهل البوادى بحيث اصبحوا لا يفقهون من حياتهم الا العبث والنهب والانفلات من جميع الاحكام وهذه الادعاءات والتمويهات لا تملك من امر البقاء شيئا وماكان لها ان تبقى غير انها وجدت مكانا صالحا لنموها ذلك المكان هو مجتمع جاهل متخلف .

اما مجتمع العلم والفقه فى الدين فلا تتسرب هذه اليه ولا تجد لها نفاذا لان العلم يبدد الظلمات والاوهام ويكشف الدجالين والمخرقين .

ومع ان عامل الجهل كان له اثر كبير فى نشر آراء يحيى القرمطى فلم يكتف بهل استخدم سلاحا آخر لمن عندهم اثارة من علم ذلك السلاح هو البطش والقوة ويدل على ماذكرنا ان القرامطة حينما دخلوا الشام استخدموا القوة والعنف فاوجدوا فى قلوب الناس الخوف بحيث اعتنق مبادئهم الكثير ممن حول دمشق خوفا وهلعا . يقول المسعودى : ان القرمطى لما حاصر دمشق لمدة ثلاثة اشهر وعشرين يوما يقاتل فيها اشد قتال تقرمط اكثر من حول دمشق من الغوطة وغيرها [٤].

---

(١) المسالك والممالك للبكرى (ورقة ٢٢١) .
(٢) استتار الامام للنيسابورى (ص ٩٩) .
(٣) انظر تاريخ الامم للطبرى (٨ : ٢١٤) .
(٤) التنبيه والاشراف للمسعودى (ص ٣٢٢) .

اعمال القرمطى الاجرامية .

اجتمع اليه خلق كثير من بنى الاصبغ واخلصوا له الى جانب اتباعه الاوائل من بنى العليص ثم سار بهم الى ناحية الرقة سنة ٢٨٩هـ فلقيه عاملها فاصطلمه القرمطى ومن معه من الجنود[١] .

ثم دخلوا الرصافة فاحرقوا مسجدها ونهبوه . وساروا نحو الشام يقتلون ويحرقون القرى وينهبونها الى ان وردوا اطراف دمشق[٢] فاتصل خبره بطغج بن جف وهو يومئذ امير دمشق فتهاون به وركب اليه وهو يظن انه من بعض الاعراب بغير اهبة ولا عدة ومعه البزاة والصقور كأنه خارج الى الصيد فلما صافه لقيه رجلا متلهفا على الشر وذلك لما تقدم له من الظفر بجماعة من اعيان الملوك فقاتله طغج فانهزم منه اقبح هزيمة ونهبت عساكره وعاد طغج الى دمشق مكسورا فدخل قلوب الشاميين منه فزع شديد[٣] .

بعد ذلك اجتمع الى القرمطى خلق كثير من الاعراب واتباع الفتن فسار بهم الى دمشق[٤] .

يقول ابن الاثير : ان القرمطى حصر دمشق سنة ٢٩٠هـ وضيق على اهلها وقتل اصحاب طغج فلم يبق منهم الا القليل واشرف اهلها على الهلكة فاجتمع جماعة من اهل بغداد وانهوا ذلك الى الخليفة فوعدهم النجدة وامد المصريون اهل دمشق ببدر وغيره من القواد فقاتلوا الشيخ مقدم القرامطة فقتل على باب دمشق[٥] .

وينقل ابن ابى الازهر قال حدثنى كاتبه المعروف باسماعيل بن النعمان عن هذه الوقعة قال : فصرت اليه (اى القرمطى) مرة وهو راكب على نجيبه

---

(١) المرجع السابق بنفس الصفحة .
(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٩) .
(٣) النجوم الزاهرة لابن تغرى (٣ : ١٠٤) .
(٤) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٢٧) .
(٥) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٠٤) .

وعليه دراعة ملحم فقلت له قد اشتد الامر على اصحابنا وقد قربوا منك فتنح عن هذا الموضع الى غيره فلم يرد على جوابا ولم يثر نجيبه فعدت اليه ثانيــة فقلت له قم فانتهرنى ولم يرم الى ان وافته زانة او قال حربة فسقط عن البعــير وكاثرنا من يريد اخذه فمنعنا منه وقتل زهاء مائة انسان فى ذلك الموضع .ثـم اخذناه وتنحينا باجمعنا(١) .

اما اتباعه الذين رباهم على الشعوذة والتمويه فلم يقتنعوا بموتـــــه يقول النيسابورى : فلما رجعوا واجتمع جميع العساكر قالوا صاحبنا صعد الــى السماء(٢) .

وكان يحيى بن زكرويه قد اوصى اتباعه بولاية امر القرامطة بعده الـــى اخيه الحسين بن زكرويه قائلا لهم : هذا اخى قد قدم ونحن بالغداة نلتقى للقتال فبايعوا لاخى فانى غدا اطلع الى السماء اقيم بها اربعين يوما واتـــى اليكـــم(٣) .

---

(١) تاريخ اخبار القرامطة (ص ٧٤) .
(٢) استتار الامام (ص ٩٩) .
(٣) المرجع السابق بنفس الصفحة .

(٢) الحسين بن زكرويه القرمطي

ولى الحسين بن زكرويه امور القرامطة بعد مقتل اخيه يحيى تنفيذا للوصية التى اوصى بها اخوه يحيى وزعم لهم ـ كما زعم من قبله ـ انه احمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد وهو ابن نيف وعشرين سنة [١].

ونسب نفسه هكذا . وقيل ان اسمه احمد بن عبدالله بن محمد بن جعفر وقيل محمد بن عبدالله بن جعفر . وقيل عبدالله بن احمد بن محمد بن اسماعيل وقيل ان اسمه الحسين بن زكرويه بن مهرويه . وقيل ابن مهرى الصوانى وقيل ان القرمطى من يهود نجران وانه دعى [٢].

ويقول ابن سنان فى تاريخه عن الحسين : انه كثيرا مايقع الاختلاف فى اسمه ونسبه . ويعرف بابن المهزول ـ كما يلقب بصاحب الخال لانه كان على خده الايمن خال [٣].

ومما يؤكد غموض هذه الشخصيات وتقلبها ماذكره ابن ابى الازهر حيث سأل كاتب يحيى بن زكرويه القرمطى [٤] قال هذا الذى اقمتموه مقامه هو اخوه ؟ فقال لا والله مانعلم ذاك . غير انه وافانا قبل هذه الحادثة بيومين فسألناه من انت من الامام ؟ فقال : انا اخوه ولم نسمع من الشيخ شيئا فى امره [٥]

ولقد زعم ـ كما زعم من قبله ـ القدرة على عمل المعجزات فاظهر شامة بوجهه الاسود زعم انها آيته ـ فلقب بصاحب الشامة ـ كما زعم انه المهدى [٦].

كما انه اتاه ابن عمه عيسى بن المهدى المسمى عبدالله بن احمد بن محمد بن اسماعيل فلقبه المدثر وعهد اليه وزعم انه المدثر الذى فى القرآن .

---

(١) تاريخ الامم والملوك للطبرى (٨ : ٢١٥) .
(٢) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٦٩ - ٧٢) .
(٣) المرجع السابق (ص ٧١) .
(٤) هذا الكاتب يلقب بابى المحمدين واسمه اسماعيل بن النعمان وهو احد رؤساء القرامطة الذين تركوا القرمطى الحسين وطلبوا الامان من الخليفة العباسى فافهم . تاريخ اخبار القرامطة (ص ٧٦) .
(٥) المرجع السابق (ص ٧٤) .
(٦) اخبار مكة للحنفى (ص ١٥٠ - ١٥١) .

ولقب غلاما من اهله المطوق وقلده قتل اسرى المسلمين (١).

وذكر ان ابى الازهر فى تاريخه انه سأل ابا المحمدين عن هذه الشخصية الغامضة " المطوق " فذكر انه رجل من اهل الموصل وانه صار الى الامام بزعمه فجعل يورق له ويسامره ولم يعرف قبل ذلك الوقت (٢).

قام الحسين باحداث دامية ومؤلمة تفوق من سبقه فبعد ان تجمع لديه الاتباع من ابطال السلب والنهب ضرب الحصار على دمشق ولم يفك الحصار حتى صالحه اهلها على خراج دفعوه اليه وانصرف عنهم (٣).

غير ان النيسابورى يذكر ان اهل حمص كتبوا الى الحسين قائلين له " اقدم علينا ودع دمشق فانا فى طاعتك " فقدم الى حمص بالعساكر وخلى عن دمشق (٤).

ومن هنا يتضح ان اهل حمص عندهم من الاستعداد لقبول دعوة القرمطى الامر الذى دفعهم بطلب قدومه اليهم وترك دمشق واعلان طاعتهم له وقد قوبل الحسين بمظاهر الترحيب يصف النيسابورى ذلك بقوله :

ولما قدم ابو مهزول الى حمص اطاعوه وسمعوا له . وقدم اليه مشايخ البلد فى حمص وحماة مرحبين به حتى ان كبير دعاة المهدى ابو الحسين بن الاسود قدم مع من قدم من مشايخ حماة لاعلان ولائهم للحسين بن زكرويه والسلام عليه (٥). كما ان الخطباء كانوا يرددون هذا الدعاء فى الخطبة " اللهم اهدنا بالخليفة الوارث المنتظر المهدى صاحب الوقت امير المؤمنين المهدى

---

(١) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٠٥) .
(٢) تاريخ اخبار القرامطة لثابت وابن العديم (ص ٧٦ - ٧٧) .
(٣) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٠٤) ، العبر لابن خلدون (٤ : ١٨٥) ، البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٩٦) ، المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٣٨) ، العيون والحدائق لمجهول (ص ١٨٤) .
(٤) استتار الامام للنيسابورى (ص ٩٩) .
(٥) المرجع السابق (ص ١٠٠) .

اللهم املأ الارض به عدلا وقسطا ودمر اللهم دمر اعداءه[١]. وهذه الخطبة تدل دلالة واضحة على ان اهل حمص كانوا بانتظار الحسين بن زكرويه وانه هو الامام المهدى المنتظر وسبق ان ذكرنا انه مهد لذلك بادعاء الانتساب الى اسماعيل بن جعفر وقد اقرهم الحسين على مافى هذه الخطبة من النعوت والالقاب التى تدعو الى الاقرار والمناداة به اماما واميرا لهم . وعدل مايحتاج فى الخطبة الى تعديل فاصدر امره بأن لا يدعو عليهم بل يدعوا لهم بالهداية والطاعة لامره وان يجعل اعداءه له خاضعين وينصره على كل من يعاديه[٢]. كما ان هذا التعديل يدل على ان القرمطى يحاول كسب قلوب الاعداء والتقرب الى اهالى بقية المدن السورية التى انتشرت فيها الدعوة الاسماعيلية .

الحسين بن زكرويه والامام العبيدى "عبيد الله المهدى" .

قام الحسين بن زكرويه باحداث دامية مع مركز الدعوة الاسماعيلية فى سلميه وذلك بالخروج على الامام الاسماعيلى ومطاردته للقضاء عليه وماتبع ذلك من دخوله سلميه وتنكيله باقرباء المهدى وسوف اتابع خطواته مستندا فى ذلك على كتاب استتار الامام[٣] وبعض الكتب التاريخية الاخرى .

يحدثنا النيسابورى بتفصيل دقيق عن هذه الحادثة قائلا[٤]: ان اول

---

(١) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (٢٠) .

(٢) تاريخ اخبار القرامطة لابن سنان (ص ٢٠) .

(٣) هذا الكتاب نشره المستشرق الروسى ايفانوف وهو من الكتب التى يحتفظ بها الاسماعيلية (البهرة) بالهند ولا يسمحوا لاحد بالاطلاع عليه الا لاتباع المذهب وبالرغم من ذلك فقد نشره ايفانوف وترجمه الدكتور محمد كامل حسين فى مجلة كلية الاداب سنة ١٩٣٦م وينسب الى رجل اسماعيلى عاش فى اواخر القرن الرابع الهجرى واسمه احمد النيسابورى .

(٤) سوف اقتصر على النقاط الاساسية بالحادثة لطول كلامه فى ذلك .

ماعمل المهدى[1] ان نصب ابا الحسين الاسود حجة له فقال له قد قدمتك على جميع الدعاة فمن قدمت فهو المقدم ومن اخرت فهو المؤخر .. فأول ماعمل ابى الحسين خلع ابا القاسم[2] عن دعوة الكوفة فغضب ابو القاسم واخوته[3] غضبا شديدا فكتبوا الى المهدى كتابا يقولون فيه : لم نزع منا أبوالحسين دعوة الكوفة بلا ذنب ولا خيانة فلم يرد عليهم المهدى جوابا واجتمع الاخوة الثلاثة وتحالفوا وتعاقدوا على انهم ينحدرون الى سلمية فيقتلون ابن البصرى[4] هذا الذى كلف ابا الحسين ان يفعل بنا هذا الفعل ولا نتركه .

فعلم المهدى بذلك عن طريق الدعاة المنتشرين فامر المهدى بالرحيل ولم يأخذ معه سوى ولده واثنين معه تاركا قصره بما فيه من الاموال والعبيد وباقى اسرته واقاربه فخرج مستخفيا متنقلا حتى وصل الرملة فاقام فيها اما اولاد زكرويه فوصلوا الى سلمية وطلبوه فلم يجدوه ... ثم استقصوا اخباره وعرفوا مكانه وانه بالرطة مستخف وتفرق الثلاثة فمحمد ذهب الى العراق ويحيى ذهب الى دمشق وحاصرها بعدما انضم اليه كثير من القبائل اما الحسين فقد مضى لمهمتهم الاساسية وهى مطاردة الامام الاسماعيلى وفعلا وصل اليه وعرف الدار التى يسكن فيها عن طريق غلامه جعفر الحاجب فتبعه حتى وصل الى الدار فرحب به المهدى وعظم شأنه فقال الحسين له : يامولانا خرجنا من بلدنا ندور عليك واخى قد حضر دمشق بالعسكر ليأخذها فارجع فقد استقام لك الامر ... فان كنت لا تمضى انت فاكتب لاخى كتابا ليرضى عنى ، فكتب لاخيه كتابا ان ارض عنه .. وانا قادم فى اثر كتابى كما كتب لابى الحسين كتابا وامره ان يدفع لابى مهزول خمسمائة دينار فمضى حتى وصل الى ابى الحسين ودفع له الكتاب .. فدافعه ولم يعطه شيئا ثم مضى الى اخيه بدمشق واخبره بما جرى له واعطاه الكتاب .. ثم عقد يحيى

---

(١) المقصود به امام الاسماعيلية (عبيدالله المهدى) .

(٢) والمراد به يحيى بن زكرويه الاخ الاكبر للحسين بن زكرويه .

(٣) وهم الحسين والفضل ويحيى .

(٤) المراد به الامام العبيدى امام الاسماعيلية والمسمى بعبيدالله المهدى .

البيعة لاخيه الحسين بعده ... ولما تسلم الحسين الامر ودانت له بعض مدن الشام مثل حمص وخطب له على منابرها منادين بامامته جاءه اعيان حمص وحماه وفيهم ابو الحسين داعية المهدى فنظر اليه نظر فغضب ففزع وهرب وتمكن الحسين من احضاره ثم القضاء عليه . ثم بعد ذلك رحل الى سلمية مقر الدعوة الاسماعيلية فاول ماعمل اخذ مشايخ الهاشميين فكبلهم واخرجهم من دورهم الى العسكر وخلى عن طوائف المهدى ولكنه اطلق الهاشميين بتأثير من اتباعه ثم رحل الى دار ابى الحسين بحماة ودور بن عثمان فنهب جميع مافيها للمهدى ولابى الحسين حيث كانت داره خزانة للمهدى . ودارت بعد ذلك بعض المعارك مع العباسيين اكتشف القرامطة من خلال بعض من اسروا من اعيان الجيش العباسى رسائل وجهها الهاشميون الذين بسلمية الى المعتضد ينتصرون به ويقولون له الحق اطفاء النار قبل ان تشتعل . ثم قضى على الهاشميين اثر ذلك ولما كان من الغد بعث خيل العسكر الى دورهم فاحرقوا النساء والصبيان والبنات والاطفال وكان عدد من فعل ذلك به مائة واحدى واربعين نفسا ... ثم بعث الى المهدى كتابا سرا يقول له انى قتلت اعداءك الذين عملوا على خروجك ... فاقدم ولا تتأخر . وكان ذلك مكيدة منه .. فلما قرأ المهدى الكتاب كتب اليه قد احسنت فيما عملته ولو لم تفعل هذا ماكنت من شيعتنا واوليائنا وانا قادم على اثر كتابى هذا فلما قرأ كتابه فرح به واطمعه فيه .... واقام ابو مهزول منتظرا قدوم المهدى وفى هذه الاثناء وصل الى القرمطى خبر ان جيشا من بغداد قادم اليه فامر بخروج العسكر وبقى هو ومعه جماعة لم يخرجوا .. فلما ايس من المهدى وخاف ان يفوته مايريد ......امر بجميع من فى القصر من صغير وكبير من الرجال والنساء فقتلهم كلهم ورمى بهم فى صهريج وكانوا ثمانى وثمانين نفسا[1] . وهكذا نكبت سلمية على يد هذا القرمطى الغادر الذى لم يفلت من ظلمه الصبيان والاطفال والنساء . يصف الطبرى اجرامه الكبير بقوله :

---

(١) انظر استتار الامام للنيسابورى من (ص ٩٦) الى (ص ١٠٥) .

انه قتل اهل سلمية اجمعين وقتل البهائم وصبيان الكتاتيب ثم خرج منهـــا وليس بها عين تطرف[1] . هذا وقد اتفق جمع من المؤرخين على ذكر دخـــول القرمطى الى سلمية ومافعل باهلها من نهب وسلب وقتل وتشريد بـــدأ بالهاشميين وانتهاء بقصر المهدى ومن فيه من ابنائه واخوته واقاربه وعبيـــده وامواله[2] . ان هذه الاحداث تبدو فى بادىء الامر متعارضة ومتشابكـــة لان حركة القرامطة انما تمثل جزءا من الدعوة الاسماعيلية من حيث الاهـــداف والمبـــادىء .

اذن كيف نفسر تصرفات قرامطة الشام واحداثهم مع الامام الاسماعيلى ؟

وللاجابة على هذا السؤال فانى اقول : ان الكثير ممن كتبـــوا عـــن الحركات الباطنية تحدث بعضهم بشىء من الايجاز عن تفسير هذه الاحـــداث وتحليلها وسوف اسرد آراء من تعرضوا لتحليل هذه الاحداث بشىء مـــن الايجاز مبينا ما اتضح لى انه التحليل الصحيح والواقعى لهذه الاحداث .

(١) فبعض الكتاب الاسماعيليين المعاصرين يعتبر هذه الاحداث من جملة الخرافات التى رواها التاريخ والمؤرخون عن القرامطة[3] .

ويقول مصطفى غالب : ان التاريخ لم يسجل اى عداء صريح او اصطـــدام مكشوف بين القرامطة والاسماعيلية . ثم يدلل على ذلك بمسارعة القرامطـــة للحاق بالامام عبيد الله المهدى حتى الرملة فى فلسطين محاولـــين اقناعـــه بالرجـــوع[4] .

وحيث ان هذا الرأى لا يستحق المناقشة فانى سأعرض عنه مكتفيـــا بالاشارة الى ناحيتين :

الاولى : ان اصحاب هذا الرأى لم يتحفونا بالمراجع التى استقوه منها وذلك خلاف المنهج العلمى .

---

(١) الطبرى (٨ : ٢١٨) .
(٢) سأذكر هؤلاء المؤرخين بعد قليل .
(٣) كتاب القرامطة لعارف تامر (ص ١٣٢)، الحركات الباطنية لمصطفـــى
(٤) غالب (ص ١٤١) .
(٤) اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٦٠) .

الثانية : ان كتب التاريخ قاطبة لم تغفل هذه الاحداث فنقل المؤرخون الكثيرعنها بسطا وايجازا[١] حتى ان مخطوطات الاسماعيلية السرية ذكرت ذلك بتفصيل دقيق ولا ادل على هذا من مخطوطة استتار الامام للنيسابورى[٢] الذى ذكر ان ذهاب الحسين الى المهدى واللحاق به - محاولا بذلك اقناعه للرجوع - ماهو الا مكيدة ومؤامرة لقتله والقضاء عليه[٣] . ومع هذا يستدل غالب - بفهم معكوس - بهذه الحادثة على انه لم يقع اى عداء او اصطدام مكشوف بين قرامطة الشام والامام الاسماعيلى ولا اجد دافعا لانكار واخفاء مثل هذه الاحداث الا التعصب البغيض للقرامطة واظهارهم بمظهر المنقذ للبشرية من الظلم والطغيان ودفن ما بينهم وبين الاسماعيلية من خلاف .

(٢) ذكر المستشرق اليهودى لويس ان حركة الهلال الخصيب ماهى الا جزء من الدعوة الاسماعيلية يصرفها الامام المستور وتعمل فى سبيله وان الائمة المستورين خولوا زكرويه وابناءه التسمى بالامامة كى يجسوا النبض ويميطوا العقبات الاولية او انهم قداحيون[٤] .

ولقد ساق لويس نصين مستدلا بهما على ما ذكر :

الاول : من الطبرى حيث يقول ان زكرويه وابناءه زعموا بانهم من ولد محمد بن اسماعيل وانهم مهديون وائمة . ويذكر بان يحيى بن زكرويه ادعى بأن له اتباعا فى افريقية .

والحقيقة ان هذا النص يرد على ما استدل به لويس فنرى زكرويه

---

(١) فذكر ذلك الطبرى فى تاريخه (٨ : ٢١٨) وابن الاثير فى الكامل (٦ : ١٠٥) ، وابن سنان فى تاريخ اخبار القرامطة (ص ٢١ - ٢٢) ، والمقريزى فى اتعاظ الحنفا (١ : ١٧١) ، وابن خلدون فى العبر (٤ : ١٨٥) ، وابن الجوزى فى المنتظم (٦ : ٣٨) .

(٢) سبق ان ذكرت حادثة مطاردة القرامطة للامام الاسماعيلى نقلا عن هذه المخطوطة .

(٣) انظر استتار الامام (ص ٩٦) .

(٤) اصول الاسماعيلية (ص ١٦٤ - ١٦٥) .

وابناءه ينادون على انفسهم صراحة بالامامة وانهم اصحاب حق فيها . وقد اكدوا ذلك بزعمهم انهم من ولد محمد بن اسماعيل .

اما الجزء الثاني من النص وهو ادعاء يحيى بن زكرويه ان له اتباعا في افريقية .

فعبارة الطبري ليست كذلك وانما هي بحروفها كما يلي : وزعم ان له (اى يحيى بن زكرويه) بالسواد والمشرق والمغرب مائة الف تابع .(١)

وهذه الدعوى ماهي الا تأكيد من القرمطي بان له اتباعا وانصارا اعترفوا وآمنوا باحقيته بالامامة على الحركة الاسماعيلية ومما يؤكد ذلك ان الطبري ذكر هذه العبارة بعد ذكره لمزاعم القرمطي الانتساب الى محمد بن اسماعيل لان الامامة من هذا البيت والى اسماعيل هذا تنسب الاسماعيلية .(٢)

الثاني : ماذكره بن سنان في الخطبة التي القيت في حمص وهي بحروفها " اللهم اهدنا بالخليفة الوارث المنتظر المهدي . صاحب الوقت امير المؤمنين المهدي . اللهم املأ الارض به عدلا وقسطا ودمر اللهم دمر اعداءه".(٣)

ان هذه الخطبة خير دليل واضح وصريح على ان الحسين بن زكرويه قد اعلن امامته وانه هو الامام والمهدي المنتظر ولذا يقول ثابت (وخطب له على منابرها) اى للحسين بن زكرويه . ويؤكد ذلك ايضا انه لما دخل حمص اقرهم على ماكانت الخطباء تخطب به من المناداة به اميرا للمؤمنين وامرهم بتغيير آخر الخطبة بالدعاء لاعدائه بالهداية بدلا من الدعاء عليهم(٤) اذن فرأى لويس منقوض بادلته هو فضلا عن الادلة الاخرى التي تناقض رأيه .

---

(١) تاريخ الامم والملوك للطبري (٨ : ٢١٤) .
(٢) انظر الحركات الباطنية لمصطفى غالب (ص ٧١) .
(٣) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٢٠) .
(٤) انظر المرجع السابق من الصفحة نفسها .

(٣) فسر الدكتور محمد كامل حسين التصرفات الوحشية لزعيم القرامطة مع عبيد الله المهدى وآل بيته من الهاشميين . بانها لا تزيد عن حنق عليه وانتقام منه [(١)] .

ان هذا التفسير تعوزه الادلة حيث اننا لو تأملنا خلفيات هذا الانتقام لاتضح لنا المحاولة المركزة من جانب الحسين القرمطى للقضاء على الامام المهدى والقضاء على اسرته من بعده بحيث لا يبقى على احد من سلالته ليتسنى لهؤلاء القرامطة الثوار حمل علم الامامة وتسلمهم له بعد خلو الساحة من امام مهدى ينظم الدعوة ويسيرها . اذن وبعد عرض هذه الاراء ومناقشتها بايجاز وضحت الحقيقة والتفسير لهذه الاحداث . وهى ان حركة القرامطة فى الشام بزعامة الحسين بن زكرويه ماهى الا حركة ثورية تريد القضاء على الامام الاسماعيلى وآل بيته من الهاشميين - كما يدعون - حتى يتسنى لهؤلاء الثوار زعامة الحركة الاسماعيلية وتسيير دفة امورها والادلة على ذلك كثيرة وهى كما يأتى :

(١) سبق ان اشرت فيما مضى الى اخلاص قرامطة البحرين للامام الاسماعيلى عبيد الله المهدى واعتقادهم امامته ولذا فقد رفضوا رفضا واضحا التعاون مع حركة آل زكرويه - رغم الحاجة - فى معاركهم ضد الدولة العباسية باعتبار انهم خارجون على الامام الاسماعيلى .

وكذلك قرامطة العراق لم ينضم منهم الى قرامطة الشام غير نفر قليل والى ذلك يشير ابن الاثير بقوله : " ان زكرويه بن مهرويه سعى فى استغواء من بسواد الكوفة من القرامطة فلم يجبه منهم احد " [(٢)] .

ويقول دى غويه " ان قرامطة العراق وقرامطة البحرين رفضوا الاعتراف بكل ما ادعاه ابناء زكرويه " [(٣)] .

---

(١) مقدمة محمد كامل حسين على نشرة ايفانوف من مجلة كلية الاداب - المجلد الرابع (٢ : ٩١) .

(٢) الكامل لابن الاثير (٦ : ٩٩) .

(٣) قرامطة العراق لمحمد عليان (ص ٨٥) .

ولا شك ان عدم تعاون هؤلاء معهم يؤيد ان قرامطة الشام كانوا على طرفي نقيض مع الامام الاسماعيلي وانهم غير معترفين بامامته عليهم بل انهم كانوا ينادون بامامتهم وانهم اصحاب الحق فيها .

(٢) موقف الامام الاسماعيلي منهم باعتبارهم خارجين على طاعته واوامره ولذا كان حذرا مستريبا منهم ونتيجة ذلك ان كلف حجته ابو الحسين الاسود بعزلهم عن الدعوة وغضبوا لذلك فكتبوا الى المهدى فلم يرد عليهم جوابا فاجتمع الاخوة الثلاثة وتعاهدوا على قتله[١] .

وهذا يؤكد بوضوح المحاولة الجريئة منهم بالقضاء على امام الاسماعيلية حيث انه لا سبيل الى امامة الدعوة الاسماعيلية الا بالقضاء عليه وعلى عقبه .

(٣) الادعاءات المركزة والمتكررة من ابناء زكرويه ـ سواء يحيى او الحسين ـ بانتماءهم الى اسماعيل بن جعفر الصادق وادعاءهم صراحة الامامة . فالحسين القرمطى لما دخل حمص دعا لنفسه وبث ولاته في اعمالها وضرب الدنانير والدراهم وكتب عليها " المهدى المنصور امير المؤمنين "[٢] .

كما كان يكتب الى اجناده وعماله بعبارات تنص على امامته صراحة .

فيروى لنا البكرى عددا من هذه الرسائل وهذا نموذج منها يقول في كتاباته الى اجناده وعماله : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله محمد بن عبدالله المهدى المنصور بالله . الناصر لدين الله . القائم بامر الله . الحاكم بحكم الله . الذاب عن حرم الله . المختار من ولد رسول الله . اميرالمؤمنين وامام المسلمين ومذل الفارقين المارقين . وخليفة رب العالمين . . . . الخ هذه النعوت[٣] . ولا يمكن بحال ان يكون اماما الا بالقضاء على الامام عبيدالله المهدى وتسلم الامامة منه وقد فعل الحسين ذلك فقضى على آل بيت المهدى

---

(١) استتار الامام للنيسابوري (ص ٩٦) .
(٢) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٨٥) .
(٣) المسالك والممالك للبكرى مخطوط ورقة ٢٢١ كما ذكر الطبرى نماذج كثيرة من ذلك (ص ٢٢٢) و (ص ٢٢٣) من الجزء الثامن .

بعد ان اطمأن على بعد المهدى عن الشام وعدم رجوعه اليها ومن ثم نصب نفسه اماما للاسماعيلية واخذت الرسائل من اتباعه تخاطبه بالامامة كما كان هو ينعت نفسه بذلك .

(٤) كانت الخطبة فى المناسبات وعلى المنابر منطلقا من المنطلقات لاثبات البيعة والامامة وقد ركز القرمطى واتباعه على ذلك فكان الخطباء يرددون هذه الخطبة ـ عند تغلب الحسين بن زكرويه على حمص ـ "اللهم اهدنا بالخليفة الوارث المنتظر المهدى صاحب الوقت امير المؤمنين المهدى اللهم املأ الارض به عدلا وقسطا . . . "(١) .

كما ان اتباعه يضفون عليه المهابة التى تحاط عادة بالائمة ويتحرجون من اطلاق بعض الالفاظ عليه . فعندما قبض على الحسين ومعه المطوق والمدثر وسأله الوالى هل اخذ منه شىء قال المطوق : ا تبغى من الامام مالا يحسن منه الاقرار به . وعندما دعى الخياط ليقطع للقرمطى ثيابا قال له قم حتى اقدر الثوب عليك فقال المطوق للخياط : اتقول يا ابن اللخناء للامام قم (٢) . وقد نقل الطبرى كتاب عامل من عماله ارسله الى الحسين القرمطى فيه من النعوت والاوصاف مالا يطلق مثلها ـ عند الاسماعيلية ـ الا للائمة (٣) .

ومما مضى يتضح ان هدف قرامطة الشام زعامة الدعوة وحمل علم الامامة وبعد طرد الامام على يد الحسين بن زكرويه اعلن امامته واخذ يعيث فى الارض فسادا . ونكبت به بلاد الشام بنشره الفزع والهلع بين اهلها كى يدخلوا فى طاعته .

يصف ابن سنان المآسى التى عملها فى بعلبك حينما مر عليها قائلا : انه استباح اهلها وقتل الذرارى ولم يبق شريفا لشرفه ولاصغيرا لصغره ولاامرأة لحرمها وقتل اهل الذمة . وفجروا بالنساء ـ ثم يضيف ابن سنان

---

(١) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٢٠) .
(٢) تاريخ اخبار القرامطة لثابت ابن سنان (ص ٧٧) .
(٣) تاريخ الامم والملوك للطبرى (٨ : ٢٢٣ - ٢٢٤) .

قائلا : وحدثني من كان معهم قال : رايت عصاما سيافه وقد اخذ من بعلبك امرأة جميلة جدا ومعها طفل لها رضيع فرأيته والله وقد فجر بها ثم اخذ الطفل بعد ذلك فرمى به نحو السماء ثم تلقاه بسيفه فرمى به قطعتين . ثم عدل الى امه بذلك السيف بعينه فضربها به فبترها (١) .

وذكر ابن المهذب المعرى فى تاريخه ان القرمطى قتل بمعرة النعمان بضعة عشر الفا واقام بها ينهب ويحرق ويقتل خمسة عشر يوما (٢) .

ويقول المقريزى عنه (٣) : انه لم يمر بقرية الا اخربها ولم يدع فيها احدا فخرب البلاد وقتل الناس ولم يقاومه احد وفنيت رجال طغج وبقى فى عدة يسيرة فكانت القرامطة تقصد دمشق فلا يقاتلهم الا العامة وقد اشرفوا على الهلكة .

ومن الطبيعى ان هذه المجازر الوحشية التى سببت اشاعة الخوف والرعب والفوضى وتخريب البلاد ان تقض مضاجع الناس وتجعلهم يعيشون فى قلق ورعب مما دفعهم الى الكتابة الى الوالى العباسى يشكون منه مالقوا من الحسين بن زكرويه وانه خرب البلاد وقتل الناس جميعا بحيث لم يبق منهم الا عدد يسير وخاصة اهل الشام (٤) .

ولما اتصل عظيم خبرهم بالخليفة خرج بنفسه ومعه القواد والموالى والغلمان والجيوش وصار الى الرقة واقام بها وانفذ الجيوش نحو القرامطة وقلد القاسم بن عبيد الله بن سليمان تدبير امر هذه الجيوش فوجه القاسم محمد بن سليمان خليفة له على جميع القواد وامرهم بالسمع والطاعة (٥) .

هذا وقد تعددت الجيوش على القرمطى وكان اول حولة مع القرمطى ان المكتفى ارسل جيشا عدته عشرة آلاف مقاتل يقوده قائدهم ابو الاغر السلمى

---

(١) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٧٤ - ٧٥) .
(٢) تاريخ ابن الوردى (١ : ٣٤٧) .
(٣) اتعاظ الحنفا (١ : ١٧١) .
(٤) العيون والحدائق لمجهول (٤ : ١٨٥) .
(٥) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٧٥) .

فمضى ابو الاغر الى حلب فنزل وادى بطنان قريبا من حلب ونزل معه جميع اصحابه فنزع جمع منهم ثيابهم ودخلوا الوادى يتبردون بمائه وكان يوما شديد الحر فبينا هم كذلك اذ وافى جيش القرمطى فكبسهم على تلك الحال فقتل منهم خلقا كثيرا قدر بتسعة آلاف وافلت منهم الف رجل دخلوا حلب وتحصنوا فيها(١) .

ولما سمع الخليفة بما جرى لابى الاغر سارع لنجدته كما اسرع الطولونيون بارسال العساكر من مصر يقودها بدر الحمامى(٢) .

وهكذا اجتمعت القوات العباسية مع العساكر المصرية على الحسين القرمطى فساروا اليه فالتقوا على اثنى عشر ميلا من حماة فى موضع بينه وبين سلمية فاشتدت الحرب بينهم وصدقوهم القتال ومنح الله من اكتافهم وقتل منهم واسر اكثر من عشرة آلاف رجل وشرد الباقون فى البوادى ولما رأى القرمطى ذلك ورأى من بقى من القرامطة قد كاعوا عنه حمل اخا له يكنى ابا الفضل مالا وتقدم اليه ان يلحق بالبوادى الى ان يظهر فى موضع آخر فيصير اليه(٣) .

ولما اجتمع اليه من افلت اخذ يعاتبهم على الهزيمة ويقول لهم "اتيتم من قبل انفسكم وذنوبكم وانكم لم تصدقوا الله"(٤) .

وبعد ذلك فر منهزما فى نفر من اصحابه يريد الكوفة فاخذ بقرية تعرف بالدالية من مسقى الفرات وحمل الى بغداد واشهر وطيف به على بعير ثم بنيت له دكة فقتل عليها هو واصحابه الذين اخذوا معه يوم الاثنين لسبع بقين من شهر ربيع الاول من سنة احدى وتسعين ومائتين(٥) .

غير ان اخاه ابا الفضل ظهر بالدالية من طريق الفرات واجتمع اليه نفر من الاعراب والمتلصصة فسار بهم نحو دمشق وحارب اهل تلك الناحية

---

(١) تاريخ الامم والملوك للطبرى (٨ : ٢٢١ - ٢٢٢) ، العيون والحدائق لمجهول (ص ١٨٥) .

(٢) شذرات الذهب لابن العماد (٢ : ٢٠٢) .

(٣) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٧٥) .

(٤) اتعاظ الحنفا (١ : ١٧٢) .

(٥) تاريخ اخبار القرامطة (ص ٩٠) .

فندب للخروج اليه الحسين بن حمدان فخرج فى جماعة كثيرة من الجند ولكن القرمطى هزمه وسار الى هيت وحرقها بالنار بعد قتل اهلها .

ثم صار الى طبرية فامتنعوا من ادخاله فحاربهم حتى دخلها فقتل عامة من بها من الرجال والنساء ونهبها .

ثم انصرف الى ناحية البادية فانفذ المكتفى جيشا عظيما فخاف اصحاب القرمطى احاطة الجيوش بهم فقتل رجل منهم يعرف بابى الذيب ابا الفضل غيلة وحمل رأسه الى المكتفى[1] .

بقى من رجالات الحسين بن زكرويه صاحبه القاسم بن احمد الذى استخلفه على من بقى من القرامطة بعد هزيمتهم وقال لهم انى مستخلفه عليكم وكتبى ترد عليه بما يعمل فاسمعوا واطيعوا ، ولكنه - ابى القاسم - هرب الى سواد الكوفة وقابل زكرويه بن مهرويه فاخبره بخبر القوم الذين استخلفه ابنه عليهم وانهم اضطربوا فخافهم وتركهم . فلامه زكرويه على قدومه لوما شديدا وقال له :

" الا كاتبتنى قبل انصرافك الى ؟ " ثم ان زكرويه اعرض عنه مستعينا برجل آخر من اصحابه[2] .

ويعزل هذا الرجل الذى اعتبره زكرويه غير صالح للدعوة ينتهى دور الحسين بن زكرويه ويخرج الاب من مخبأه لزعامة الحركة بعد ان قضى على ابنائه الثلاثة .

---

(١) تاريخ الامم والملوك للطبرى (٨ : ٢٣٦) ، شذرات الذهب (٢ : ٢٠٧) .
(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٧٢ - ١٧٥) .

(٣) زكرويه بن مهرويه

لم يكن قتل ابناء زكرويه الثلاثة نهاية المطاف مع حركة قرامطة الشمال لان الحركة تسير بتوجيه من زكرويه بن مهرويه الذى اعتبر ابنائه كمقدمة لخروجه وحملهم مسئولية الدعوة وقيادتها قبل الخروج .

وقبل الحديث عن ظهوره ثانية على مسرح الاحداث لابد من استعراض لجهوده فى الدعوة قبل اختفائه وماحدث بعد ذلك من قتل عبدان - خليفة حمدان قرمط - وماتلى ذلك من استتاره وتوجيهه للدعوة سرا من مخبأه .

فنقول ان زكرويه بن مهرويه كان من اوائل المعتنقين للدعوة القرمطية حيث كان داعية لقرمط[1] ومن تلامذته[2] .

يقول عنه المقريزى : انه واحد من اتباع عبدان . وكان شابا ذكيا فطنا من قرية بسواد الكوفة على نهر هد ولذا فقد نصبه عبدان على اقليم هذا النهر وماوالاه .

ويعتبره المقريزى من رؤساء دعاة عبدان حيث كان له دعاة متفرقون يعملون تحت يده وباشرافه[3] .

كما كان ابوه مهرويه بن زكرويه السلمانى من اتباع الدعوة الاسماعيلية الاوائل ومن كبار رجالها فهو ممن استجاب الى حمدان قرمط . ويصفه المقريزى بانه احد الدعاة الذين صارت لهم مرتبة فى الثقة والدين وانه عظم قدره فى اعين الناس[4] .

ولشعورهم بهذه الاصالة فى الدعوة وجهودهم فى نشرها كانوا يترقبون مركزا فى عالم الدعوة الاسماعيلية دفعهم ذلك الى المؤامرة فى قتل عبدان

---

(١) تاريخ الطبرى (٨ : ٢١٤) ، العيون والحدائق لمجهول (ص ١٧٩) .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٢٦٧) .

(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٥٥) .

(٤) المرجع السابق (ص ١٥٥ - ١٥٦) .

خليفة حمدان قرمط لان زكرويه يرى احقيته عليه .

هذا وقد اتفق زكرويه مع جماعة من قرابته وثقاته على قتل عبدان وقال لهم : ان عبدان قد نافق وعصى وخرج من الملة . فبيتوه ليلا وقتلوه[(١)] .

وقد سبب ذلك غضب القرامطة عليه ومطاردتهم له للانتقام منه . والى ذلك يشير المقريزى بقوله : وطلب الدعاة واصحاب قرمط زكرويه بن مهرويه ليقتلوه فاستتر[(٢)] .

اما موقف زعماء الاسماعيلية فتشير بعض المصادر الاسماعيلية الى انهم عندما بلغهم خبر مقتل عبدان خلعوا آل زكرويه واقصوهم عن رئاسة الدعوة بالكوفة وقد ذكر النيسابورى ذلك بعد ذكره قتل زوج اختهم بحجة انه مبغض لهم ومخالف لمولاهم[(٣)] .

ولما شعر زكرويه بانه معرض للقتل فر مختبئا الى بادية الشام وبدأ ينشر الدعوة بين الاعراب بواسطة ابنائه الذين تحدثنا عنهم فيما مضى . اما هو فقد اختفى فى جب تحت الارض وانقطع فيه سنين طويلة[(٤)] .

يقول احد القرامطة عنه انه بقى مختفيا فى منزلى وقد اعد له سرداب تحت الارض عليه باب حديد وكان لنا تنور فاذا جاءنا الطلب وضعنا التنور على باب السرداب وقامت امرأة تسجنه فمكث زكرويه كذلك اربع سنين فى ايام المعتضد ثم انتقل من منزلى الى دار قد جعل فيها بيت وراء باب الدار فاذا فتح الباب انطبق على باب البيت فيدخل الداخل فلا يرى باب البيت الذى هو فيه فلم تزل هذه حاله حتى مات المعتضد[(٥)] .

وكان لهذا الاستتار اثر بالغ فى حماس القرامطة فى معاركهم وحروبهم كما انه اضفى على زكرويه شيئا من الهيبة عند اتباعه ولا يبعد ان يكون هذا

---

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٦٨) .
(٢) المرجع السابق بنفس الصفحة .
(٣) استتار الامام للنيسابورى (ص ٩٦) .
(٤) فابن خلدون يقدرها بعشرين سنة . العبر (٤ : ١٨٧) ، وعريب يقدرها باربع سنوات (ص ٨) .
(٥) صلة تاريخ الطبرى لعريب (ص ٨) .

الاستتار كان مدعاة للتبشير بظهوره كامام للاسماعيلية حيث ان دعوة ابنائه من قبله بنيت وتعددت اطوارها على هذا الاساس . وقد مهد لذلك بادعائه انه حجة الامام المنتظر وان الحجة الاولى قد توفى وهو ابنه الذى يقوم مقامه (١) كما يشير الطبرى الى ذلك بقوله :

واعلمهم ان مما اوحى اليه ان المعروف بالشيخ واخاه يقتلان وان امامه الذى يوحى اليه يظهر بعدهما ويظفر (٢) .

هذا ولم يكن اختفاؤه حائلا بينه وبين توجيه الدعوة ومتابعة احداثها فنجده يرسل الدعاة من منفاه سرا الى البادية للتبشير به وبامامته ، ومن ابرز هؤلاء الدعاة رجل من اصحابه يقال له محمد بن عبد الله بن سعيد ويكنى بأبى غانم . ولكنه - على منهج آل زكرويه فى التمويه - تسمى نصرا ليعمى امره وكلفه زكرويه بالذهاب الى احياء كلب ودعوتهم . فدار عليهم ودعاهم (٣) .

يصف الطبرى مدى استجابة هؤلاء لهذا الداعية بقوله : فلم يقبله منهم احد سوى رجل من بنى زياد يسمى مقدام بن الكيال حيث استغوى له طوائف من الاصبغيين المنتمين الى الفواطم وسواقط من العليصيين وصعاليك من سائر بطون حلب (٤) .

فسار بهم نحو الشام مستغلا انشغال الخليفة المكتفى بالمعارك فى مصر - حتى وصل الى بصرى واذرعات فحارب اهلها وسبى ذراريهم واخذ جميع اموالهم وقتل مقاتلتهم .

ثم سار يريد دمشق فخرج اليه جيش مع صالح بن الفضل فظهروا عليه وقتلوا عسكره واسروه فقتلوه ، وهموا بدخول دمشق فدافعهم اهلها فمضوا الى طبريه فنهبوها وقتلوا وسبوا النساء (٥) .

---

(١) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٧٠) .
(٢) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٣١) .
(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٧٥) .
(٤) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٣٦) .
(٥) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٧٥) .

وبعد ازهاق هذه الارواح وتخريب البلاد نرى اباغانم ومن معه من القرامطة لا يستقر لهم قرار مما دفع بالمكتفى الى ارسال عدة من الجيوش والقواد واخيرا لما احس القرامطة بتضييق الخناق عليهم ائتمروا بصاحبهم المعلم فوثبوا عليه وفتكوا به وتفرد بقتله رجل من اتباعه يقال له الذئب بن القائم (١).

وكان لقتل هذا الزعيم اثر كبير فى هزيمتهم وتفرقهم حيث ان قوما من بنى كلب انكروا فعل الذئب وقتله المعلم ورضيه آخرون فاقتتلوا قتالا شديدا (بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) (٢).

وعلى اثر ذلك افترقوا فرقتين .

فرقة رضيت بقتل ابى غانم فصاروا الى موضع يسمى عين التمر وهؤلاء ارسلوا وفدا الى السلطان العباسى يعتذرون مما كان منهم ويسألون اقرارهم فى جوار بنى اسد فاجيبوا الى ذلك .

اما الفرقة الثانية فقد تخلفت فانفذ زكرويه اليهم داعية له من اكره اهل السواد يسمى القاسم بن احمد (٣) فلما قدم عليهم جمعهم ووعظهم وقال : انا رسول وليكم وهو عاتب عليكم فيما اقدم عليه الذئب بن القائم وانتم قد ارتددتم من الدين . فاعتذروا وحلفوا ماكان ذلك بمحبتهم واعلموه بما كان بينهم من الخلف والحرب فقال لهم :

" قد جئتكم الان بما لم يأتكم به احد تقدمنى . يقول لكم وليكم : قد حضر امركم وقرب ظهوركم ..... الخ " (٤).

واخذ زكرويه يمنيهم بالمزاعم الكاذبة عن طريق داعيته القاسم بن احمد

---

(١) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٣٨) ، دول الاسلام للذهبى (١ : ١٧٧) ، التنبيه والاشراف للمسعودى (ص ٣٢٥) ، اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٧٦) .

(٢) سورة الحشر

(٣) سبق ان خلفه الحسين بن زكرويه على بقية القرامطة المنهزمين وقد تركهم حينما شك فى اخلاصهم وجاء الى زكرويه فبقى عنده حتى ارسله فى هذه المرة .

(٤) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٣٨) ، اتعاظ الحنفا (١ : ١٧٦) .

الذى يباشر الامور ويتولاها[١] .

فزعم ان له بالكوفة اربعين الف رجل وفى سوادها اربعمائة الف رجل وان يوم موعدهم الذى ذكره الله فى كتابه فى شأن موسى صلى الله عليه وسلم وعدوه فرعون اذ يقول : " موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى "[٢] .

وهكذا اخذ يموه عليهم ويمنيهم ليقوى مزاعمهم حيث شعر بضعف اتباعه امام الجيوش المتلاحقة فى الشام . ولذا نراه يأمرهم بترك بلاد الشام ويطلب منهم التحول نحو الجنوب . يقول الطبرى : انه امرهم ان يخفوا امرهم ويظهروا الانقلاع نحو الشام ويسيروا نحو الكوفة[٣] .

حاول القرامطة غزو الكوفة سنة ٢٩٣ هـ لكنهم لم يتمكنوا من فتحها حيث ان خطتهم الاجرامية ان يشنوا غارتهم على اهل الكوفة وهم فى صلاة العيد . ولكن الله عز وجل خيب آمالهم حيث ناموا ولم توقظهم الا الشمس لطفا من الله بالناس فلم يصلوا الى الكوفة الا وقد انقضت الصلاة وانصرف الناس وهم متبددون فى ظاهر الكوفة[٤] . وهكذا تبددت تلك المزاعم والادعاءات شأن المموهين والكذابين .

ظهور زكرويه من مخبأه .

حظى القاسم بن احمد عند زكرويه واحتل مكانة لديه بحيث اصبح يتولى الامور ويمضيها على رأيه ولما حضر معه جماعة من دعاته وخاصته اعلمهم - اى زكرويه - ان القاسم بن احمد اعظم الناس عليهم منة وانه ردهم الى الدين بعد خروجهم منه وانهم اذا امتثلوا امره انجز مواعيدهم وبلغهم آمالهم[٥] .

---

(١) العبر لابن خلدون (٤ : ١٨٧) .
(٢) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٣٨) . والاية من سورة طه .
(٣) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٣٨) .
(٤) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٧٧) .
(٥) تاريخ الطبرى (١ : ٢٤١) .

اما القاسم بن احمد فقد مهد لخروج زكرويه من مخبأه بمبالغته في وصفه . وكان ذلك مما اضفى عليه شيئا من الهيبة . يروى المقريزى :ان القاسم ابن احمد لما ظهر زكرويه من مخبأه قال للعسكر " هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الذى تنتظرونه" ولذا نجد هؤلاء الجهلة المستعبدين يترجلون له ويلصقون خدودهم بالارض ويطوفون به ويضربون له مضربا عظيما" [(١)].

ويصف ابن سنان لحظة لقاء زكرويه بانصاره قائلا :" فلما استخرجوه حملوه وسموه ولى الله ولما رأوه سجدوا له " [(٢)].

ان هذا الاستعباد والتذلل والخضوع مهانة وذلة بل انه كفر والحاد فلا يستحق اى مخلوق مهما كان امره ومقامه ان تحنى له الرؤوس او تذل له النفوس . فالعبودية التى ترفع الانسان ليست عبودية البشر بعضهم لبعض انما هى العبودية لله عز وجل .

ومما زادنى شرفا وتيها	وكدت باخمص اطأ الثريا
دخولى تحت قولك ياعبادى	وان صيرت احمد لى نبيا

وهكذا كلما ابتعدت الامة عن منهج الله عز وجل ذلت وخضعت للطواغيت والاصنام البشرية . وما تصرفات القرامطة مع رئيسهم زكرويه الا مثال بارز لذلك يقول الطبرى فى شأنهم :

واعترف لزكرويه جميع من رسخ حب الكفر فى قلبه من عربى ومولى ونبطى وغيرهم انه رئيسهم المقدم وكهفهم وملاذهم وايقنوا بالنصر وبلوغ الامل وساربهم وهو محجوب عنهم يدعونه السيد ولا يبرزونه لمن فى عسكرهم [(٣)].

كما ان القرامطة اظهروا فى لقائهم بزكرويه من الحماسة والسرور - شأن النفوس الضعيفة - ماجعله يوما خالدا ولذا فان احد المستشرقين يرى

---

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٧٧) .

(٢) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٢٠) .

(٣) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٤١) .

ان حماس القرامطة فى هذا اليوم لم يبلغ مثله فى يوم من الايام وانه كان منقطع النظير [١].

ووصف زكرويه بانه صاحبهم ووليهم الذى ينتظرونه وما اقترن بذلك من السجود والخشوع له واضفاء الهيبة عليه يؤيد ماذكرناه سابقا من ادعاء الامامة ومما يؤكد ذلك ايضا ان زكرويه زعم ان احمد بن محمد بن الحنفية قد بشر به [٢] كما ان من الناس من يسميه بالحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق [٣].

كان ظهور زكرويه من مخبأه ايذانا بحرب دموية تمتاز عن ماقبلها بالضراوة والوحشية فكانت اول جولة مع الجيش العباسى فى قرية تسمى الصوأر " فسير المكتفى جيشا عظيما [٤] والتحم جيش الخليفة مع زكرويه والقرامطة فى يوم الاثنين لتسع بقين من ذى الحجة سنة ٢٩٣ هـ واشتدت الحرب بينهم ودارت الدائرة اول النهار على القرمطى واصحابه حتى كاد جيش الخليفة ان يظفر بهم . وكان زكرويه قد كمن عليهم كمينا من خلفهم ولم يشعروا به فلما انتصف النهار خرج الكمين على السواد فانتهبه ورأى اصحاب السلطان السيف من ورائهم فانهزموا اقبح هزيمة ووضع القرمطى واصحابه السيف فى اصحاب السلطان فقتلوهم كيف شاءوا وغنموا سوادهم ولم يسلم من رجال الخليفة الا من دابته قوية او من اثخن بالجراح فوضع نفسه بين القتلى واخذ للخليفة من هذا المعسكر اكثر من ثلاثمائة جمازة عليها المال والسلاح وقتل سوى الغلمان ومن كان فى السواد الف وخمسمائة رجل ، وقويت القرامطة بهذه الغنائم [٥].

ولما بلغ المكتفى خبر هذه الوقعة اعظمها فخاف على الحاج وبعث محمد ابن اسحاق لحفظ حجاج بيت الله وضم اليه خلقا عظيما وطلب القرامطة [٦].

---

(١) قرامطة العراق (ص ١٠١) .
(٢) العبر لابن خلدون (٤ : ١٨٢) .
(٣) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ١٠١) .
(٤) اتعاظ الحنفا (١ : ١٨٧) .
(٥) الكامل لابن الاثير (٦ : ١١٤) ، تاريخ الامم والملوك للطبرى (٨ : ٢٤٠) .
(٦) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٧٨) ، تاريخ بن سنان (ص ٣٠) .

ولكن زكرويه سلك سبيل التنقل وعدم البقاء فى مكان معين فنجده يرحل من مكان المعركة السابقة الى نهر المثنية ومن ثم يرحل فى سنة اربع وتسعين ومائتين فى المحرم من نهر المثنية الى طريق الحاج ليبدأ فترة مليئة بالقتل والسلب والنهب لحجاج بيت الله الحرام ولنترك المؤرخين ليحدثونا عن اعماله الرهيبة التى بلغت من الوحشية والاجرام حدا لا يطاق بحيث لم يبق دار فى بغداد والكوفة وجميع انحاء العراق الا وفيها مصيبة وعبرة سائلة وضجيج وعويل .(١)

سار القرامطة من جهة المشرق حتى صاروا بماء يسمى سلمان فاقاموا بهذا الموضع يريدون قوافل الحجاج وكان لهم ثلاث قوافل :

اما الاولى : فوافت واقصة فانذرهم اهلها واخبروهم ان بينهم وبين القرامطة اربعة اميال فارتحلوا ولم يقيموا فنجوا اما القرمطى فصار الى واقصة فسألهم عن القافلة فاخبروه انها لم تقم عندهم فاتهمهم بانذارهم فقتل من الفلاحين بها جماعة وتحصن اهلها فى حصنهم فاقام بها اياما ثم رحل .(٢)

اما قافلة الخراسانية فقد اعترضهم زكرويه بالعقبة من طريق مكة فحاربهم حربا شديدا فلما رأى شدة بأسهم وانه لا طاقة له بهم سألهم هل فيكم نائب السلطان فاجابوه مامعنا احد فقال : لست اريدكم . وقد اطمأنوا لقوله وساروا فكر عليهم فى سيرهم واعمل فيهم السيف فلم ينج منهم احد الا الشريد وغنم ماكان معهم من زاد ومال وسبى النساء وشنع بالشيوخ والاطفال .(٣)

اما الجيش العباسى فقد لقيه بعض المنهزمين واخبروا قائده بالواقعة وقالوا له مابينك وبينهم الا القليل والليلة اوفى غد توافى القافلة الثانية فان رأوا علما للسلطان قويت نفوسهم والله الله فيهم - وكانت النتيجة المخزية - ان رجع القائد العباسى من ساعته وامر من معه بالرجوع وقال لا اعرض اصحاب السلطان للقتل .(٤)

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزى (ص ١٧٩) .

(٢) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٤٤) .

(٣) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٣٢) .

(٤) تاريخ الامم والملوك للطبرى (٨ : ٢٤٤) .

اما القافلة الثانية : فان زكرويه رحل عن واقصة بعد ماغورمياهها وملأ بركها وابارها بجيف الابل والدواب ووردوا منزل العقبة فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة خلت من المحرم فحاربهم اصحاب القافلة وجرت بينهم حرب شديدة اسفرت عن هزيمة الحجاج حيث وضع القرامطة السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم الا من استعبدوه ولحقوا المفلتة منهم فاعطوهم الامان فرجعوا فقتلوهم اجمعين وسبوا من النساء من احبوا وجمع القتلى فوضع بعضهم على بعض حتى صاروا كالتل العظيم .

وكان نساء القرامطة يطفن مع صبيانهم فى القتلى يعرضون عليهم الماء فمن كلمهم اجهزوا عليه .(١)

ويقدر ابن العماد عدد القتلى فى هذه المعركة بعشرين الفا وان الجيش القرمطى اخذ من الاموال ماقيمته الفى الف دينار .(٢)

وبعد ذلك رحل زكرويه فلم يدع ماء الا طرح فيه جيف القتلى وبث الطلائع امامه ووراءه خوفا من اصحاب السلطان المقيمين بالقادسية ان يلحقوه ومتوقعا ورود القافلة الثالثة التى فيها الاموال والتجار .(٣)

ويذكر المقريزى ان هذه القافلة كان فيها القواد والشمسة - وقد جعل المعتضد فيها جوهرا نفيسا - ومعهم الخزانة ووجوه الناس والرؤساء ومياسير التجار . وفيها من انواع المال مايخرج عن الوصف .(٤)

وافت هذه القافلة القرامطة فى موضع يسمى الهبير فحاربوه يومهم الى الليل ثم انصرف عنهم فلما اصبح عاودهم القتال فلما كان فى اليوم الثالث عطش اهل القافلة وهم على غير ماء فاقتتلوا ثم استسلموا فوضع فيهم السيف فلم يفلت منهم الا اليسير واخذوا جميع مافى القافلة .(٥)

---

(١) المرجع السابق (ص ٢٤٥) .
(٢) شذرات الذهب لابن العماد (٢ : ٢١٥) .
(٣) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٤٦) .
(٤) اتعاظ الحنفا (١ : ١٧٨) .
(٥) المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٦٠) .

ويقول المسعودى ان عدة من قتل فى هذه القافلة الاخيرة اكثر من خمسين الفا دون من قتل قبلها من اهل القوافل [١].

وبعد سياق هذه الاحداث الرهيبة التى كان نتيجتها قتل مايقرب من مائة الف مسلم على يد هذا المجرم السفاك - اخلص الى امرين هما :

(١) ان القرامطة فى هجومهم على الحجاج لم يكن هدفهم الغنائم فقط فقد قضوا على العجزة والشيوخ والاطفال والنساء . كما لم يكن هدفهم فقط اظهار العباسيين بمظهر الضعف والهوان [٢].

انما كان هدفهم محاربة المسلمين والقضاء على من يؤدى فريضة الاسلام لانهم يتلقفون جميع الحجاج دون تفريق بين حجاج العراق وحجاج مصر او حجاج خراسان . والاحداث تؤكد انهم اعتدوا على قافلة باكملها للخراسانيين [٣] كما نهبوا اموال الطولونيين وهم حجاج مصر [٤].

وما المحاولة الجادة والمستمرة بقطع طرق الحجاج وتتبعهم قتلا ونهبا وتشريدا فى كل مكان وكل سنة الا فى سبيل هذا الهدف الذى ذكرناه آنفا .

ومما يؤكد ذلك انه لما فشلت القرامطة فى قطع المسلمين عن حجهم نجدهم يقترفون المنكر الاكبر الذى لم يسبق له نظير فى تاريخ المسلمين فيهاجمون مكة وحجاجها سنة ٣١٧هـ ويقتلون المسلمين ويسعون لنقض الكعبة ونقلها ولكن اللهعز وجل " متم نوره ولو كره الكافرون " [٥].

(٢) ان الجيش العباسى لم يكن جادا فى حماية الحجاج وجهاد القرامطة فحينما علم القائد للجيش بقربه من القرامطة ووصول قافلة الحجاج الثانية

---

(١) التنبيه والاشراف للمسعودى (ص ٣٢٦) .

(٢) كما ذكرت باحثة عن القرامطة واسمها فضيلة الشامى وعنوان رسالتها الخلفية العقائدية لحركة القرامطة (ص ١٢١) .

(٣) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٣٢) .

(٤) المرجع السابق (ص٣٣) .

(٥) سورة الصف : ٨ .

نجد انه يولى راجعا من ساعته بحجة عدم تعريض اصحاب السلطان للقتل (١) .

ويالها من مصيبة وحسرة ان المسلمين يقتلون ـ ولا سيما العزل الذين ادوا فريضة ربهم ورجعوا الى ديارهم ـ ولا يهب لنجدتهم وحمايتهم احد من اخوانهم . ولا تفسير لذلك الا الخوف والذلة التى قعدت بالامة عن الجهاد فى سبيل الله ورفع راية الحق لقتال المرتدين والمحاربين .

نهاية زكرويه بن مهرويه .

تطايرت الاخبار الى الخليفة المكتفى وعلم بما جرى فعظم ذلك عليه وعلى كافة المسلمين فانفذ امره بتجهيز الجيوش وسيرها بقيادة وصيف بن سوارتكين مع بقية القواد فلقيهم زكرويه ومن معه من القرامطة ونشبت الحرب بينهم الى ان حال بينهم الظلام . فلما اصبحوا نشب الحرب بينهم ووقعت موقعة قتال عنيف قتل فيها من القرامطة مالا يحصى عدده حتى وصلوا الى قائد القرامطة زكرويه فضربه بعض الجند وهو منهزم ومول الهرب على رأسه ضربة شديدة بسيفه افضت الى دماغه فوقع على الارض مضرجا بدمائه وهلك بعد مضى خمسة ايام (٢) .

الا ان المقريزى يذكر بأن نهايته ان طرحت النار فى قبته فخرج منها وضربه رجل فسقط على الارض وادركه رجل يعرفه فاركبه نجيبا فارها وسار به نحو بغداد ولكنه مات فى الطريق من جراحات كانت به وادخل بغداد ميتا (٣) .

اما المقدسى فيذكر ان الجيش العباسى مارس الجيش القرمطى خمسة اشهر ثم ظفروا بزكرويه فحملوه الى بغداد على طريق الشهرة والنكال وحبس فمات فى الحبس (٤) .

---

(١) تاريخ الامم والملوك للطبرى (٨ : ٢٤٤) .
(٢) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٣٥) .
(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٧٩) .
(٤) البدء والتاريخ للمقدسى (٦ : ١٢٦) .

وعلى كل حال فوفاة زكرويه كانت من الامور الحاسمة فى القضاء على قرامطة الشمال ولذا يقول المقريزى : ومات خبر القرامطة بموت زكرويه .[(١)]

ولقد وجد بعده من افتتن به حيث قالوا : ان زكرويه بن مهرويه حى وانما شبه على الناس به .[(٢)]

وقد حاول بعض اتباع زكرويه الذين سلموا من القتل التجمع من جديد الا انهم فشلوا فى اشعال الثورة لان الحسين بن حمدان اوقع بهم وقعة قتل جماعة منهم واسر جماعة من نسائهم وصبيانهم .[(٣)]

اما المحاولة الاخيرة فكانت بزعامة رجلين احدهما يعرف بالحداد والاخر بالمنتقم - وهو اخو امرأة زكرويه - وقد بذلا جهدا فى استثارة الاعراب لاعتناق مذهبهم والخروج معهم على الخليفة العباسى . ولكن الاعراب رفضوا دعوتهما فاخذوهما الى الخليفة فقتلهما .[(٤)] وآخر ما يذكره المؤرخون عن زكرويه واتباعه ما ذكره الطبرى فى احداث سنة تسع وتسعين ومائتين للهجرة من ان احد قواد زكرويه يدعى بالاغر وصاحب آخر لزكرويه ايضا يسمى المطير وفدا الى بغداد مستسلمين وطالبين من الخليفة الامان .[(٥)]

وقبل النهاية من الحديث عن حركة قرامطة الشمال اشير الى امرين :

اولهما : ان الحق والباطل فى صراع مستمر ودائم ولكن كما قال الله تعالى " والعاقبة للمتقين " . فظهور القرامطة وتغلبهم فترة من الزمن ما هو الا دليل على بعد امة الاسلام عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن التلقى منهما مباشرة .

ومن النتائج الواقعية لهذا البعد ان الجهاد فى سبيل الله صرف عن

---

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٧٩) .
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .
(٣) تاريخ الطبرى (٨ : ٢٤٨) .
(٤) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٣٦) .
(٥) تاريخ الامم للطبرى (٨ : ٢٥٤) .

مدلوله الاساسى - اعلاء كلمة لا اله الا الله - فادى ذلك - سنة الله عز وجل الى هزائم متكررة بما يسمى بالجيش العباسى وان من سنة الله عز وجل ماضمنه لهذه الامة من نصر وتمكين اذا هى صدقت مع الله ونصرت دينه " ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم "[(١)] ويجب على المسلم ان يتصور هذا كل التصور وينطلق فى جهاده من هذا المنطلق ووعد الله لا يتخلف . " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون "[(٢)] .

الامر الثانى : ان القرامطة عجل الله باضمحلالهم وذهابهم بعد ما اغرقوا العالم الاسلامى بسيل من الدماء ولم تحقق هذه الحركة فى الشمال اهدافا فكرية او دينية وبالتالى لم يتم لهؤلاء دولة[(٣)] . ولا شك ان هناك عاملا اساسيا فى عدم تمكنهم من ذلك يتمثل فى قوله تعالى " كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال "[(٤)] .

كما ان هناك عوامل اخرى ولكنها صغيرة فى جانب العامل الاول وهى :

(١) ان هذه الحركة بدأت قبل اكتمالها[(٥)] .

(٢) ان انصارها كانوا من قبائل البدو الذين لا تربطهم روابط اجتماعية او سياسية او تعاون وثيق فى سبيل هدف معين[(٦)] .

(٣) تطلع قادتها الى الامامة الاسماعيلية مما دفع بهم الى مطاردة المهدى وقتل اسرته وذويه وكان ذلك له اثر فى غضب العناصر الاسماعيلية

---

(١) سورة محمد : ٧ .

(٢) سورة النور : ٥٥ .

(٣) ابن خلدون ، العبر (٤ : ١٨١) .

(٤) سورة الرعد : ١٧ .

(٥) دراسات فى العصور العباسية المتأخرة (ص ١٧٤) .

(٦) القرامطة لعارف تامر (ص ١٣٧) .

وابتعادهم عن هؤلاء وكانت النتيجة ان سارت الحركة القرمطية والحركة الاسماعيلية باتجاهين مختلفين ولو اجتمعتا لتفاقم الامر والحال .

(٤) عدم تعاون قرامطة العراق معهم وكذلك قرامطة البحرين لاتهام آل زكرويه بقتل عبدان .

(٥) اعتماد آل زكرويه على السلب والنهب والتدمير والقتل الجماعي ومهما كان وضع الامة متدنيا فلا يقبل بحال من الاحوال هذه الوحشية والهمجية التي سلكها قرامطة الشام في الوصول الى اهدافهم .

الفصل الرابع

قرامطة البحرين وزعماؤهم

(١) ابوسعيد الحسن بن بهرام الجنابى

ان اى حامل فكرة ودعوة لا بد له من تجارب ينجح فى بعضها ويخفق فى البعض الاخر بحيث يكون تأثير الشخص مناسبا فى مكان دون مكان وزمان دون زمان وهكذا نرى الدعاة سواء كانوا دعاة خير وبناء ام دعاة شر وهدم ينجح بعضهم فى مكان ما ويخفق فى المكان الاخر فابو سعيد لما اعتنق مبادىء القرامطة وآمن بها لم يتوقف عند هذا فقط بل جد فى الدعوة والعمل على نشر هذه المبادىء . يحدثنا ابن حوقل عن بداية ابى سعيد فيقول انه تعلق بدعوة القرامطة من قبل عبدان الكاتب وانه ارسله الى جنوب فارس الغربى لنشر المذهب هناك وانه دعاهم واخذ الكثير من اموالهم . ولكن الولاة تتبعوه فلم يزل فى خفية حتى كتب اليه حمدان قرمط من كلواذى بالشخوص اليه فأتى الى حمدان ورأى ان اخفاقه هناك ليس من قبله هو ومن ثم وجهه الى البحرين بعد ان زوده بارشاداته ومنحه مبلغا من المال[1] . وكانت النتيجة ان نجح نجاحا باهرا وكون دولة للقرامطة هناك امتدت زهاء قرنين من الزمان ويقول ابن حوقل عنه " انه كان من اتباع حمدان وعبدان المخلصين "[2] .

وقد ظهر الجنابى وقويت شوكته فى سنة ست وثمانين ومائتين[3] .

وماكان لدعوة الجنابى وحركة القرامطة ان تنجح هناك الالان الدعوة وجدت قلوبا فارغة ومنبتا خاليا كما قال احدهم :

---

(١) المسالك والممالك لابن حوقل (ص ٢١٠) .

(٢) المرجع السابق (ص ٢١١) .

(٣) دول الاسلام للذهبى (١ : ١٧٢) .

اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى

فصادف قلبا خاليا فتمكنا

ان اوضاع المسلمين من التفكك والتمزق بلغت حالة سيئة والفساد الذى ينخر في الامة مصدره عوامل متعددة من اهمها وضع الخلفاء العباسيين واهمال العلماء للامة حتى فشا الجهل وانتشرت التيارات المعادية للاسلام . ومع ذلك فخلفاء بنى العباس ـ ولا سيما من عاصر القرامطة ـ كانوا يعيشون فى عزلة عن احوال المسلمين مكتفين بحياة الترف والبذخ فى وسط القصور والحوارى واصبح مايسمى بالخليفة لا يعلم شيئا عن احوال المسلمين وآمالهم وآلامهم حتى ان احد الخلفاء ادرك ذلك ومما قال :

اليس من العجائب ان مثلى ... يرى ماقل ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... ومامن ذاك شىء فى يديه

اليه تحمل الاموال طرا ... ويمنع بعض مايجبى اليه (١)

ان هذا الضعف لدى الخلفاء مع انتشار الترف وحياة اللذة والشهوات له دور كبير فى التثاقل عن الجهاد مما يجعل الميدان خاليا لدعاة الهدم والتخريب امثال ابى سعيد الجنابى الذى كان يدرك هذا الضعف والانحلال وانى للرجل المريض ان يداوى غيره وهو سقيم .

من منطق الاعتزاز والقوة بعث ابو سعيد برسالة الى الخليفة المعتضد بعد ان هزم جيشه يقول فيها مخاطبا الخليفة :

" ماهذا اتخرق هيبتك وتقتل رجالك وتطمع اعداءك فى نفسك بانفاذ الجيوش الى وانما انا رجل فى فلاة ولا زرع عندى ولا ضرع ولا لى بلد وقد رضيت بخشونة العيش والامن على المهجة والعز باطراف الرماح ـ وانظر فانى ما اغتصبتك بلدا كان فى يدك ولا ازلت سلطانك عن عمل جليل ومع هذا فوالله لو نفذت جيشك كله ماجاز ان تظفر بى ولا تنالنى لانى رجل نشأت فى هذا التقشف فتعود تهانا ورجالى فلا مشقة علينا فيه ونحن فى اوطاننا مستريحون

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ٣٦٥) .

وانت تنفذ جيشك من الحرير والثلج والرياحين والند ثم يجيئون من مسافة بعيدة وطريق شاق فيصلون الينا وقد قتلهم السفر قبل قتالنا وانما غرضهم ان ينيلوا غدرا فى قتالنا ومواقعتنا ثم يهربون فان حققوا مع حاقد لحق بهم من عناء السفر وشدة الجهد كان اكبر اعوانى عليهم فما هو الا ان حققت عليهم حتى ينهزموا واكثر مايقدرون عليه ان يجيئوا فيستريحوا ثم تكون عدتهم كثيرة وبصيرتهم قوية فحينئذ لا يكون لى بهم قبل فانهزم فلايقدر جيشك ان يتبعنى الا مسافة قريبة فما هو ان ابعد عشرين فرسخا او ثلاثين واجول فى الصحراء شهرا او شهرين ثم اكبسهم على غرة حتى اقتل جميعهم وان لم يتم لى هذا وكانوا متحوزين فما يمكنهم ان يطوفوا حولى ولا خلفى فى البرارى ولا يتبعنى الطلب فى البوادى ثم لا يحملهم البلد فى المقام ولا الزاد ان كانوا كثيرين فلابد ان ينصرف الجمهور ويبقى منهم قتلى سيوفى اول يوم نلتقى فيه هذا ان سلموا من وباء هذه الناحية ورداءة مائها وهوائها الذى لا طاقة لهم به لانهم نشأوا فى ضده وربوا مع غيره ولا عادة لا جسامهم بالصبر عليه . ففكر فى هذا ونحوه وانظر هل يعنى تعبك وتغريرك بعسكرك وجيشك وانفاقك الاموال وتجهيزك الرجال وتكلفك هذه الاخطار وتحملك المشاق بطلبى وانا مع هذا خالى الذرع منها سليم النفس والاصحاب جميعا . واما هيبتك فتخرق . واما الاطراف فتنتقض واما الملوك من الاعداء فتتجاسر كلما جرى عليك من هذا شئ ثم لا تظفر من بلدى بطائل ولا تصل منى الى حال ولا حال . فان اخترت بعد هذا محاربتى فاستخر الله تعالى واقدم على بصيرة وانفذ من شئت واضطرب كيف احببت وان امسكت فذلك اليك"(١) .

وصلت هذه الرسالة وقرأها وقبل نصيحة خصمه عدو الاسلام فتركه وشأنه يقتل ويسفك ويستولى ويأتى اولاده من بعده ينهبون ويقطعون الطريق على حجاج بيت الله ويلاحقون الحجاج فى بيت الله وحرمه ويعبثون بمقدسات المسلمين والدولة ممثلة فى خليفتها صامتة لا تتحرك ولا تستنكر وما اشبه الليلة بالبارحة فاليهود فى المسجد الاقصى ينتهكون حرمته ويحرقونه وليس هناك من

---

(١) العيون والحدائق لمجهول (ص ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤) ، تجارب الامم لمسكويه (٥ : ١٤ - ١٥ - ١٦) .

قلب ينبض بالحياة سوى افراد قلائل لا حول لهم ولا طول فى مثل هذه الاجواء عمل ابو سعيد على اقامة دولة القرامطة فى البحرين وعمل على تكوين مجتمع اسماعيلى يدين له بالطاعة والولاء .

يصف النويرى هذا المجتمع قائلا " واقبل ابو سعيد بعد اطلاق العباس على جمع الخيل واعداد السلاح واتخاذ الابل واصلاح الرجال ونسج الدروع والمغافر ونظم الجواش والمزاد والقرب واخذ فى تعليم الصبيان للفروسية[1] .

حتى انه جمعهم فى دور واقام عليهم قوما واجرى عليهم مايحتاجون اليه ووسمهم لئلا يختلطوا بغيرهم ونصب لهم عرفاء واخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان فنشأوا لا يعرفون غير الحرب وقد صارت دعوته طبعا وطاعته دينا والطعن والنزال حرفة لهم . وهذا نظام حربى دقيق يستطيع بمقتضاه اعداد جيش قوى من رعاياه هذا من الناحية العسكرية . اما من الناحية الاقتصادية فانه قبض على كل مال فى البلد حتى الثمار والحنطة والشعير، واقام رعاة للابل والغنم ومعهم قوم لحفظها والتنقل معها على نوب معروفة .

واجرى على اصحابه جرايات فلم يكن يصل لاحد غير مايطعمه[2] .

وبنظرة فاحصة على هذه التصرفات نجد انه قد تلقاها من استاذه ومربيه حمدان قرمط الذى كان يستعبد الافراد ويسفك الدماء ويسلب الافراد ابسط حقوقهم بتطبيقه النظام الاشتراكى الظالم .

اصبح القرامطة وعلى رأسهم ابو سعيد الجنابى يتعطشون الى اسالة الدماء واشاعة الرعب والقلق فى مناطق متعددة من ديار المسلمين فالقتل والاحراق للاجساد الانسانية هو السبيل للقضاء على من يعادى فكرتهم ومبدأهم والروايات التاريخية تثبت كل هذه التصرفات الاجرامية . ففى المعركة الاولى التى تقابل فيها ابو سعيد بجيشه مع جيش الخليفة العباسى سنة

---

(١) نهاية الارب للنويرى مخطوط (٢٣ : ٧٤) .

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦١) .

سبع وثمانين ومائتين نرى ان ابا سعيد لم يبق احدا منهم قتلا واسرا اما الاسرى وعددهم مايزيد على سبعمائة رجل فلما كان من الغد احضرهم وامر بحطب فطرح عليهم واحرقهم بعد قتلهم الا قائد المعركة العباسى فانه اخذه معه[١] .

واما اهل هجر فقد حاصرهم حصارا شديدا حتى اكلوا الكلاب وقطع عنهم عينا عظيمة فلما رأوا انه حاق بهم الهلاك فر بعضهم فركب البحر ودخل بعضهم فى دعوته فنقلهم الى الاحساء وبقيت طائفة لم يفروا لعجزهم ولم يدخلوا فى دعوته فقتلهم واخذ مافى المدينة واخربها فبقيت خرابا .

وواقع بنى حنبة وقائع مشهورة فظفر بهم واخذ منهم خلقا وبنى لهم حبسا عظيما جمعهم فيه وسده عليهم ومنعهم الطعام والشراب فصاحوا فلم يفتشهم فمكثوا على ذلك شهرا ثم فتح عليهم فوجد اكثرهم موتى ويسير احال الموتى وقد تغذوا بلحوم الموتى فخصاهم وخلاهم فمات اكثرهم[٢] .

وكان لا يظفر بقرية الا قتل اهلها ونهبها فهابه الناس واجابه كثير منهم وفر منه خلق كثير الى بلدان شتى خوفا من شره[٣] .

ويلاحظ ان سلاح البطش والقوة عامل من عوامل نشر الدعوة ، هناك ولذا اعتنق الدعوة الكثير ممن حوله خوفا ورهبة .

ويعتبر ابو سعيد الجنابى من الفرس واصله من جنابة بلدة من بلاد الفرس وكان يعمل الفراء ثم سافر الى الكوفة حيث تلقى تعاليم الدعوة عن حمدان وعبدان[٤] .

ويقول ابن حوقل عنه : - ومنهم - اى من الفرس - الذين انتحلوا ديانات خرجوا بها عن المذاهب المشهورة فدعوا اليها وانتصبوا لها ابوسعيد

---

(١) انظر تاريخ الامم والملوك للطبرى (٨ : ٢٠١) .
(٢) اتعاظ الحنفا (١ : ١٦٢ - ١٦٤) .
(٣) المرجع السابق (ص ١٦٠) .
(٤) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٧١) .

الجنابي[1] .

كما يقول عنه ابن الاثير : والمشهور منها - اى جنابه - ابو سعيد الجنابي الزنديق[2] . ويصف الحمادى ابو سعيد بقوله : كان فيلسوفا ملعونا ملك البحرين واليمامة والاحساء وادعى فيها انه المهدى القائم بدين الله[3] ويظن البعض نتيجة لهذه الدعوى انه زاحم عبيد الله المهدى على دعواه فدبر قتله والقضاء عليه[4] وهذا غير صحيح لان المصادر تدل على انه توفى وهو مخلص للدعوة الاسماعيلية وائمتها . وقد غالى اتباعه فيه حتى سموا انفسهم ابو السعيدين نسبة اليه[5] واعتقدوا رجعته وانه سيعود الى الدنيا ومن ثم فانهم جهزوا جوادا مسرجا يقف دائما عند قبره منتظرا خروجه ورجوعه الى الدنيا .

ويقول الرحالة الاسماعيلى ناصر خسروا : ان ابو سعيد قال لهم : انى ارجع اليكم بعد وفاتى . ويذكر خسرو : انه رأى على باب قبر ابى سعيد حصانا مهيأ بعناية عليه طوق ولجام يقف بالنوبة ليلا ونهارا ويعنون بذلك ان ابا سعيد يركبه حينما يرجع الى الدنيا[6] اما نهاية ابو سعيد فيذكرها المقريزى بقوله : وكان موته على يد خادم له اخذه من عسكر العباس وقد مكث هذا الخادم مدة طويلة لا يرى ابا سعيد فيها مصليا صلاة واحدة ولا يصوم فى شهر رمضان ولا فى غيره فاضمر الخادم قتله حتى اذا دخل الحمام معه اعد الخادم خنجرا ماضيا والحمام خال فلما تمكن منه ذبحه ثم خرج فقال : يدعى فلان لبعض بنى سنبر فاحضر فلما دخل قبضه وذبحه فلم يزل ذلك دأبه حتى قتل جماعة من الرؤساء والوجوه فدخل آخرهم فاذا فى البيت الاول دم

---

(١) انظر مذاهب الاسلاميين (٢ : ١١١) .
(٢) اللباب لابن الاثير (١ : ٢٩٣) .
(٣) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٢٠) .
(٤) دائرة المعارف الاسلامية (٧ : ١١٦) .
(٥) دائرة المعارف الاسلامية (٧ : ١١٦) .
(٦) سياسة نامه لناصر خسرو (ص ١٤٢ - ١٤٣) ، دائرة المعارف الاسلامية (٧ : ١١٦) .

جار فارتاب وخرج مبادرا واعلم الناس فحصروا الخادم حتى دخلوه فوجدوا الجماعة صرعى وذلك فى سنة احدى وثلاثمائة [١] .

وترك ابو سعيد مجموعة من الاولاد وهم :

(١) ابا القاسم سعيدا
(٢) ابو طاهر سليمان
(٣) وابو منصور احمد
(٤) وابو اسحاق ابراهيم
(٥) وابو العباس محمد
(٦) وابو يعقوب يوسف

وكان ابو سعيد قد جمع رؤساء دولته واوصى ان حدث به موت يكون القيم بامرهم سعيد ابنه الى ان يكبر ابو طاهر وكان ابو طاهر اصغر سنا من سعيد فاذا كبر ابو طاهر كان المدبر فلما قتل جرى الامر على ذلك [٢] . ولكن لما تولى ابنه سعيد سار على سياسة جديدة تنطوى على التقرب من العباسيين والتباعد عن الفاطميين لذا قرر الخليفة الفاطمى فى المغرب خلعه وتولية اخيه ابى طاهر سنة ٣٠٥هـ [٣] .

---

(١) اتعاظ الحنفا (١ : ١٦٤ - ١٦٥) .
(٢) المرجع السابق (١ : ١٦٥) .
(٣) الحركات الباطنية لغالب (ص ١٥٢) .

(٢) ابو طاهر سليمان الجنابى

تمتاز فترة هذا القرمطى بانها فترة التوسع وتثبيت الدولة القرمطية الناشئة كما انها فترة حرب ضروس اسال فيها الكثير من الدماء وانتهك الحرمات والمقدسات وعمل اعمالا بشعة لا مثيل لها فى تلك الفترة . ومما ساعده على ذلك وضع الخلافة العباسية حيث كانت فى وضع متدهور فى شتى مجالات الحياة فأول فترة ابى طاهر كان الخليفة المقتدر بالله العباسى الذى تولى الخلافة وهو صغير يقول السيوطى عنه : ولم يل الخلافة قبله اصغر منه فانه وليها وله ثلاث عشرة سنة وينقل عن الذهبى قوله :اختل النظام كثيرا فى ايام المقتدر لصغره . وكانت النتيجة ان صار الامر والنهى لحرم الخليفة ونسائه[(١)] .

ويقول ابن طباطبا : ان دولة المقتدر تدور امورها على تدبير النساء والخدم وهو مشغول بلذته وكانت النتيجة ان خربت الدنيا ايامه وخلت بيوت الاموال واختلفت الكلمة[(٢)] . ان هذه الاحوال وتلك الاوضاع خير معين ومشجع لابى طاهر القرمطى الذى بدأ يشن غارات متلاحقة على المسلمين ولا سيما قوافل الحجاج . ففى سنة ٣٠٢هـ اغار على قافلة الحاج وهى عائدة من مكة الى العراق وسلبها وسبى ٢٨٠ امرأة منها وترك سائر الحجاج جياعا عطاشا[(٣)] وقد توقف ابو طاهر عن الاغارة والسلب لمدة تسع سنوات الا ماحصل منهم فى سنة ٣٠٧هـ من الدخول بالبصرة واستباحتها والاكثار فيها من الفساد[(٤)] . ولهذا التوقف اسباب منها :

(١) ان الولاية من وفاة ابى سعيد سنة ٣٠١هـ الى سنة ٣٠٥هـ تمتاز بسياسة التقرب الى العباسيين والتباعد عن الفاطميين (وهذه المدة

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص٣٧٨- ٣٨٠- ٣٨١) .
(٢) الفخرى فى الاداب السلطانية (ص ٢٦٢) .
(٣) النجوم الزاهرة لابى المحاسن (٣ : ١٨٥) .
(٤) المنتظم لابن الجوزى (٦ : ١٥٣) ،البداية والنهاية (١١ : ١٣٠) ، تاريخ ابن خلدون (٤ : ١٩٠) .

كان الوالى فيها اخوه سعيد الجنابى) ولذا فقد حز فى نفوس الفاطميين وفريق من القرامطة هذا التقرب فخلعوا سعيدا وولوا اخاه ابا طاهر فكان ابو طاهر فى هذه المدة يسعى لتثبيت نفسه فى الداخل .

(٢) موافقة العباسيين على البعض من مطالب القرامطة حيث ان على بن عيسى خاف على قوافل الحجاج فوافق على السماح للقرامطة بالتجارة واطلاق التسوق لهم بسيراف فردهم بذلك وكفهم (١) .

(٣) انشغال ابو طاهر فى السنوات الاولى من حكمه بالاتصال بجيوش العبيديين فى مصر بزعامة ابى القاسم بن عبد الله المهدى وذلك سنة ٣٠٧هـ .

هذه الاسباب وغيرها جعلته يتوقف عن الفتك بقوافل المسلمين من حجاج وغيرهم ولكنه بدأ سلسلة من الاعمال الارهابية من سنة ٣١١هـ الى آخر حياته .

ففى سنة احدى عشر وثلاثمائة هاجم البصرة فى الف وسبعمائة رجل ووضع السيف فيهم واحرق المربد ونقض الجامع ومسجد قبر طلحة وهرب الناس فطرحوا انفسهم فى الماء فغرق اكثرهم واقام ابو طاهر بالبصرة سبعة عشر يوما يحمل على جماله كل ما يقدر عليه من الامتعة والنساء والصبيان ثم ولى منصرفا الى بلده (٢) .

وفى السنة التى تليها كان لابى طاهر وجمعه عدة هجمات . ففى المحرم من سنة ٣١٢هـ اعترض للحجيج وهم راجعون من بيت الله الحرام قد ادوا فرض الله عليهم فقطع عليهم الطريق فقاتلوه دفعا عن اموالهم وانفسهم وحريمهم فقتل منهم خلقا كثيرا لا يعلمهم الا الله واسر من نسائهم وابنائهم ما اختاره واصطفى من اموالهم ما اراد فكان مبلغ ما اخذه من الاموال ما يقاوم

---

(١) صلة تاريخ الطبرى للقرطبى (ص ٤١) .
(٢) المنتظم لابن الجوزى (٦ : ١٧٣) .

الف الف دينار ومن الامتعة والمتاجر نحو ذلك وترك بقية الناس بعد ما اخذ جمالهم وزادهم واموالهم ونساءهم وابناءهم على بعد الديار فى تلك الفيافى والبرية بلا ماء ولا زاد ولا محمل وقد حاول نائب الكوفة الدفاع عن الحجاج ولكنه هزمه واسره . وكان عدة من مع القرمطى ثمانمائة مقاتل وعمره اذ ذاك سبع عشرة سنة[1] .

واحصى من قتله القرمطى منهم فكانوا من الرجال الفين ومائتين وعشرين ومن النساء نحو خمسمائة امرأة هؤلاء القتلى اما الاسرى فقد اطلقهم وكان آخر من اطلق نائب الكوفة ابو الهيجاء وارسل معهم رسولا منه لطلب الولاية على البصرة والاهواز من الخليفة العباسى المقتدر فلم يجبه الى ذلك[2] .

نتيجة عدم تلبية طلب القرمطى سار من هجر يريد الحاج وكان جعفر الشيبانى متقلدا اعمال الكوفة وطريق مكة فلما سار الحجاج من بغداد سار جعفر بين ايديهم خوفا من ابى طاهر ومعه الف رجل من بنى شيبان وسار مع الحجاج من اصحاب السلطان ثمل صاحب البحر وجنى الصفوانى وطريف السبكرى وغيرهم فى ستة آلاف رجل فلقى ابو طاهر القرمطى جعفرا الشيبانى فقاتله جعفر فبينما هو يقاتله اذ طلع جمع من القرامطة عن يمينه فانهزم من بين ايديهم فلقى القافلة الاولى وقد انحدرت من العقبة فردهم الى الكوفة ومعهم عسكر الخليفة وتبعهم ابو طاهر الى باب الكوفة فقاتلهم فانهزم عسكر الخليفة وقتل منهم واسر جنيا الصفوانى وهرب الباقون والحجاج من الكوفة ودخلها ابو طاهر واقام ستة ايام بظاهر الكوفة يدخل البلد نهارا فيقيم فى الجامع الى الليل ثم يخرج يبيت فى عسكره وحمل منها ماقدر على حمله من الاموال والثياب وغير ذلك وعاد الى هجر ودخل المنهزمون بغداد وخاف اهل بغداد وانتقل الناس الى الجانب الشرقى ولم يحج فى هذه السنة من الناس احد واما فى سنة ثلاث عشرة وثلثمائة فاعترض القرامطة الحاج بزبالة

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ١٤٩) .
(٢) المنتظم لابن الجوزى (٦ : ١٨٩) .

فقاتلهم اصحاب الخليفة فانهزموا ووضع القرامطة على الحاج قطيعه فاخذوها وكفوا عنهم فساروا الى مكة[1] .

وفى سنة اربع عشرة توجه ابو طاهر القرمطى نحو مكة فبلغ خبره الى اهلها فنقلوا حرمهم واموالهم الى الطائف وغيره خوفا منه[2] .

ولا شك ان هذه المعارك كان لها الدور الاكبر فى تثبيت الدولة العبيدية الناشئة فى المغرب حيث شغل القرمطى الدولة العباسية وخدم امامه عبيد الله المهدى الذى كانت تربطه به روابط العقيدة والمنطلق وكان ابو طاهر يخطب له على المنابر ويرسل له خمس الاموال من دخل القرامطة[3] .

ظل ابو طاهر على هذه الحالة من اشاعة الرعب والقتل والسلب بحيث لا تمر سنة الا وقد استفاد منها حتى دخلت السنة الخامسة عشر وثلاثمائة فزحف ابو طاهر على البصرة والكوفة هذه السنة ، ولما قرب ابو طاهر من الكوفة هرب عمال السلطان منها فاستولى على ما فيها من مؤن قد بعثت ليوسف بن ابى الساج قائد الجيش العباسى فتقوى بها ابو طاهر وكان معه الف فارس وخمسمائة راجل ومع يوسف اكثر من عشرين الف مابين فارس وراجل ، وصل القائد العباسى الى الكوفة بعد القرمطى بيوم واحد فحال بينه وبينها فبعث اليه ينذره ويأمره بالطاعة للخليفة العباسى والا فالحرب فرد عليه القرمطى بانه لا طاعة علينا الا لله تعالى والموعد بيننا للحرب بكرة غد فلما كان الغد وعاين يوسف عسكر ابى طاهر احتقره وقال من هؤلاء الكلاب حتى افكر فيهم وهؤلاء بعد ساعة فى يدى وتقدم ان يكتب كتاب الفتح قبل اللقاء تهاونا بهم وسمع ابو طاهر اصوات البوقات والزعقات فقال لصاحب له ماهذا فقال فشل لم يزد على هذا فاقتتلوا من صحوة النهار حتى غروب الشمس وجرح من اصحاب ابى طاهر اكثر من خمسمائة فلما رأى ذلك باشر ابو طاهر

---

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ٥٣ - ٥٤) .
(٢) المرجع السابق (ص ٥٧) .
(٣) انظر سمط النجوم العوالى (٤ : ١٩٣) ، وكتاب عبيد الله المهدى (ص ٢١٨) .

الحرب بنفسه ومعه جماعة يثق بهم وحمل بهم فطحن اصحاب يوسف ودقهم فانهزموا بين يديه واسر يوسف وعددا كثيرا من اصحابه وحملوا القائد الى عسكرهم ووكل به ابو طاهر طبيبا يعالج جراحه وورد الخبر الى بغداد بذلك فخاف الخاص والعام من القرامطة خوفا شديدا وعزموا على الهرب الى حلوان وهمزان ودخل المنهزمون بغداد اكثرهم حفاة عراة[1].

بعد هذه الهزيمة النكراء رأى القرمطي ان الميدان خال وان جيش الخليفة قد تفرق وان حالة الخلافة لا تستطيع الدفاع عن نفسها في عقر دارها فحاول الهجوم على بغداد نفسها لكن القائد العباسي مؤنس المظفر لجأ الى حيلة منعت القرامطة من الوصول الى بغداد فسير جماعة من الجيش الى الانبار تقطع الجسر حتى لا يعبر ابو طاهر عليه فقطعوا الجسر كما بعث مجموعة من المقاتلة لمنع القرامطة من العبور على الفرات . لكن ابا طاهر انفذ بعض اصحابه الى الحديثة فاتوه بسفن ولم يعلم اهل الانبار بذلك وعبر في هذه السفن ثلاثمائة رجل من القرامطة فقاتلوا عسكر الخليفة فهزموهم وقتلوا منهم جماعة واستولى القرامطة على مدينة الانبار . بعد ذلك خرج نصر الحاجب بجيش جرار ولحق بالقائد العباسي مؤنس المظفر فاجتمعا في نيف واربعين الف مقاتل وساروا حتى بلغوا نهر زبار على فرسخين من بغداد فقطعوا القنطرة التي عليه وسار ابو طاهر نحوهم واراد القرامطة العبور فلم يمكنهم العبور على النهر ولو عبروه لانهزم الجيش ولاستولوا على معقل الخلافة العباسية ببغداد فضلا عن ان قائد الجيش العباسي مؤنس لجأ الى الخداع والمكر فوجه بعض القوارب المحملة بالتفاح المسموم الى جند القرامطة واشعرهم انه ولى هاربا وترك وراءه هذه القوارب في عجالة الفرار فكان القرامطة يأخذونها فكثرت الميتة فيهم وكثر بهم الذرب وظهر جهدهم[2].

---

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ٥٧ - ٥٨) .
(١) المنتظم لابن الجوزي (٦ : ٢٠٨ - ٢٠٩) .
(٢) الكامل لابن الاثير (٨ : ٥٨) ، تاريخ اخبار القرامطة (ص ٤٨) ، اتعاظ الحنفا (ص ١٨٢) ، قرامطة العراق لعليان (ص ١٥٢) .

بعد ذلك كر الجيش القرمطى راجعا الى الانبار . فسير القائد العباسى مؤنس ستة آلاف مقاتل الى عسكر القرامطة ليغنموه ويخلصوا يوسف بن ابى الساج فبلغوا اليهم فاقتتلوا قتالا شديدا وكان القائد العباسى الاول يوسف ابن ابى الساج ينظر الى المعركة وهو فى الاسر يرجو النصر للجيش العباسى حتى يخلصوه وكان ابو طاهر ينظر اليه ولكن الهزيمة حاقت بعسكر الخليفة ولما انتهت المعركة احضر ابو طاهر ابن ابى الساج ومن معه من الاسرى فقتلوهم (١) .

لم يعتبر ابو طاهر القرمطى ارتداده عن حاضرة العباسيين هزيمة بل اخذ يتابع مسيرته وتجواله فى بلاد العراق - وكأنه طريق رسم له ولا بد من اجتيازه - فلنتابع مسيرته لما سار من الانبار - حيث توجه الى الدالية عن طريق الفرات فلم يجد فيها شيئا فقتل من أهلها جماعة . ثم سار الى الرحبة فدخلها ثامن المحرم (سنة ٣١٦هـ) بعد ان حاربه اهلها فوضع فيهم السيف بعد ان ظفر بهم .

نتيجة هذا القتل والرعب خافه اهل قرقيسيا فطلبوا منه الامان فآمنهم وامرهم ان لا يظهر احد منهم بالنهار فاجابوه الى ذلك وسير ابو طاهر سرية الى الاعراب بالجزيرة فنهبوهم واخذوا اموالهم فخافه الاعراب خوفا شديدا وهربوا من بين يديه وقرر عليهم ضريبة على كل رأس دينار يحملونه الى هجر .

ثم انتقل الى الرقة والريض لكن سكانهما تجمعوا وتعاونوا وقاتلوا اصحاب ابى طاهر ثم انصرفوا .

وبث القرامطة سرية الى رأس عين وكفر توثا فطلب اهلها الامان فآمنوهم ثم ساروا ايضا الى سنجار فنصبوا الحبال ونازلوا سنجار حتى طلب اهلها الامان فأمنوهم (٢) .

---

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ٥٨) .
(٢) الكامل لابن الاثير (٨ : ٦٢) .

وفى آخر هذه السنة رجع ابو طاهر الى بلده وبنى دارا اسماها دار الهجرة ودعا الى المهدى وتفاقم امره وكثر اتباعه وحدثته نفسه بكبس الكوفة وصار اتباعه يكبسون القرية من ارض السواد فيقتلون اهلها وينهبون اموالها (١) .

وهكذا ظل هذا السفاك المتوحش يعيث فى الارض فسادا حتى صار الناس اذا سمعوا بذكره يهربون من سماع اسمه - ولا بد من الوقوف قليلا لاخذ العبرة والخلفيات لتصرفات هذا الاعرابى الزنديق - كما يسميه الذهبى .

فاولا : من الواضح جدا ان القرامطة كانوا يقاتلون عن مبدأ وفكرة وانهم هم المسلمون وغيرهم الكفار فنجد ثباتهم فى القتال مرتبط باعتقادهم الراسخ فى صحة مايقاتلون عليه حتى أن الفرد منهم قد يقضى على امه وعلى ابيه واسرته لانهم بزعمه قوم كفار يجب قتلهم والقضاء عليهم . فيحدثنا ثابت بن سنان فى تاريخ اخبار القرامطة قائلا : " ان امرأة ذكرت عن ولد لها انه طالت غيبته عنها فخرجت تطوف فى البلاد تسأل عنه حتى وقعت عليه فى عسكر القرمطى فحدثته عن حالها وحال اخوته وكان الرد عليها ان قال " دعينى من هذا واخبرينى مادينك . فقالت له الاسلام كما تعلم فقال يا اماه اتركى هذا الدين وادخلى معى فى هذه الدعوة والدين مانحن فيه اليوم . ثم خرج وتركنى ولما اردت الرجوع وسرت عشرة فراسخ من عسكر القرمطى لحقنى ابنى وضربنى بسيفه فجرحنى وهو يريد قتلى لولا من كان معى فمنعوه من ان يصل الى (٢) . كما ان كتب التاريخ ذكرت حادثة من هذا النوع لها مدلولاتها الواضحة عند هؤلاء المجرمين فيذكر ابن الاثير بانه جاء انسان الى على بن عيسى واخبره ان فى جيرانه رجلا من شيراز على مذهب القرامطة يكاتب ابا طاهر بالاخبار فاحضره وسأله واعترف وقال ماصحبت ابا طاهر الا لما صح عندى انه على الحق وانت وصاحبك كفار تأخذون ماليس لكم ولا بد لله من حجة فى ارضه . . . الى ان قال له الوزير العباسى قد خالطت عسكرنا وعرفتهم

---

(١) المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٢١٦) .

(٢) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٢١ - ٢٢) .

فمن فيهم على مذهبك فرد عليه قائلا : وانت بهذا العقل تدبر الوزارة كيف تطمع من انني اسلم قوما مؤمنين الى قوم كافرين يقتلونهم لا افعل ذلك[١].

اما الطرف الثاني وهو الجيش العباسي فكانت مهمته الدفاع عن بعض المدن التي بقيت تحت سيطرة الدولة العباسية بينما كانت جيوش القرامطة تمضي قدما في القتال مستخدمة وسيلة الهجوم التي تمنح الجيش قوة وعزيمة ومضاء .

كما ان حالة الخلافة قد ساءت كثيرا فلم تعد قادرة على الدفاع عن نفسها فضلا عن حماية اطرافها والمناطق البعيدة عن العاصمة بغداد وهذا بسبب فساد الخلفاء العباسيين في تلك الفترة وضعفهم حتى اصبحت امور الدولة في يد النساء والخدم . ويصف المسعودي تلك الفترة بقوله عن المقتدر : " افضت الخلافة اليه وهو صغير غر ترف لم يعان الامور ولا وقف على احوال الملك . فكان الامراء والوزراء والكتاب يدبرون الامور ليس له في ذلك حل ولا عقد ولا يوصف بتدبير ولا سياسة وغلب على الامر النساء والخدم وغيرهم فذهب ماكان في خزائن الخلافة من الاموال والعدد بسوء التدبير الواقع في المملكة"[٢].

ويقول ابن الاثير " ان المقتدر اهمل احوال الخلافة كثيرا وكان جملة ما اخرجه من الاموال تبذيرا وتضييعا في غير وجهه نيفا وسبعين الف الف دينار[٣] . وهذا نموذج من حياة الخلفاء في هذه الفترة . اما الوزراء فقد اعطوا مصالحهم ونسوا امور المسلمين مع ماكانوا عليه من عصيان وفسوق فيذكر ابن كثير ان الخليفة عزل وزيره ابا العباس الخصي وامر بالقبض عليه وحبسه وذلك لاهماله امر الوزارة وانشغاله بالخمر في كل ليلة فيصبح مخمورا لا تمييز له

---

(١) الكامل لابن الاثير (٦ : ١٨٨) .
(٢) التنبيه والاشراف للمسعودي (ص ٣٢٨) .
(٣) الكامل لابن الاثير (٨ : ٨٣) .

وقد وكل الامور الى نوابه فخانوا وعطلوا مصالحهم[١] .

اما حالة الجند والجيش العباسى فكانت فى حالة متدنية من التفرق وقلة التدبير وضعف القيادة وانحراف الجنود الى مهمة السلب والنهب ويتضح هذا جليا فى المعركة التى قادها ابن ابى الساج فى سنة خمس عشرة وثلاثمائة حيث ان القائد العباسى دخل المعركة على غير تعبئة وعبر مستهينا بأمر القرمطى مستحقرا له ثم واقعه في جيش يضيق عنه موضعه ولا يملك تدبيره وقد تفرق عنه عسكره وركبوا من نهب القرى وأذى الناس واظهار الفجور شيئا كثيرا[٢] . هذا بالنسبة للجند . اما القائد فقد اتهم فى التقرب الى العبيديين ومراسلتهم بل ذكر كثير من المؤرخين كابن الاثير فى الكامل والعينى فى عقد الجمان انه كان يدين بالطاعة لعبيد الله المهدى وانه كان يراسل ابا طاهر القرمطى ويعد العدة لاسقاط الخلافة العباسية واقامة الخلافة العبيدية محلها[٣] .

ويبدو ان هذا الاتهام اصبح حقيقة واقعة حيث ان اهل بغداد كانوا يجتمعون ويتظاهرون منادين القرمطى الصغير (ابو طاهر) قتل المسلمين فى طريق مكة والقرمطى الكبير (ابن الفرات) قتل المسلمين فى بغداد[٤] . ويذهب صاحب العيون والحدائق الى ان اهل بغداد رجموا ابن الفرات واتهموه بانه من القرامطة[٥] .

ان امة مليئة بالخيانة بدأ بحكامها ووزرائها وقادتها وانتهاء بجنودها جديرة بان تهزم وتذل وهكذا اجرى الله عز وجل سنته فيهم حيث انتصرت عليهم هذه الشرذمة القليلة ومزقتهم شر ممزق .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ١٥٤) .
(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٨١) .
(٣) قرامطة العراق لعليان (ص ١٥٢) .
(٤) الكامل لابن الاثير (٨ : ٥٠) .
(٥) العيون والحدائق لمجهول (ص ٢١١) .

ثانيا : حرص القرامطة وعلى رأسهم ابو طاهر بالدأب والاستمرار على السلب والنهب والقتل والاسر حتى صوروا انفسهم بالقوة التى لا تقهر واتخذوا للوصول الى ذلك وسائل فى غاية من البشاعة والوحشية وقد اتضح لنا من خلال السرد التاريخى للاحداث بعض من تلك الوحشية . ويذكر ابن كثير رحمه الله ان اتباع ابى طاهر اخذوا يكبسون القرى من ارض السواد فيقتلون اهلها وينهبون اموالها وحتى وصلت الحال الى ان الناس اذا سمعوا بذكره يهربون من سماع اسمه[1] . بل صار الخليفة يخشى بأسه وصارت العاصمة وسكانها يرتعدون عند ذكر اسمه او اسم القرامطة فاصبحت كلمة قرمطى مرادفة لكلمة جندى مخيف لا يقهر يخوفون به اولاد بغداد . واخذوا يختلقون الاحاديث الغريبة عن جيوش ابى طاهر وعدده ويعتقدون ان نجاحه فى ساحات الحرب يرجع الى مخاريق واعمال سحرية يقوم بها هو واصحابه فى معمعان القتال وان قوى غير بشرية تساعده الى غير ذلك من الترهات التى كان يمليها عليهم الخوف فى حين ان انتصار القرامطة فى اكثر المواقع لم يكن الا نتيجة اجتماع كلمتهم وطاعتهم العمياء لزعيمهم وثقتهم التامة به وثباتهم فى القتال المتوقف على اعتقادهم الراسخ فى صحة مايقاتلون عليه فضلا عن انهم كانوا اشد بأسا واثبت جنانا واقوى على احتمال مشقات الحرب من جنود الخليفة الذين كان اكثرهم من سكان المدن المعتادين الراحة والثلج والرياحين[2] .

وذكر ابن الجوزى ان احدهم سأل يوما قرمطيا عن اسباب انتصارات اصحابه مع قلة عدد جيوشهم فاجابه القرمطى بقوله : نحن نقدر السلامة فى الثبوت وهؤلاء يقدرونها فى الهرب[3] .

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية (١١ : ١٥٧) .

(٢) من تاريخ الحركات الفكرية لبندلى جوزى (ص ١٧٢ - ١٧٩) .

(٣) المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٢٠٩) .

نتيجة هذا الخوف الشديد ان اصيب الجيش العباسى بالهزيمة النفسية من الداخل واخذت جيوشه تتبدد وتنسحب قبل الدخول فى المعركة ففى سنة ٣١٥ هـ عندما بلغ ابو طاهر وجيشه نهر زيارا واشرفوا على عسكر الخليفة هرب منهم خلق كثير الى بغداد من غير ان يلقوهم ولما علم المقتدر بعدة عسكره وعسكر القرامطة قال لعن الله نيفا وثمانين يعجزون عن الفين وسبعمائة .(١)

ثالثا : انه لامر يدعو الى العجب حقا ان تستطيع هذه القلة من القرامطة هزيمة هذا العدد الكبير من جيش الخليفة ولهذا يفترض احد المستشرقين وجود تواطؤ بين بعض القواد فى جيش الخليفة وبين ابى طاهر القرمطى ويقول ان من المؤكد انه قد كان لابى طاهر اعوان كثيرون مستترون فى العراق وكان فى جيوش الخليفة خونة .(٢)

ومن الاحداث التى ذكرناها يتضح هذا الامر جليا فقد سبق ان مر علينا حادثة الرجل الذى قبض عليه على بن عيسى لانه كان يخالط الجيش العباسى ويكاتب ابا طاهر بالاخبار كما ان القائد العباسى يوسف بن ابى الساج اتهم بميله مع القرامطة ومما يدل على ان هناك ايديا مستترة تعمل فى العاصمة بغداد لصالح القرامطة ماذكره القرمطى فى تاريخ الصلة من انه فى سنة ٣١١ هـ قبض على الوزير حامد بن العباس وعلى بن عيسى وولى الوزارة على ابن محمد بن الفرات ووصلت هذه الاخبار الى ابى طاهر فى وقتها قبل ان تنتشر فى الكوفة والبصرة فكان القرامطة يقولون يوم دخولهم البصرة تهكما ويلكم مابال سليطينكم فى ابعاد ذلك الشيخ عن نفسه وليعلمن مايلقى بعده قالوا (اى اهل البصرة) ونحن لا ندرى مايقولون حتى وردنا الخبر بعد ذلك بالقبض على حامد وعلى وولاية ابن الفرات فعلمنا ما ارادت القرامطة وان الخبر اتاهم من وقته .(٣)

---

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ٥٨) .

(٢) انظر مذاهب الاسلاميين (٢ : ١٣٣ - ١٣٤) .

(٣) صلة تاريخ الطبرى لعريب القرطبى (ص ٧٦) .

رابعا : اننا حينما نفكر فى الاحداث التى قام بها ابو طاهر القرمطى نجد انه كان يركز على مهاجمة الحجاج فى ذهابهم وايابهم . ففى ٣١٢ هـ التقى بالحاج وقتل منهم خلقا كثيرا مما دفع والى الكوفة بالذهاب لحمايتهم من قبضة القرمطى ولكنهم انهزموا فاسر والى الكوفة وتلطف لابى طاهر فاستأمنه وامر القرمطى بعد ذلك بتمييز الحاج عن الجيش الذى جاءهم من الكوفة فلما عزل الحاج اخذ مامعهم وتركهم فمات اكثرهم ورجع الباقى بشر حال وفى صورة الموتى (١) . بل استطاع عدة سنوات منع المسلمين من اداء فريضة الحج - ولا سيما اهل المشرق والشمال - ووسيلته فى ذلك حملات مكثفة ومتلاحقة مهمتها القتل والسلب والنهب لقوافل الحجاج وانه من خلال السرد التاريخى لهذه الاحداث فى فترة ابى طاهر يتضح لنا الدأب والاستمرار على مهاجمة قوافل الحجاج بدءا بسنة ٣٠٢ هـ حتى آخر حياته وان مثل هذه التصرفات لم تكن رغبة فى الاموال وحدها بل ان وراءها خلفيات عميقة طالما غفل عنها الكثير من المؤرخين .

ان القرامطة وعلى رأسهم ابو طاهر يدركون ماللحج من مغزى عميق وآثار بعيدة فى تعميق روابط الامة الاسلامية والتفافهم حول الخلافة العباسية التى كانت تعتبر نفسها حامية للحرمين وللمقدسات الاسلامية ولذا كانت حتى فى عهد ابى طاهر القرمطى ترسل وفود الحجاج وتؤمر على الحج اميرا من قبلها يقود مسيرة الحجاج .

ولذلك عمد ابو طاهر الى محاولة تمزيق هذه الروابط بحملاته المكثفة على الحجاج الذين يشكلون جماعات متعددة من انحاء العالم الاسلامى كما نجح فى اظهار الخلافة العباسية بمظهر العاجز عن حماية رعاياها من المسلمين وتأمين طريقهم الى بلاد الحجاز . ولا شك ان ظهورها بهذا المظهر يضعف هيبتها امام العالم الاسلامى وهو ماكان يرجوه ويعمل من اجله ليمهد السبيل امام انصاره العبيديين وقيام دولتهم لامامة العالم الاسلامى

---

(١) انظر اتعاظ الحنفا (١ : ١٨٠) .

حيث ان امير المؤمنين الحقيقي هو من كان ملكا للحرمين[1] .

كما ان التعرض للحجاج سنة بعد اخرى ينبئ من فكرة وعقيدة لدى القرامطة باعتبار ان الحج من شعائر الجاهلية ومن قبيل عبادة الاصنام وان هذه الشعيرة الظاهرة ينبغى ازالتها والقضاء عليها من اذهان المسلمين وستتضح هذه الفكرة اكثر عند الحديث على اعتداء ابو طاهر على الكعبة واخذه الحجر الاسود وقتل حجاج بيت الله الحرام سنة ٣١٧هـ .

ومن الجدير بالذكر ان اعتداءاته على الحجاج واستيلاءه على طريقهم ذهابا وايابا كان توطئة ومقدمة لاجرامه الشنيع الذى ظل وسيظل عارا ومظهرا من مظاهر الزندقة والالحاد سطره التاريخ عليهم ويتمثل هذا الاجرام بمهاجمة مكة واخذ الحجر الاسود سنة ٣١٧هـ .

---

(١) الحضارة الاسلامية لادم ميتز (١ : ٢٤) .

مهاجمة مكة واخذ الحجر الاسود

بلغت فظائع ابى طاهر ذروتها بمهاجمة مكة واستهانته بالمسلمين سنة ٣١٧هـ وقد اجمعت كتب التاريخ على سياق هذا الحادث المريع ولم يغفله اى مؤرخ نظرا لخطورته ومايعبر عنه من الحاد سافر من قبل هذه الفئة المجرمة وقد تحدث عنه المؤرخون بسطا وايجازا والذى يهمنا من ذلك الدوافع التى دفعت هؤلاء الى ارتكاب اعظم جرم فى حق هذا البيت الحرام والمنطلقات الفكرية التى ينادون بها وهم يقدمون على انتهاك حرمات الله فيحدثنا نظام الملك فى كتابه سياست نامه ان ابا طاهر ارسل الى الدعاة يطلب الكتاب المقدس عندهم والمسمى (بالبلاغ السابع)(١) فارسلوه فلما قرأ الكتاب تغيرت حاله وطفق يقول لكل من فى البحرين والاحساء من الشبان ذوى السلاح اقبلوا فان لكم عندى عملا . وكان ميقات الحج قريبا فاجتمع حوله خلق فحشدهم وسار بهم الى مكة(٢) .

من هذا المنطلق تحرك ابو طاهر . واما الحجاج فقد توافدت على بيت الله الحرام من كل فج عميق فما شعروا الا بالقرمطى قد خرج عليهم فى جماعته يوم التروية فانتهب اموالهم واستباح قتالهم فقتل فى رحاب مكة وشعابها وفى المسجد الحرام وفى جوف الكعبة من الحجاج خلقا كثيرا وجلس اميرهم ابو طاهر على باب الكعبة والرجال تصرع حوله والسيوف تعمل فى الناس فى المسجد الحرام فى الشهر الحرام يوم التروية وهو يقول : انا الله

---

(١) سبق وان ذكرنا هذا الكتاب عند ذكر مؤلفات عيدان وانه يمثل نتيجة المذهب والكشف الاكبر ويقول ابن النديم عنه " قد قرأته ورأيت فيه امرا عظيما من اباحة المحظورات والوضع من الشرائع واصحابها " . انظر الفهرست لابن النديم (ص ٢٤٠) .

(٢) سياسة نامه للطوسى (ص ٢٧٩ - ٢٨٠) .

وبالله انا . . انا اخلق الخلق وافنيهم انا .

فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون باستار الكعبة فلا يجدى ذلك عنهم شيئا بل يقتلون وهم كذلك . ويطوفون فيقتلون فى الطواف .

اما البيت فهدم قبة زمزم وامر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها ووزعها بين اصحابه وامر رجلا ان يصعد الى ميزاب الكعبة فيقتلعه فسقط على أم رأسه فمات ثم امر بان يقلع الحجر الاسود فجاءه رجل فضربه بمثقل فى يده وقال : اين الطير الابابيل اين الحجارة من سجيل . ثم قلع الحجر الاسود واخذوه حين راحوا معهم الى بلادهم (١) .

ويذكر الذهبى : ان القتلى حول البيت الف وسبعمائة واما القتلى بمكة وبظاهرها فقاربوا ثلاثين الفا وانهم سبوا الحريم والصغار ولم يحج احد ولا وقف بالناس امام (٢) .

ويقدر المقريزى ما اخذه من الاموال والامتعة فيقول انه اخذ ستة وعشرين الف جمل خفا وضرب آلاتهم واثقالهم بالنار واستملك من النساء والغلمان والصبيان ماضاق بهم الفضاء كثرة (٣) .

هذا وكثير من المؤرخين يذكرون تفاصيل منقولة عن الاسرى تدل على الالحاد السافر لهؤلاء المجرمين وعلى رأسهم الطاغية ابو طاهر القرمطى نختار منها ماذكره ابن الجوزى فى المنتظم بعد ان ساق السند قال :اخبرنى رجل من اصحاب الحديث اسرته القراطمة واستعبدته سنين ثم هرب منها لما امكنه قال كان يملكنى رجل منهم يسومنى سوء العذاب ويستخدمنى اعظم خدمه ويعربد على اذا سكر فسكر ليلة واقامنى حياله وقال ماتقول فى محمد هذا صاحبكم ؟ فقلت لاادرى ولكن ماتعلمنى ايها المؤمن اقوله فقال كان رجلا سائسا .

فما تقول فى ابى بكر قلت لاادرى . قال كان رجلا ضعيفا مهينا . فما

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ١٦٠-١٦١) ،الكامل لابن الاثير (٨ : ٧١) .

(٢) دول الاسلام للذهبى (١ : ١٩٢) .

(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٨٢) .

تقول فى عمر ؟ قلت لا ادرى قال كان والله فظا غليظا . فما تقول فى عثمان ؟ قلت لا ادرى قال كان جاهلا احمق فما تقول فى على ؟ قلت لا ادرى قال كان مخرقا اليس يقول ان هاهنا علما لو اصبت له حملة . اما كان فى ذلك الخلق العظيم بحضرته من يودع كل واحد منهم كلمة حتى يفرغ ماعنده هل هذه الا مخرقة ؟ ونام فلما كان من غد دعانى فقال ماقلت لك البارحة ؟ فاريته انى لم افهمه فحذرنى من اعادته والاخبار عنه بذلك فاذا القوم زنادقة لا يؤمنون بالله ولا يفكرون فى أحد من الصحابة [١] .

ويقول ابن الجزار : حدثنى من اثق به قال دخل بعض اصحاب القرمطى المسجد الحرام وهو راكب يمشى بدابته على بعض جسمى وأنا مجروح ملقى بين القتلى حول البيت فتحركت وخفت على نفسى فقال تقرأ سورة الفيل قلت : نعم قال : فأين تلك الطير الابابيل ؟ قال : فقلت له حيث شاء الله تعالى قال . فقال ياحمار تعبدون الحجارة وتطوفون بها وتلثمون اركانها وترقصون حولها ... قال فعلمت انهم زنادقة ومن بقايا اهل الردة [٢] .

ويمضى القرمطى واصحابه فى التهكم والاستهتار بآيات الله الى ان يبلغ به الحاده فى التطاول على مقام الله عز وجل وانكار نسبة البيت اليه قائلا :

فلو كان هذا البيت لله ربنا ... لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا حججنا حجة جاهلية ... محللة لم تبق شرقا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصفا ... كتائب لا تبغى سوى ربها ربا
ولكن رب العرش جل جلاله ... لم يتخذ بيتا ولم يتخذ حجبا [٣]

---

(١) المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٢٢٤) .
(٢) العيون والحدائق لمجهول (٤ : ٣٤٩) .
(٣) كشف اسرار الباطنية للحمادى اليمانى (ص ٣٣) .

ومما مضى يتضح لنا ان ابا طاهر وزمرته قد الحدوا الحادا بالغا وتحدوا جميع المسلمين باعتدائهم الصارخ على بيت الله الحرام فماذا كانت ردة الفعل من قبل العالم الاسلامي ؟

وللاجابة على ذلك نقول ان اى مسلم عنده نبض من الايمان لابد وان ينتظر ان يكون لهذه المصيبة العظمى التى اصابت الاسلام وقع شديد على جميع المسلمين وخليفتهم فى بغداد وتكون وراء ذلك حركة طيبة تؤدى الى جمع قوى المسلمين ووضع حد لغزوات القرامطة وفظائعهم وتهكمهم على الدين واهله ولكن انى ذلك ولم يبق من عز الخلفاء السابق الا الالقاب الطويلة العريضة .

وكانت النتيجة أن الخلافة العباسية لم تقم بأى عمل لصد ابى طاهر بل اكتفى الخليفة المقتدر بانفاذ رسالة اليه يوبخه فيها ويتوعده فرد عليه ابو طاهر بما يدل على عدم اكتراثه به [١] ومع ذلك فان المسلمين كافراد وجماعات لم يتركوا هذا المجرم كما فعلت الدولة العباسية فكانت هناك محاولات فردية لرد الحجر الاسود وتخليص اسرى المسلمين الذين بحوزة أبى طاهر . يقول صاحب العيون والحدائق : انه لما خرج القرمطى من مكة عرضت له هذيل وحاربوه حربا شديدة بغية الحصول على الحجر الاسود وارجاعه الى مكانه ولم يتمكنوا من ذلك ولكنهم فى حربهم خلصوا كثيرا من الرجال والنساء المأسورين [٢] .

كما يذكر كثير من المؤرخين كابن الجوزى وابن الوردى والسيوطى [٣] ان بجكم امير بغداد بذل جهدا كبيرا فى رد الحجر الاسود الى مكة عن طريق الاغراء فقدم لابى طاهر خمسين الف دينار فلم يرده .

---

(١) كشف اسرار الباطنية للحمادى اليمانى (ص ٣٣ - ٣٤) .
(٢) العيون والحدائق لمجهول (٤ : ٣٤٩) .
(٣) انظر المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٣٦٧) ، تاريخ ابن الوردى (١ : ٢٦١) تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ٣٨٣) .

كما يذكر ابن الاثير ايضا : ان محمد بن ياقوت - حاجب الخليفة - ارسل رسولا الى ابى طاهر يطلب منه عدة امور ومنها رد الحجر الاسود الى مكانه فاجابه ابو طاهر القرمطى ببعضها ولكن الحجر الاسود لم يرده[1].

موقف الدولة العبيدية من هذا الاجرام .

غنى عن البيان ان العبيديين تولوا زعامة جميع طوائف الاسماعلية ومنهم القرامطة وكانت هذه الطوائف تأتمر بامرهم وتنفذ سياستهم الرامية الى القضاء على المذهب السنى والذى تمثله الدولة العباسية .

ان تصرفات القرامطة وتحركاتهم ماهى الا تنفيذ على رسم لهم من قبل زعمائهم العبيديين - ولا سيما فى فترة ابى طاهر - حيث كان لعبيد الله المهدى اطوع من بنانه وقد استمر على ولائه واخلاصه له والمنضوين تحت لوائه حتى توفى عام ٣٣٢هـ[2].

اذن هل كان اعتداء ابى طاهر القرمطى على المقدسات الاسلامية وسلبه مافيها مع قتل الحجاج وارهاب المسلمين بامر من الدولة العبيدية واذا لم يكن ذلك فهل اقرته على هذا الاجرام والالحاد ؟ ؟ وللاجابة على ذلك اقول : ان زعماء الدولة العبيدية اقروا القرمطى على ذلك بل وامروه . وحينما نستعرض الادلة والحقائق نجد ان غالب الروايات تؤيد ماذهبنا اليه سوى ماذكره ابن سنان وابن الاثير من ان عبيد الله المهدى لما بلغته احداث ابى طاهر وجرائمه فى مكة كتب اليه ينكر عليه قائلا : قد حققت على دولتنا وشيعتنا ودعاتنا اسم الكفر والزندقة والالحاد بفعالك الشنيعة هذه وان لم ترد على اهل مكة والحجاج مانهبته منهم وترد الحجر الى موضعه وترد كسوة الكعبة كما كانت والا اتيت اليك بجنود لا قبل لك بها وكان الجواب من ابى طاهر ان رد الحجر الاسود الى مكانه واستعاد ما امكنه

---

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ١٠٢) .

(٢) انظر كتاب عبيد الله المهدى لحسن ابراهيم وطه شرف (ص ٢١١) .

من الاموال الى اهل مكة[1] .

وهذه الرواية - مع ضعفها - تعتبر مخالفة لواقع الاحداث لان القرامطة لم يردوا الحجر الاسود الا في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة اى بعد اخذه باثنين وعشرين عاما وبعد وفاة عبيد الله المهدى بسبع عشرة سنة وقد استدرك ابن خلكان هذا الخطأ الذى وقع فيه ابن الاثير حول هذه الرواية بقوله وهذا الذى ذكره شيخنا (اى ابن الاثير) من كتاب المهدى الى القرمطى في معنى الحجر وانه رده لذلك لا يستقيم لان المهدى توفى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وكان رد الحجر في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة . اى بعد موت المهدى بسبع عشرة سنة[2] . هذا فضلا عن ان ابن الاثير وابن سنان ذكرا ما يتعارض مع روايتهما هذه وذلك حينما تعرضا لاحداث سنة ٣٣٩هـ حيث اثبتا ان رد الحجر الاسود كان في هذه السنة[3] .

ومما يؤكد ضعف هذه الرواية ما اتفق عليه الكثير من المؤرخين من ان رد الحجر الاسود انما كان سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة[4] .

ويتضح مما ذكرنا ان موقف الدولة العبيدية من اعمال ابى طاهر الاجرامية انما هو موقف المؤيد ان لم يكن الامر . ومما له مدلول ومغزى انه لما طلب من ابى طاهر القرمطى رد الحجر الاسود امتنع قائلا : اخذناه بامر واذا ورد الامر برده رددناه[5] . كما ان اخوة ابى طاهر لما ردوا الحجر

---

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ٧١) ، تاريخ اخبار القرامطة (ص ٥٤) .

(٢) وفيات الاعيان (٢ : ١٤٩) .

(٣) تاريخ اخبار القرامطة (ص ٥٧) ، الكامل لابن الاثير (٦ : ٣٣٥) .

(٤) انظر دول الاسلام للذهبى (١ : ١٠٥) ، البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٢٢٣) ، المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٣٦٧) ، تاريخ ابن الوردى (١ : ٢٨٤) ، الفخرى لابن طباطبا (ص ٢٨٩) ، العيون والحدائق لمجهول (٤ : ٣٥٩) .

(٥) انظر المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٣٦٧) ، البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٢٢٣) .

الاسود الى مكانه كتبوا كتابا يذكرون فيه انهم ردوا الحجر الاسود بامر من اخذه وبامره .(١)

ويوضح ابن خلدون الامر اكثر فيقول : انهم - اى قرامطة البحرين - زعموا انهم انما حملوه بامر امامهم عبيد الله المهدى وانما يردونه بامره او امر خليفته .(٢)

ويقول برنارد لويس : ان القرامطة اعادوا الحجر الاسود الى موضعه سنة ٣٣٩هـ بامر من الفاطميين .(٣)

ومن خلال هذه الروايات المتعددة يتبين لنا بوضوح ان اعمال ابى طاهر القرمطى الاجرامية انما كانت بامر من امامه العبيدى الذى كان يخطب له فى كل مكان حتى فى السنة التى اعتدى فيها على الحجاج وانتهك المسجد الحرام اقام الخطبة فيها لعبيد الله المهدى بدلا من الخليفة العباسى (المقتدر) .(٤)

والخلاصة ان ابا طاهر القرمطى ليس له الا دور التنفيذ امام اوامر امامه عبيد الله المهدى والذى ظل مخلصا له حتى موته . يقول غالب : والملاحظ ان ابا طاهر كان حائزا على ثقة الفاطميين ومتمتعا برضاهم لانه كان يتلقى اوامرهم وارشاداتهم فينفذها بدقة متناهية وظل على اخلاصه لهم حتى وفاته سنة ٣٣١هـ .(٥)

هدف القرامطة من اخذهم الحجر وتدميرهم للكعبة .

من المسلم به ان اعمال ابى طاهر القرمطى فى مكة سنة ٣١٧هـ ليست مصادفة وانما كان وراء هذه الاعمال اهداف وغايات تحقق بعضها ولم يتحقق

---

(١) المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٣٦٧) .
(٢) العبر لابن خلدون (٤ : ٩١) .
(٣) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١٨٧) .
(٤) درر الفرائد لعبد القادر الانصارى (ص ٢٢٦) .
(٥) الحركات الباطنية لمصطفى غالب (ص ١٣٥) .

البعض الاخر وعن هذه الاهداف وتلك الغايات يحدثنا الحنفي قائلا : ان ابا طاهر بنى دارا في هجر سماها دار الهجرة واراد نقل الحج اليها ... وفي سنة ٣١٧هـ دخل مكة وخرب الكعبة ونقل الحجر الاسود وحمله معه يريد ان يحول الحج الى مسجد الضرار الذى سماه دار الهجرة .... ثم يتابع حديثه قائلا : ولما ايست القرامطة عن تحويل الحجاج حجهم الى هجر ردوا الحجر الاسود الى محله في عشر ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة[١] كما يقول ابن خلدون عن ابى طاهر : انه قلع الحجر وانصرف به واراد ان يجعل الحج عنده[٢] . ويؤيد ذلك ماذكره ابن الوردى : من ان القرمطي لما اخذ الحجر الاسود قال هذا مغناطيس بنى آدم وهو يجرهم الى مكة واراد ان يحول الحج الى الاحساء[٣] .

وماذكره العصامى : من ان ابا طاهر اراد من نقله الحجر تحويل الحج الى الاحساء[٤] .

وهكذا ومن خلال مانقلت نجد ان جمعا من المؤرخين يتفقون على هذا الهدف حتى ان كاتبا معاصرا ـ حينما ذكر هذه الاحداث ـ عنون لها بقوله " فشل الامراء والملوك في تحويل الناس عن الكعبة " وذكر انه بعد موت ابى طاهر رأى قومه ان من المستحيل تحويل الحج عن الكعبة الى بلادهم فقام سنبر بن الحسين القرمطي برد الحجر الى مكة[٥] .

كما يقول النشار : ان غاية ابى طاهر من اقتلاع الحجر الاسود ايقاف فريضة الحج وعرقلتها ذلك لانه يؤدى على طريقة السنة[٦] . لكن تامر ذكر ـ مدافعا عن القرامطة ـ ان لهم رأى حول هذا الموضوع يتلخص بما يلي : ان تعاليم الاسلام الغت الاصنام ونبى الاسلام امر بتهديمها فما لهذه الاصنام

---

(١) انظر اخبار مكة للحنفي (٣ : ١٦٢ - ١٦٣) .
(٢) العبر لابن خلدون (٤ : ١٩١) .
(٣) تاريخ ابن الوردى (١ : ٣٦١) .
(٤) سمط النجوم العوالى (٣ : ٣٦٠) .
(٥) الرحلة الحجازية لمحمد البتنونى (ص ١٣١) .
(٦) نشأة الفكر الفلسفى للنشار (٢ : ٤٧٤) .

تمود بعد انتقال النبى ثم ذكر انهم استشهدوا بقول لعمر رضى الله عنه واورده محرفا[1] . ولصفاقة هذا الرأى وخلوه من الادلة فانه لا يستحق مناقشة فضلا عن ان الكاتب ـ وكما هى عادته ـ لم يذكر مصدرا لهذا الكلام الذى ارجح انه جاء به من عند نفسه تعصبا لهذه الفئة المجرمة .

ولا بد من القول بان عددا لا يستهان به من اتباع ابى طاهر كانوا مجوسا ويرون فى نقل الحجر الاسود انتقاما من الاسلام ونبيه ومحاولة للقضاء عليه وعلى طقوسه[2] . وبعد تلك الاحداث الدامية والمنطلقات الالحادية التى فعلها ونادى بها فى بيت الله الحرام لم يتوقف عن ايذاء المسلمين ـ ولا سيما الحجاج ـ حيث قام بغزو العراق بعد عام من غزو مكة وفى عام ٣١٩ هـ يتوجه الى الكوفة ويحط رحاله فيها لمدة خمسة وعشرين يوما قتل من اهلها الآمنين ـ فى هذه الفترة ـ مقتلة عظيمة[3] ويذكر ابن خلدون ان ابا طاهر ظل فى هذه الفترة يتعاهد العراق والشام بالغزو حتى ضربت له الاتاوة ببغداد ودمشق على بنى طغج[4] .

ومع ذلك كله اخذ يهدد الدولة العباسية ـ مستغلا ضعفها الشديد ـ باحتلال بغداد ولكن ابن رائق حاول اقناعه بالعدول عن ذلك فرفض ابو طاهر القرمطى ثم حاوله باسلوب آخر وهو : الاغراء المادى حيث دفع له جزية قدرت بمائة وعشرين الف دينار فقبل ابو طاهر شريطة ان تحمل الى بلده فى البحرين .

وهكذا اخذ ابو طاهر يتبع سياسة جديدة بضرب الاتاوات واخذ الجزية من الدولة العباسية ومن حجاج بيت الله الحرام .

غير ان ابا طاهر عاد فى السنة التالية سنة ٣٢٣ هـ فاعترض الحجاج حينما بلغوا القادسية ولكنهم لم يعرفوه " فقاتله اصحاب الخليفة واعانهم

---

(١) القرامطة لعارف تامر (ص ٢١٣) .
(٢) نشأة الفكر الفلسفى (٢ : ٤٧٤) .
(٣) صلة تاريخ الطبرى لعريب (ص ١١٣) .
(٤) العبر لابن خلدون (٤ : ١٩١) .

الحجاج ثم التجأوا الى القادسية فخرج جماعة من العلويين بالكوفة الى ابى طاهر فسألوه ان يكف عن الحجاج فكفعنهم وشرط عليهم ان يرجعوا الى بغداد فرجعوا ولم يحج بهذه السنة من العراق أحد [١] .

استمر طريق الحج مخوفا ومهددا من قتل ابى طاهر وزمرته يسلب الحجيج ويقتلهم ويسبى نساءهم وانه لامر يدعو الى العجب حقا هذا التركيز والاستمرار فى ملاحقة الحجاج والحيلولة بينهم وبين اداء ركن من اركان الاسلام نتيجة ذلك التركيز واجه ابو طاهر اللوم عليه من كل حدب وصوب حتى من اصحابه واتباعه ،فيحدثنا المقريزى قائلا : انه بلغ القرمطى ان رجلا من اصحابه قال :

والله ماندرى ماعند سيدنا ابى طاهر من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الارض وغربها واتخاذهم ومن ورائهم اعداء ومايفوز باكثراموالهم الا الاعراب والشذاذ من الناس فلو انه حين ظفر بهم دعاهم الى ان يؤدى كل رجل منهم دينارا ويطلقهم ويؤمنهم لم يكره ذلك منهم احد وخف عليهم وسهل وحج الناس من كل بلد لانهم طمأى الى ذلك جدا ولم يبق ملك الا كاتبه وهاداه واحتاج اليه فى حفظ اهل بلده وخاصته وجاءه فى كل سنة من المال مالا يصير لسلطان مثله من الخراج واستولى على الارض وانقاد له الناس وان منع من ذلك سلطان اكتسب المذمة وصار عند الناس هو المانع من الحج .

فاستصوب القرمطى هذا الرأى ونادى من وقته فى الناس بالامان واحضر الخراسانية فوطأ امرهم على انهم يحجون ويؤدون اليه المال فى كل سنة ويكونون آمنين على انفسهم واموالهم واخرج اهل مصر ايضا عن الحاج ضرائب من مال السلطان [٢] ويذكر السيوطى [٣] وابن الجوزى [٤] ذلك غير انهما

---

(١) تاريخ اخبار القرامطة (ص ٥٥) ،الكامل لابن الاثير(٨ : ١٠٨) .
(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٨٣ - ١٨٤) .
(٣) تاريخ الخلفاء (ص ٣٩٢) .
(٤) المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٢٩٦) .

يقولان : ان تخلى ابى طاهر القرمطى عن مهاجمة الحجاج مقابل ضريبة انما كان ذلك بوساطة ابى على عمر بن يحيى العلوى كما يذكران انها اول سنة اخذ فيها المكس على حجاج بيت الله الحرام ويحددانها بالسنة السابعة والعشرين وثلثمائة مئة للهجرة .

ولم يزل المسلمون ولا سيما الحجاج مع هذه الفئة فى شدة وبلاء وسلب ونهب حتى القى الله العداوة والبغضاء بينهم سنة الله فى كل تجمع لا يقوم على الحق واعلاء كلمة الله . قال تعالى : " الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين " [(١)] .

ان ماوقع بين قرامطة البحرين من خلاف كان حصيلته القضاء على كثير من زعمائهم ويتمثل بحركة قام بها ابو طاهر تعتبر من اشد الاحداث غرابة فى حياته فقد ظهر فى البحرين فى ظروف غريبة وفى جو من الغموض رجل يدعى ابن ابى زكريا الطامى كما يدعوه البيرونى او الصفوى كما يسميه ثابت بن سنان او زكريا الخراسانى كما يسميه عريب [(٢)] .

وملخص الحادث ان لابن سنبر احد رؤساء القرامطة عدو بينهم يعرف بابى حفص الشريك فاستدعى ابن سنبر صديقا له من اصفهان اسمه ذو النون الصفوى ووعده ان يكشف له عن اسرار القرامطة ويسلم له الامر كله اذا هو قتل ابا حفص فضمن له ذلك . فذهب الاصفهانى الى ابى طاهر واعطاه العلامات فسلم له الامر وقال : هذا الذى كنت ادعوكم اليه والامر له فلما تمكن من الامر وثبت قتل ابا حفص وامعن فى قتل آخرين فخافه ابو طاهر وشك فى امره فامتحنه ووقف على كذبه فاعلن انه محتال وقتله . وهذا الحادث يذكره ابن الاثير وابن سنان فى احداث سنة ٣٢٦هـ وللقصة رواية اخرى ذكرها عريب وذكر فيها ان هذا الرجل انما جاء عن طريق الاسر وانه

---

(١) سورة الزخرف : ٦٧ .

(٢) انظر تاريخ اخبار القرامطة (ص ٥٦) ، صلة تاريخ الطبرى (ص ١١٣) .

واحد من الاسرى ولكن عنده من الحيل والمخرقة وقوة الكلام والجرأة ما اوصله الى التحكم فى قرامطة البحرين مدة قليلة . ويذكر هذا الحادث فى سنة ٣١٩ هـ .

اما عبد الجبار الهمذانى فانه يذكر الحادث عقب غزو مكة مباشرة ويسمى الفارس بذكيره الاصفهانى المجوسى وقد اسهب فى الكلام على هذا الرجل الا اننا نختار ايجازا مما كتب عنه ذكره لويس فى اصول الاسماعيلية يقول : ان القرامطة اعلنوا اثناء حكم المجوس بان جميع تعاليمهم السابقة عن المهدى والنسب النبوى ماهى الا لغو وكشفوا عن اسرار فرقتهم كلها ونشروا لاول مرة قصة عبد الله بن ميمون وديندان وغيرهما وخططهم فى خداع المسلمين وطعنوا فى جميع الاديان واحرقوا الكتب الدينية كلها ونادوا بزكريا الها واستحلوا المحرمات ولكنهم ندموا اخيرا وقتلوا زكريا وقلدوا ابا طاهر الامر من جديد ورجعوا الى ولائهم للمهدى [١] .

ويزيد الهمذانى على من سبقه بذكر بعض الاثار المترتبة على فضيحة هذا المجوسى لقرامطة البحرين وعلى رأسهم ابو طاهر فيقول : ان ابا طاهر غزا بعد قتل زكيره ونهب وجاء الى الكوفة فصار اصحابه لا يمتثلون امره كما كان وقد كانوا لا يخالفونه فى شىء البته وكان اى شىء نهبوه او غنموه يسلمونه اليه ولا يخونونه فى شىء منه لانه حجة الله وان المال يجبيه للمهدى فصار بعد قصة ذكيره لا يعطونه ما ينهبونه وصاروا يشربون ويسمعون القيان ويطلبون المواخير [٢] .

كما كان لفضيحة هذا الدجال الفارسى اثر كبير فى اشغال القرامطة واشعال نار الفتنة بينهم مما الهاهم عن متابعة حروبهم واضعف قواهم المادية والمعنوية .

---

(١) الاثار الباقية للبيرونى ، الكامل لابن الاثير (٨ : ١٢٤) ، تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ٥٥ - ٥٦) ، صلة تاريخ الطبرى (٨ : ١١٣) ، تثبيت دلائل النبوة للهمذانى (٢ : ٣٨٦ - ٣٨٧) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١٨٦) .

(٢) تثبيت دلائل النبوة (٢ : ٣٨٨) .

ويقول ابن الاثير بعد ذكره حادثة الرجل الاصبهانى ان لهـــذا الرجل اثر كبير على القرامطة واختلال امورهم حيث كان هذا سبب تمسكهـم بهجر وترك قصد البلاد والافساد فيها [(١)] .

ولذا لم يكن هناك حوادث تذكر للقرامطة فى هذه الفترة حتى اذا اطلت بداية النهاية لهذا الجبار السفاك للدماء وهى سنة ٣٣٢هـ توفى ابوطاهـر فى رمضان من هذه السنة " اصابه جدرى فمات " [(٢)] . وكان قد استذل الحجـاج طيلة حياته وبلغ الذل والضعف بالمسلمين انهم لم يحجوا فى السنة التى توفـى فيها وفى ذلك يقول ابن الجوزى :

" انه لم يحج فى هذه السنة (سنة ٣٣٢هـ) احد من بغداد ولا مـن خراسان لاجل موت الهجرى فلم يحضر احد من اهل هجر يبذرق الحـاج فخاف الناس فاقاموا " [(٣)] .

قيادة الحركة القرمطية بعد وفاة ابى طاهر .

تمتاز تلك الفترة من فترات حكم القرامطة بميزتين :

الاولى : ان الحكم اصبح جماعيا بعد ان كان فرديا فى عهد مؤسسـى الدولة ابى سعيد وابنه ابى طاهر حيث تولى الحكم بعد أبى طاهر اخوتـه الثلاثة وهم :

(١) ابو القاسم سعيد وهو الاكبر .

(٢) وابو العباس الفضل وكانا يتفقان معا على الرأى والتدبير .

(٣) وابو يعقوب يوسف لا يجتمع بهما وهو مشغول بالشرب واللهو .

وكانت كلمة الثلاثة واحدة والرياسة لجميعهم وكانوا يجتمعون علـى رأى واحد فيمضونه وكان وزراؤهم سبعة كلهم من بنى سنبر [(٤)] .

---

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ١٢٤) .

(٢) المرجع السابق (٨ : ١٤٧) .

(٣) المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٣٣٦) .

(٤) الكامل لابن الاثير (٨ : ١٤٧) ، المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٣٣٦) .

الميزة الثانية : انه فى تلك الفترة خف التوتر بين القرامطة البحريين والعباسيين حيث مر بنا ان سعيد بن الحسن اخو ابا طاهر قد عزله القرامطة لتقربه من العباسيين سنة ٣٠٥هـ وبعد وفاة اخيه ابو طاهر تولى الزعامة من جديد هو واخوته . وقد رد الحجر الاسود فى هذه الفترة . كما يذكر ابن الاثير فى احداث سنة ٣٠٩هـ ان الخطبة بمكة كانت للمطيع لله العباسى وللقرامطة البحريين .(١)

ومثل هذه السياسة لا ترضى عنها الدولة العبيدية التى كانت تعتبر حركة القرامطة غصن من اغصانها الممتدة فى الشرق . فاوعزت بابعادهم عن الحكم وتعيين احمد بن الحسن بن بهرام لقيادة القرامطة وهو اخ لابى طاهر .

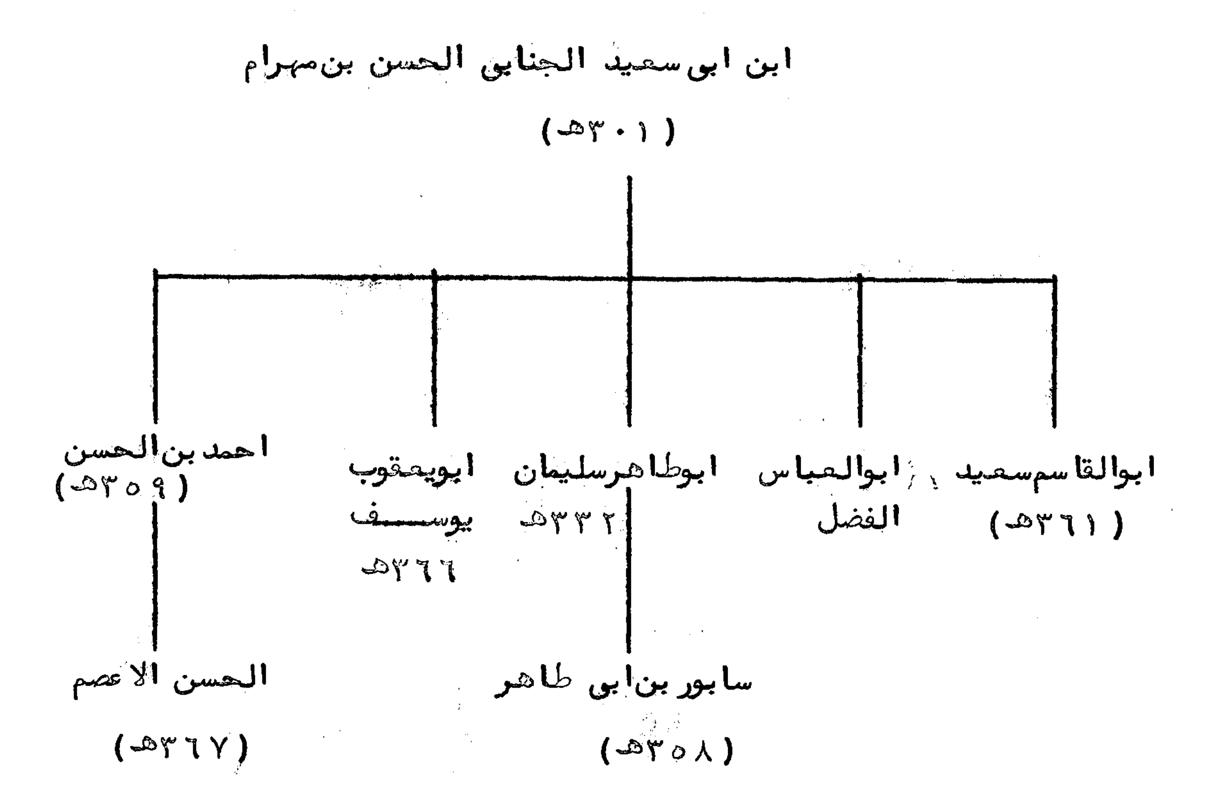
ويقول ابن خلدون ان بعض العقدانية اختلفوا عليه ومالوا الى ولاية سابور بن ابى طاهر وكاتبوا القائم فى ذلك فجاء جوابه بولاية الاخ احمد وان يكون الولد سابور ولى عهده فاستقر احمد فى الولاية عليهم .(٢)

فى مثل هذه الظروف لن تتمتع دولة القرامطة بالهدوء والاستقرار فسرعان ماحدث نزاع بين افراد الاسرة على العرش " حيث قبض سابور على عمه ابى منصور (احمد بن الحسن) فاعتقله بموافقة اخوته له على ذلك وذلك سنة ٣٥٨هـ ثم ثار بهم اخوه فاخرجه من الاعتقال وقتل سابور ونفى اخوته واشياعهم الى جزيرة اوال .(٣)

ولكن احمد بن ابى سعيد الجنابى ماليث فترة طويلة حيث توفى بعد سنة من هذه الاحداث اى سنة ٣٥٩هـ وآلت امور البلاد وقيادتها الى ابنه الحسن الملقب بالاعصم .

---

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ٢٢٠) .
(٢) العبر لابن خلدون (٤ : ١٩٢) .
(٣) المرجع السابق .



ومما لابد من الاشارة اليه ان المد القرمطى لم يتوقف فى هذه الفترة الطيئة بالنزاع والخلاف من الداخل .

ففى سنة ٣٥٤هـ انفذ قرامطة البحرين سرية الى عمان وهى منطقة ذاخرة بالخوارج ويذكر ابن الاثير ان القرامطة لما وصلوا الى عمان كان اهلها لا يريدون اميرهم واخرجوه عنهم وادخلوا القرامطة الهجريين اليهم وتسلموا البلد فكانوا يقيمون فيه نهارا ويخرجون ليلا الى معسكرهم وكتبوا الى اصحابهم بهجر يعرفونهم الخبر ليأمروهم بما يفعلون[١] .

وهكذا نرى سلطان القرامطة يتسع فى الجزيرة وينضوى عمان تحت امرتهم بل ان سلطانهم كان يمتد حتى الى مكة حيث ان ابن الاثير يذكر فى سنة ٣٥٩هـ ان الخطبة بمكة كانت " للمطيع لله وللقرامطة الهجريين "[٢] .

---

(١) ابن الاثير (٨ : ٢٠٢) .
(٢) المرجع السابق (٨ : ٢٢٠) .

ولم يكتف القرامطة فى تلك الفترة بنشر تعاليمهم وبسط نفوذهم بالطرق الحربية بل كان يواكب ذلك ارسال الرسل لبعض القبائل القاطنة فى الجزيرة يدعونهم الى مبدئهم وفكرتهم . ففى سنة ٣٥٨هـ ارسلوا رسلا الى بنى نمير وغيرهم من العرب يدعونهم الى طاعتهم فاجابوا الى ذلك واخذ عليهم الايمان[(١)] .

ومن جهة الشمال توجه القرامطة ناحية سيف الدولة الحمدانى فى حلب والموصل وتحسنت العلاقة بين الدولة الحمدانية والقرامطة . ففى سنة ٣٥٣هـ بعث القرامطة الى سيف الدولة يستهدونه حديدا فسير اليهم شيئا كثيرا وحمل ذلك اليهم فى الفرات ثم فى البرية الى هجر[(٢)] .

كما ان القرامطة استغلوا هذه العلاقة فنشروا تعاليمهم وافكارهم هناك وكان ان تأثر بهم بعض الافراد كأبى الطيب المتنبى الذى كان شيعيا بل ان بعض الكتاب المعاصرين يذكرون انه كان قرمطيا وله اشعار فى ذلك[(٣)] .

ووصلت العلاقة بينهم الى ان احد القرامطة واسمه مروان كان يتقلد السواحل الشامية لسيف الدولة[(٤)] .

كما ان الحمدانيين ساندوا الحسن الاعصم القرمطى فى حروبه ضد المعز الفاطمى وابنه العزيز من بعده[(٥)] .

وعلى يد هذا القرمطى الحسن الاعصم تبدأ فترة من فترات القوة والتوسع شبيهة بفترة مؤسس الدولة ابى سعيد وابنه ابى طاهر .

---

(١) الكامل لابن الاثير (٧ : ٣٥) .
(٢) النجوم الزاهرة لابى المحاسن (٣ : ٣٣٦) .
(٣) انظر مع المتنبى لطه حسين (ص) .
(٤) الكامل لابن الاثير (٨ : ٢٠٣) .
(٥) الدولة الحمدانية لفيصل السامر (٢ : ٦٨) .

(٣) الحسن بن احمد بن ابى سعيد الجنابى

تنشط الحركات وتؤدى دورها الفكرى والعسكرى حسب الطموح والمواهب لقادتها وسبق ان مر بنا فى الفترة التى تلت موت ابى طاهر ان الحركة مرت بنوع من الركود ولكن ما ان ظهر الحسن الاعصم كقائد لحركة القرامطة فى البحرين الا واكسبها نوعا من النشاط والتوسع من جديد فهو شخصية بارزة فى اسرة ابى سعيد . يقول ابن خلدون عنه :

"انها طالت مدته وعظمت وقائعه ونفى جمعا كثيرا من ولد ابى طاهر"[1] .

وقبل الحديث عن معاركه الحربية وصولاته وجولاته فى الشام وفلسطين ومصر لابد من الاشارة الى ان الحسن سلك مسلكا بعيدا فى الاهداف والوسائل عن سلفه السابقين وذلك بخلافه مع العبيديين ومعاركه الدامية لهم حتى عقر دارهم . وميله الى العباسيين مستغلا عدائهم للعبيديين . ومن المعروف والواضح لدى كل مطلع وباحث فى هذا الموضوع ان قادة القرامطة ومفكريهم كانوا على ولاء تام للعبيديين يأتمرون بامرهم ويتحركون وفق مخططهم الرامى الى القضاء على الدولة العباسية والمذهب السنى .

لكن الحسن الاعصم سار فى عكس هذا الطريق تماما فعمل على التقرب من العباسيين والتباعد عن العبيديين . وسوف اعرض لهذا النزاع الذى حصل بين فرعين من فروع الاسماعيلية بادئا بذكر الاسباب التى ادت الى ذلك .

فمن المعروف ان الدولة العباسية اصبحت ممزقة بين الدويلات التى تناثرت فى ارجاء رقعتها فالاخشيديون فى الشام والحمدانيون فى حلب والموصل والقرامطة فى البحرين والدولة العبيدية فى مصر والمغرب والبويهيين فى العراق وكان القرامطة بقيادة الحسن الاعصم يحتفظون بعلاقات ودية ومنفعية مع غالب هذه الدويلات المتناثرة . فالاخشيديون نزحوا من مصر

---

(١) العبر لابن خلدون (٤ : ١٩٢) .

بعد احتلال العبيديين لها واستولوا على الشام . ولكنهم وقعوا بين عدوين الدولة العبيدية بمصر ودولة القرامطة فى البحرين ووصلت الانباء الى الحسن بن طفج الاخشيدي بان القرامطة يستعدون لحربه ودخلت جيوش الحسن الرملة بفلسطين وهزموا الاخشيدى ثم جرى بينهم صلح وتقرر ان يدفع الاخشيدى لهم كل سنة ثلثمائة الف دينار[1] .

لكن العبيديين طمعوا فى الشام وارسلوا جيشا بقيادة جعفر بن فلاح الى دمشق وفعلا استطاع ان يحتل دمشق بسهولة ويقضى على الدولة الاخشيدية فى بلاد الشام .

من هنا بدأ النزاع بين قرامطة بلاد البحرين والعبيديين منذ استولى الجيش العبيدى بقيادة جعفر بن فلاح على دمشق ، فقد طالب الحسن بن احمد القرمطى بالاتاوة التى كان يدفعها الاخشيديون لحكومته لكن جعفر بن فلاح رفض اداء هذه الاتاوة اليه . وكان لهذه السياسة اسوأ الاثر فى نفس الحسن بن احمد الذى رأى ان سيادة دولته قد قضى عليها العبيديون هذا بالاضافة الى حرمان حكومته من ضريبة كبيرة كانت تؤدى اليها ومن ثم بدأ يناصبهم العداء[2] .

فى مثل هذه الحالة لم يكن بد من نشوب الحرب بين قرامطة البحرين بقيادة الحسن وبين العبيديين وهذا ماحدث فعلا حيث اخذ الحسن القرمطى يعد نفسه اعدادا ضخما لمحاربة العبيديين فبعث الى الطيع العباسى وعز الدولة بختيار امير بنى بويه فى العراق سنة ٣٦٠هـ يطلب منهما ان يمداه بالمال والرجال ليتسنى له استرداد بلاد الشام ومصر من العبيديين . لكن الخليفة العباسى المطيع لله امتنع من ذلك قائلا : كلهم قرامطة وعلى دين واحد فاما المصريون (يعنى بنى عبيد) فاماتوا السنن وقتلوا العلماء . واما

---

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ٢٢١) ، اتعاظ الحنفا (١ : ١٨٦) .
(٢) العبر لابن خلدون (٤ : ٩٢ ١) ، سياسة الفاطميين الخارجية (ص ١٢٣) .

هؤلاء (يعنى القرامطة) فقتلوا الحاج وقلعوا الحجر الاسود وفعلوا ما فعلوا قلت : (وحيث ان الحاكم العباسى لا امر له ولا تنفيذ اذ كان البويهيون هم الذين بايديهم امور البلاد فلم يكن لكلام الخليفة العباسى اى اثر) ومن ثم رحب عز الدولة بختيار فاعطى الحسن الاعصم مالا وسلاحا [١].

ويقول ابن القلانسى انه ارسل اليهم الف الف درهم والف جوشن والف سيف والف رمح والف قوس والف جعبة وقال : اذا وصل ابو على الجنابى الى الكوفة حمل اليه جميع ذلك . ولما وصل الى الكوفة بعثوا اليه بالمال والسلاح وسار يريد الشام [٢].

اما الدولة الحمدانية فكانت خير معين فى حرب الحسن مع العبيديين يقول النويرى : ان الحسن لما وصل الى الرحبة وعليها ابو تغلب بن حمدان حمل اليه المال المسبب له به عليه وحمل اليه العلوفه وارسل اليه يقول : هذا شىء كنت اردت ان اسير انا فيه بنفسى وانت تقوم مقامى فيه وانا مقيم فى هذا الموضع الى ان يرد الى خبرك فان احتجت الى مسيرى سرت اليك [٣].

ولم تقتصر المعاونة على ذلك بل امده بقوة من الرجال قوامها الاخشيدية الذين وفدوا اليه فرارا مما لحق بهم فى مصر وفلسطين على يد جند العبيديين من المغاربة وكان لانضواء فريق من العقيليين بزعامة ظالم بن موهوب العقيلى تحت لواء الحسن اثر كبير فى ازدياد قواته واحرازه النصر على خصمه [٤].

وهكذا تألب البويهيون والحمدانيون وفلول الاخشيدية مع القرامطة بقيادة الحسن الاعصم ولما اتم الحسن بن احمد اعداد جيشه سار متجها الى دمشق سنة ٣٦٠ هـ وكان مسرح الحرب على الدكة الواقعة على نهر

---

(١) النجوم الزاهرة لابى المحاسن (٤ : ٧٤) .
(٢) ذيل تاريخ دمشق لابى يعلى القلانسى (ص ١) .
(٣) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ورقة ٩٠) .
(٤) سياسة الفاطميين الخارجية محمد سرور (ص ١٢٤) .

يزيد على مقربة من دمشق حيث حلت الهزيمة بجعفر فى شهر ذى الحجة فاسر جعفر بن فلاج ثم قتل هو وكثير من اتباعه . وبذلك تمكن الحسن الاعصم من الاستيلاء على دمشق .

وقد رأى الحسن بن احمد بعد ان دخلت قواته بلاد الشام ان ينهج سياسة تنطوى على الرغبة فى التودد الى اهالى هذه البلاد واكتساب ولائهم فأمن اهل دمشق بعد ان تم له فتحها كما اقام الدعوة فى مساجدها للخليفة العباسى وامر بحذف اسم الخليفة العبيدى من الخطب.[1]

وكان يصاحب تلك المعركة العسكرية دعاية فكرية واعلامية تعطى الدليل على ان قرامطة البحرين نبذوا دولتهم وامامتهم العبيدى الذى كان مصدرا للامر والنهى وتولية القواد على هذه الولاية . فيحدثنا ابو المحاسن قائلا : ان القرمطى سار بجيشه الى الشام ومعه اعلام سود (وهى شعار الدولة العباسية) واظهر ان الخليفة المطيع ولاه وكتب على الاعلام اسم المطيع عبدالكريم (الخليفة العباسى) وتحته مكتوب " السادة الراجعون الى الحق " ولما استولى القرمطى على الشام ذهب الى ابعد من ذلك واعمق حيث فتح صفحة سوداء من التهم والحقائق على حكام بنى عبيد ودولتهم فلعن المعز على منبر دمشق ولعن اباه وقال : هؤلاء من ولد القداح كذابون مخترقون[2] اعداء الاسلام ونحن اعلم بهم ومن عندنا خرج جدهم القداح.[3]

فى مثل هذه الاحداث يرد على المتتبع لحركة القرامطة سؤال لابد من الاجابة عليه وهو : ما الاسباب التى احدثت انعطاف القرامطة عن ائمتهم الاسماعيلية ومحاربتهم لدولتهم العبيدية ؟ وللاجابة على ذلك لابد من الاشارة

---

(١) المرجع السابق (ص ١٢٦) .

(٢) ورد فى القاموس (٣ : ٢٢٦) ان التخريق كثرة الكذب واخترق الكذب اختلقه .

(٣) النجوم الزاهرة لابى المحاسن (٤ : ٧٤) .

الى ان العبيديين تولوا زعامة جميع طوائف الاسماعيلية وقد مر بنا ان عبيد الله المهدى كان يتدخل فى تولية زعماء قرامطة البحرين تدخلا مباشرا فعزل سعيد بن ابى سعيد سنة ٣٠٥ هـ وعين ابا طاهر على رأس القرامطة . ولكن بعد موت ابى طاهر حدث ان انقسم القرامطة الى معسكرين :

معسكر يميل الى العبيديين . ومعسكر يرى الاحتفاظ برئاسة الدولة القرمطية دون الرجوع الى العبيديين . وقد ظلت تلك الحال منذ مات ابو طاهر فى سنة ٣٣٢ هـ حتى سنة ٣٥٨ هـ وتم فى خلال تلك الفترة تحقيق وجهة نظر المعسكر الثانى واخذت الهوة تتسع وتزداد مع الاحداث وفى مثل هذه الحالة كان للعبيديين دور كبير وتدخل مباشر فى مساعدة الفريق الموالى لهم والمتمثل فى اسرة آل ابى طاهر وعلى رأسهم ابنه سابور وقد نجح هذا الفريق حيث تمكنوا من عزل احمد بن ابى سعيد فى سنة ٣٥٨ هـ وقبض سابور على عمه احمد ، واعتقله حيث كان رئيسا للقرامطة غير ان احمد مالبث ان خرج من اعتقاله وقتل سابور ونفى اخوته واشياعه الى جزيرة اوال حتى بلغ ما اجتمع بها منهم نحوا من ثلثمائة [1] . وكان من نتائج قتل سابور ونفى اتباعه ان ضعف الفريق الذى يعتمد عليه العبيديون وتغلب الطرف المناوىء لهم واستبد بالحكم ولا شك ان هذا النزاع بين الاسرتين استغله العبيديون لتوطيد نفوذهم .

كما ان القرامطة المناوئين للعبيديين اعتبروه تدخلا واثارة للنزاع ، ومما يدل على ذلك ان المعز ارسل الى ولد ابى طاهر وبنيه الذين ابعدوا الى جزيرة اوال يخبرهم باحقيتهم فى امارة القرامطة ولما علم الحسن بن احمد القرمطى بذلك امر بحذف اسم المعز من الخطبة فى بلاد البحرين واقامة الدعوة للخليفة العباسى المطيع [2] . كما ان العبيديين اعتبروا قتل سابور خروجا على طاعتهم وانتقاضا لتعاليمهم وهكذا اثر هذه الاحداث بدأ القتال الدموى بين

---

(١) سياسة الفاطميين الخارجية (ص ٤٨) .

(٢) انظر العبر لابن خلدون (٤ : ١٩٣) .

هذين الفرعين من فروع الاسماعيلية . اما السبب الثانى فيتمثل فى تعيين امراء القرامطة فالمصادر التى بين ايدينا لا تعطى اى دليل او اشارة على تعيين الحسن الاعصم من قبل العبيديين وهل انهم اقروه على قيادة الحركة القرمطية فى البحرين ؟

ان المصادر التى بين ايدينا تدل على عكس ذلك تماما وهو ان المعز العبيدى لم يكن راضيا عن هذا التعيين وانه كان يثير عداء بيت ابى طاهر على الحسن من حين الى حين . فلابد ان هذا التدخل فى شئون القرامطة سببا مساعدا لما قبله فى اذكاء نار الحرب بينهما ، لاسيما ان استبداد الحسن الاعصم بالحكم دون الرجوع الى الائمة العبيديين فيه معنى الثورة عليهم وعلى النظام الذى وضعوه للامامة منذ عهد عبيدالله المهدى (١) .

اما السبب المباشر للحرب بينهما فيعود الى احداث سنة ٣٥٩ هـ ، حيث منع العبيديون الضريبة التى كان يدفعها الحسن بن عبيد الله الاخشيدى الى قرامطة البحرين منذ سنة ٣٥٧هـ ويؤيد هذا ماذكره ابن خلدون : من انه لما استولى جوهر على مصر وجعفر بن فلاح الكتامى على دمشق طالب الحسن الاعصم بالضريبة التى كانت له على دمشق فمنعوه - اى الائمة العبيديين - ونابذوه وكتب له المعز من المغرب واغلظ عليه (٢) .

وكان الحسن القرمطى يعتبر استيلاء العبيديين على دمشق اعتداء وتجاوز على حق من حقوق قرامطة البحرين وان عليهم الانابة والرجوع عما فعلوا واذا ماقبلوا ذلك فانه سيحجم عن قتالهم وارسل الى قائدهم جعفر بن فلاح بهذه الابيات :

---

(١) انظر الى كتاب المعز لدين الله لحسن ابراهيم وطه شرف (ص ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢) .

(٢) العبر لابن خلدون (٤ : ١٩٢) .

الكتب معذرة والرسل مخبرة ... والحق متبع والخير موجود
والحرب ساكنة والخيل صافنة ... والسلم مبتذل والظل ممدود
فان انبتم فمقبول انابتكم ... وان ابيتم فهذا الكورمشدود
على ظهور المطايا او يردن بنا ... دمشق والباب مهد ومورود

ثم بعد ذلك يأخذ على جعفر بعض تصرفاته ويذكره ببعض انحرافاته وعيشه فى الملذات مع وجود ذوى الحاجات والعاهات فيقول :

انى امرؤ ليس من شأنى ولا اربى ... طبل يرن ولا ناى ولا عود
ولا اعتكاف على خمر ومجمرة ... وذات دل لها دل وتفنيد
ولا ابيت بطين البطن من شبع ... ولى رفيق خميص البطن مجهود (١)

والخلاصة ان هذه الاسباب الثلاثة هى التى اوجدت الفرقة والاختلاف بين قرامطة البحرين وبنو عبيد فى مصر والمغرب . لكن كاتبا اسماعيليا يرى ان سبب الاختلاف غير ذلك فيقول : ان باعتقادى ان المعضلة الرئيسية التى حملت فى طياتها بذور الفرقة بين الاسماعيليين والقرامطة هى مرحلة التستر عينها التى حالت دون استمرار التماس بين الفئتين واطلاعهما على الاهداف العليا والتخطيط المرحلى العام . هذا سبب اما السبب الاخر فهو : ان القرامطة كانوا تواقين بعنف الى امام مهدى منتظر يسارع الى انقاذهم من الفوضى الاقتصادية والقلق النفسى الذى يسيطر على مشاعرهم فاصروا على الامام عبيد الله المهدى ان يباشر فورا فى اعلان دولة اسماعيلية فى بلاد الشام .

ثم يضيف قائلا : كما وان القرامطة باعتقادى قد انكروا على الامام الاسماعيلى المرونة وسياسة الملاينة التى اعتمدها فى كسب ود العناصر غير الاسماعيلية وتمسكوا فى ان تكون الدولة الاسماعيلية قائمة بكافة اجهزتها ودعاماتها على الاسماعيليين دون سواهم . (٢)

---

(١) تاريخ اخبار القرامطة (ص ١١) .

(٢) الحركات الباطنية لمصطفى غالب (ص ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠) .

وهذه الاسباب التى ذكرها غالب لا تمت بصلة الى احداث قرامطة البحرين وخلافهم مع الائمة . وانما تنطبق على قرامطة الشام وزعمائهم الذين اختلفوا مع الامام الاسماعيلى عبيد الله المهدى والذى توفى فى الفترة التى كان يحكم فيها القرامطة ابو طاهر الجنابى وقد توفى المهدى سنة ٣٢٢هـ اى قبل الخلافات التى حصلت بين قرامطة البحرين وزعماء الاسماعيلية بحوالى ستة وثلاثون عاما . اذن فهذه الاسباب التى ذكرها غالب غير مقبولة لتفسير تلك الخلافات، لا سيما اذا تذكرنا ـ وكما بينت سابقا ـ ان اغلب المصادر حددت اسباب الاختلاف بثلاثة امور :

(١) ميل العبيديين مع آل ابى طاهر ومحاولة تثبيتهم لزعامة القرامطة فى البحرين .

(٢) قطع الضريبة المالية التى كان يتلقاها زعماء قرامطة البحرين من الاخشيديين فى الشام .

(٣) عدم رضى العبيديين على ولاية الحسن الاعصم ومحاولتهم للقضاء عليه وعلى اسرته ومؤيديه .

ومن الجدير بالذكر ان غالب لم يشر اطلاقا لاى مرجع او مصدر علمى موثوق نقل منه يؤيد ماذكره من اسباب، بل ان فى عباراته مايدل على انه اقتصر على اعتقاده الخاص ومن امثلة ذلك هذه العبارة التى كررها عدة مرات (كما وان القرامطة باعتقادى قد انكروا)[1] .

وقد استعان الحسن القرمطى بالحمدانيين والبويهيين والعباسيين فى معاركه الطويلة مع العبيديين . ورحبوا به جميعا واعانوه حسب مصالحهم ومنافعهم الشخصية .

فالحمدانيون يخشون قرب الدولة الفاطمية من بلادهم ويتوقعون ان فتح الشام سيتلوه فتح العراق وان ذلك يقضى على دولتهم الصغيرة فى الموصل وحلب . والبويهيون يخشون على نفوذهم السياسى ويخافون ان يحل

---

(١) المرجع السابق (ص ١٥٨ - ١٦٠) .

الفاطميون الاقوياء محل العباسيين الضعفاء فيزول ماكان لهم من هيبة[1] . هذا عدا ماكان بين بنى بويه والقرامطة من تقارب فكرى وتعاون فى كثير من الاهداف . يقول ابن تيمية : ان بنى بويه فيهم اصناف المذاهب المذمومة فقوم منهم زنادقة ومنهم قرامطة كثيرة ومتفلسفة ومعتزلة ورافضة وفى زمنهم حصل لاهل الاسلام والسنة من الوهن مالم يعرف حتى استولى النصارى على ثغور الاسلام كما كثر انتشار القرامطة فى ارض مصر والمغرب والمشرق[2] .

واما العباسيون فساعدوا الحسن القرمطى لانهم يخشون على ملكهم من الفاطميين الذين استولوا على اجزاء كبيرة منه . وقد وجد العباسيون فى حركة الاعصم تفريجا عن كربتهم التى اوقعهم فيها الفاطميون[3] .

وهكذا نرى هذا التحالف طابعه نفعى لكل طرف من الاطراف المتألبة على الجيش العبيدى فى الشام وفى مثل هذه الحالة كان الحسن القرمطى يتنازل عن ولائه للعبيديين ويعلن ولاءه للعباسيين بل انه عندما استولى على منبر الجامع الاموى فى دمشق لعن المعز وخطب للعباسيين ورفع الرايات السود (شعار العباسيين)[4] .

والحقيقة ان جميع هذه التصرفات من الحسن لا تعطى اى دليل عن تنازله عن العقيدة الاسماعيلية وانما الظروف التى يعيشها والمصالح التى يرنو بنظره اليها لا تتم الا بأن يعلن بمثل هذه التنازلات .

وقد علق احد المستشرقين على قضية لعن الامام الاسماعيلى من قبل الحسن بقوله : يعتقد القرامطة بنظرية الحق الالهى للامام الفاطمى . ومن ثم يبدو هذا اللعن غريبا وقد يرجع ذلك الى اهل دمشق انفسهم الذين كانوا سنيين مغالين فى عدائهم للشيعة والقرامطة[5] .

---

(١) انظر كتاب المعز لدين الله (ص ١٠٩) .
(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ٢٢) .
(٣) انظر كتاب المعز لدين الله (ص ١٠٩) .
(٤) النجوم الزاهرة لابى المحاسن (٤ : ٧٤) .
(٥) انظر تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم (ص ٣٩٦) .

ولا بد من القول ان الحسن القرمطى لم يعتنق المذهب السنى بل ظل على عقيدته الاسماعيلية التى تربى عليها واعتنقها منذ الصغر وان تصرفاته

(١) من لعن المعز العبيدى .

(٢) ورفع شعار العباسيين والدعوة لهم على المنابر .

(٣) واعلانهم الرجوع الى الحق بالاعلام المرفوعة والمكتوب عليها السادة الراجعون الى الحق .

واخيرا المعارك الدموية بينهم وبين العبيديين - لا تعطى اى مستند او دليل على ان الحسن نبذ عقيدته الاسماعيلية ورجع الى المذهب الحق مذهب اهل السنة والجماعة . والذى ظهر لى وارجحه على غيره ان الضرورة السياسية والحربية كانت تقضى على القرامطة برئاسة الحسن - ولا سيما فى هذه الفترة - ان يلوحوا بمثل هذه الشعارات والمناورات الكلامية فى سبيل الاطماع السياسية الفردية التى لا حدود لها من غير نبذ للعقائد والافكار التى تلقاها وآمن بها جميع زعماء القرامطة من الدعاة للمذهب الاسماعيلى ويتضح ذلك من تصرفات الحسن آخر حياته حيث اصطلح مع العبيديين وتقرر الامر ان يدفع الحاكم العبيدى له ثلاثين الف دينار وتحمل اليه كل سنة ويكونوا (اى القرامطة) على الطاعة والموادعة . وقد توجه جوهر وقاضى الرملة الى الحسن القرمطى واستحلفاه للعزيز على الوفاء والمصلحة واخذا له المواثيق المسدودة المؤكدة واعطياه المال والخلع والحملان وانصرف الى الاحساء وعاد العزيز الى مصر . ولم يزل المال المقرر للقرمطى يحمل اليه فى كل سنة على يد ابى المنجا صاحبه الى ان مات[1] .

كما ان قرامطة البحرين بعد وفاة الحسن رجعوا الى كنف الفاطميين وعملوا على محاربة العباسيين والقيام بهجمات على اراضى الدولة العباسية حتى هاجموا الكوفة وملكوها[2] .

---

(١) انظر ذيل تاريخ دمشق لابى يعلى (ص ٢٠ - ٢١) .

(٢) انظر اتعاظ الحنفا (١ : ٢٠٦) .

ونعود الى معارك الحسن التى خاضها مع الدولة العبيدية بعد معركة دمشق حيث توجه الى الرملة ليقضى على مابقى للعبيديين من سلطان ببلاد الشام .

وكان سعادة بن حيان القائد العبيدى يلى مدينة الرملة فلما ادرك انه لا طاقة له بالحسن الاعصم ترك الرملة وفر الى يافا ليكون على اتصال بمصر عن طريق البحر . وكان الاعصم يعتمد على الحرب الخاطفة ويعمد الى التمويه لجذب الاهالى السنيين اليه فجعل يدعى فى كل مكان انه اصبح واليا على هذه البلاد من قبل العباسيين وبذلك استطاع ان يجمع حوله عرب الشام وغيرهم من الحانقين على الحكم العبيدى .

وبهذا نرى ان بلاد الشام باستثناء يافا كانت فى اوائل سنة ٣٦٠هـ فى قبضة القرامطة وحلفائهم (١) .

ان الحسن الاعصم كان طموحا وشجاعا ـ ولكن فى قتل العباد وتخريب البلاد ـ ابت عليه نفسه الا يقنع بالشام وفتحها فقصد مصر . وقد توقع القائد العبيدى جوهر هذا الهجوم من القرامطة فعمل على بناء مدينة القاهرة التى تعتبر حاضرة الدولة العبيدية فى مصر لتكون حصنا تحول دون كيد الاعداء ويؤكد ذلك ماذكره المقريزى فى الخطط حيث قال " وقصد جوهر باختطاط القاهرة حيث هى اليوم ان تصير حصنا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصرليقاتلهم من دونها " اما الخندق فيقول المقريزى عنه " انه حفرة من الجهة الشامية ليمنع اقتحام عساكر القرامطة الى القاهرة وماوراءها " (٢) .

وهذا الاهتمام البالغ يدل على مدى الخوف ومدى القوة والنفوذ التى يتمتع بها جيش القرامطة بقيادة الحسن الاعصم . ويصف ابو المحاسن موقف المعز من الحسن الاعصم بقوله " ان القرمطى كان اشد عليه من جميع الناس

---

(١) كتاب المعز لدين الله لحسن ابراهيم وطه شرف (ص ١١١ - ١١٢) .
(٢) الخطط المقريزية (٢ : ١٧٩ - ١٨٠) .

للرعب الذى سكن فى قلوب الناس منه . فكانت القرامطة اذا كانوا فى الف حطموا مائة الف وانتصفوا "[١] .

وكان من اثر هذا الهلع والخوف والهزيمة النفسية ان الحسن هاجم مصر من الناحية الشرقية فاستولى على الفرما ثم هاجم القلزم واستولى عليها وكان من اثر هذا الهجوم المفاجىء على مصر من الشمال والجنوب ان اعترف بعض البلاد الاخرى بسلطان الاعصم وثارت تنيس على واليها العبيدى ونادت بطاعة القرامطة ثم اخذ الاعصم يتقدم فى البلاد المصرية .

وفى يوم الجمعة التحم القتال على باب القاهرة وقتل من الفريقين واسر جماعة وباتوا ليلة السبت واصبحوا متكافين وغدوا يوم الاحد للقتال على باب الخندق فكانت وقائع شديدة قتل فيها من الفريقين عدد كبير وانهزم الحسن ونهب سواده واخذت صناديقه وكتبه[٢] .

ولما سمع المعز الحاكم العبيدى ببلاد المغرب خبر غزو القرامطة لمصر ارسل اليها جيشا بقيادة ابى محمد الحسين بن عمار فازدادت قوة جوهر الحربية وعول على اخضاع مدينة تنيس التى انضم اهلها الى القرامطة فسار اليها واخضعها ثم عفا عن اهلها - واما الحسن القرمطى فانه رجع الى دمشق واخذ يعد العدة لغزو مصر من جديد ولكنه اضطر الى العودة الى الاحساء لاخماد ثورة انصار ابى طاهر[٣] .

ويشير ابن خلدون الى هذه الثورة التى كان وراءها المعز للتخلص من الحسن الاعصم ويقول " وكتب اليه - اى الى الاعصم - المعز سنة احدى وستين وثلثمائة بالنفى والتوبيخ وعزله عن القرامطة وولى ابن ابى طاهر فخرجوا من جزيرة اوال وانتهبوا الاحساء فى غيبته وكتب اليهم المطيع بالتزام الطاعة وان يصالحوا ابن عمهم ويقيموا بجزيرة اوال وبعث من اقام بينهم الصلح "[٤] .

---

(١) النجوم الزاهرة لابى المحاسن (٤ : ٧٥) .
(٢) تاريخ اخبار القرامطة لثابت بن سنان (ص ١٠٥ - ١٠٦) .
(٣) تاريخ الدولة الفاطمية لحسن أبراهيم حسن (ص ٣٩٧) .
(٤) العبر لابن خلدون (٤ : ١٩٣) .

وقال ابن حوقل - مشيرا الى جهد الخليفة العباسى فى تهدئة الاوضاع للحسن الاعصم فى البحرين -"ثم ان المطيع استل سخائمهم وسعى فى تألف قلوبهم وجمع كلمتهم فى سنة ستين وثلثمائة وعلى مابلغنى سنة احدى وستين وثلثمائة من مشافهة ابى الحسن عدى بن محمد بن الغمر"[١].

وكان لهذه الثورة التى اذكى نيرانها المعز بين القرامطة اثر كبير فى ارتداد الاعصم عن مصر فى ربيع الاول سنة ٣٦١هـ لاخماد الثورة التى قام بها ابناء عمه ابى طاهر الجنابى[٢].

ان لدى الحسن من الاقدام والتصميم والثقة بالنفس التى لا حدود لها بحيث انه ما ان اخمد ثورة ابناء عمه فى البحرين الا واخذ يعد العدة لغزو مصر ثانية .

اما المعز فكان على درجة من الخوف والقلق فنراه يبذل جهدا ملموسا فى اقناع الحسن بالطرق السلمية وفى ذلك يقول اخو محسن :"كان المعز شديد الخوف من الحسن بن احمد فلما نزل مصر عزم ان يكتب الى الحسين بن احمد كتابا يعرفه فيه ان المذهب واحد وانهم منهم استمدوا وانهم ساداتهم فى هذا الامر وبهم وصلوا الى هذه المرتبة وكان غرض المعز لدين الله من ذلك ان يعلم من جواب القرمطى مافى نفسه وهل خافه لما وافى مصر ام لا"[٣].

ونص هذا الخطاب ذكره كلا من النويرى والمقريزى[٤]، ويصف ثابت بن سنان[٥] هذا الكتاب بانه عظيم . كما انه يعتبر وثيقة مهمة توضح مدى الارتباط بين الدعوة الاسماعيلية والحركة القرمطية . ولذا فانى سأنقله

---

(١) المسالك والممالك لابن حوقل (٢ : ٢٢) .
(٢) كتاب المعز لدين الله لحسن ابراهيم (ص ١١٦) .
(٣) نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ٩٦) .
(٤) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٨٩ - ٢٠١) .
(٥) تاريخ اخبار القرامطة (ص ١٠٦) .

بطوله فى ملاحق البحث ان شاء الله .

واما آثار هذا الخطاب فان الحسين بن احمد اظهر عدم اكتراثه بتهديد المعز له فكان جوابه مختصرا جدا حيث قال :" وصل الينا كتابك الذى كثر تفصيله وقل تحصيله ونحن سائرون على اثره والسلام"(١) .

ويقول ابن القلانسى عن خطاب المعز " انه لم ينفعه كتابه اليه ولا ترهيبه عليه"(٢) .

سار الحسن سنة ٣٦٣هـ حتى وصل مصر فنزل على عين شمس بعسكره وانشب القتال وبث السرايا فى البلاد ينهبونها فكثرت جموعه واتاه من العرب خلق كثير وعلى رأسهم حسان بن الجراح الطائى امير العرب بالشام ومعه جمع عظيم(٣) . اما كيفية الحرب فيصفها لنا ثابت بن سنان بقوله :

" ان ارض مصر اشتعلت اعلاها واسفلها بنار الحرب من القرامطة"(٤) .

هال المعز هذه الجيوش الجرارة . ويقول ابن كثير فى ذلك " ان المعز حار فيما يصنع وضعف جيشه عن مقاومتهم"(٥) .

ولذا يقول ابن القلانسى : ان المعز اعمل فكرته ورويته فى امره وشاور اهل الرأى من خاصته وحبذه فى امره فقالوا ليس فيه حيلة غير فل عسكره وليس يقدر على فله الا بابن الجراح فبذلوا له مائة الف دينار على ان يفل لهم عسكره فاجابهم الى ذلك(٦) .

وفعلا نجحت هذه الحيلة باضعاف معنوية الجيش القرمطى وبالتالى الى انهزامهم حيث اتبعوا اثرهم وظفروا بمعسكرهم واسر العبيديون نحو الف

---

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ٢٢٩) ، اتعاظ الحنفا (١ : ٢٠٢) ، وفيه زيادة وحسبنا الله ونعم الوكيل ، تاريخ اخبار القرامطة (ص ١٠٦) .
(٢) ذيل تاريخ دمشق (ص ٣) .
(٣) الكامل لابن الاثير (٨ : ٢٢٩) .
(٤) تاريخ اخبار القرامطة (ص ١٠٧) .
(٥) البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٢٧٦) .
(٦) ذيل تاريخ دمشق (ص ٣) .

وخمسمائة من القرامطة فضربت اعناقهم اما الحسن بن احمد فانه بعدان وصل دمشق ترك بها ابا المنجا القرمطى واليا عليها من قبله ورحل مع بعض رجاله الى الاحساء[١].

ان تقهقر الحسن الاعصم عن مصر فى سنة ٣٦٣هـ لم يكن معناه نهاية الصراع بين القرامطة والعبيديين .

اذ ان الحسن نجده يقود جيشا جرارا لنجدة افتكين[٢] فى دمشق ودعمه بالمؤن والعتاد ولما علم القائد العبيدى جوهر بقدوم الحسن فر بجيشه خوفا من بقائه بين عدوين .

واضطر جوهر الى طلب الحاكم العبيدى بالخروج بنفسه لاستعادة نفوذه على البلاد وسار على رأس جيش كبير حيث دارت معركة حاسية بالقرب من الرملة تمكن الجيش العبيدى من ايقاع الهزيمة بالافتكين والحسن الاعصم .

ومن ثم سار الحسن بن احمد منهزما الى طبرية . وهنا فكر الخليفة العبيدى العزيز بسياسة المفاوضات مع الحسن فارسل اليه رسولا يدعوه الى العودة الى طاعته ونيل احسانه وعطاياه واخيرا اجاب الحسن واصطلح مع العبيديين وتقرر ان يدفع له ثلاثين الف دينار وتحمل اليه كل سنة ويكون القرامطة بعد ذلك على الطاعة والموادعة ومن ثم انصرف الحسن الى الاحساء وعاد العزيز الى مصر[٣]. وفى طريقه راجعا الى الاحساء وافاه الاجل المحتوم فى الرملة[٤] وكان ذلك سنة ست وستين وثلثمائة[٥].

وبعد موت الحسن تبدأ فترة من فترات الضعف لدولة القرامطة كما يظهر فى هذه الفترة الرجوع الواضح الى كنف الفاطميين والبدء بسلسلة من الهجمات على اراضى الدولة العباسية .

---

(١) الكامل لابن الاثير (٨ : ٢٣٠) .
(٢) قائد من قادة الاخشيديين واصله تركى وقد جمع فلول العرب لمحاربة العبيديين .
(٣) ذيل تاريخ دمشق لابى يعلى (ص ٢٠) .
(٤) احدى مدن فلسطين المشهورة .
(٥) فوات الوفيات للكتبى (١ : ٣١٨) .

حيث اغاروا على الكوفة سنة ٣٧٥ هـ وادى ذلك الى انزعاج اهلها لما عرف به القرامطة من شدة البأس وقوة الشكيمة حتى هابهم الناس . والى ذلك يشير ابن الاثير قائلا وفى هذه السنة ورد اسحاق وجعفر الهجريان فى جمع كثير وهما من الستة القرامطة الذين يلقبون بالسادة فملكا الكوفة وخطبا لشرف الدولة فانزعج الناس لذلك لما فى النفوس من هيبتهم وبأسهم وكان لهم من الهيبة ما ان عضد الدولة وبختيار اقطعاهم الكثير (١) .

ويشير ابن خلدون الى هذه الاحداث بقوله : ورجع القرامطة الى دعوة العلوية ومحاربة بنى بويه (٢) .

كما انهم فى سنة اربع وسبعين وثلاثمائة دخلوا البصرة لما علموا بموت عضد الدولة ولم يكن لهم قوة على حصارها واخذوا منها الاموال وانصرفوا راجعين الى الاحساء (٣) .

كما ان ملاحقة حجاج بيت الله الحرام ومطاردتهم وسفك دمائهم وسلب اموالهم تعود الى الساحة من جديد ففى احداث سنة ٣٨٤ هـ رجع الحاج الى بغداد ولم يحج احد من العراق خوفا من القرامطة (٤) .

نهاية القرامطة فى البحرين .

بعد هذه الاحداث تبدأ فترة مريرة للقرامطة حيث بدأ نجمهم بالافول وسلطانهم بالتناقص ويصح لى من خلال الاحداث ان اقسم الدور النهائى الذى مرت به دولة القرامطة فى البحرين الى ثلاثة اطوار حسب ما اطلعت عليه من الاخبار والروايات التاريخية .

---

(١) الكامل لابن الاثير (٧ : ١٢٦) .
(٢) ابن خلدون ، العبر (٤ : ١٩٤) .
(٣) النجوم الزاهرة لابى المحاسن (٤ : ١٤٥) .
(٤) المرجع السابق (ص ١٦٧) .

الطور الاول : بدأ بطردهم واخراجهم من العراق نهائيا وذلك مايشير اليه ابن الاثير في احداث سنة ٣٧٥هـ اذ يذكر : ان للقرامطة نائبا في بغداد يعرف بابي بكر بن شاهويه وان صمصام الدولة قبض عليه . ونتيجة لذلك تحرك القرامطة الى الكوفة فلما علم صمصام الدولة بذلك كتب اليهم يتلطفهم ويسألهم عن سبب حركتهم فذكروا ان قبض نائبهم هو السبب في قصدهم بلاده . وبعد ذلك ارسل صمصام الدولة العساكر ومعهم العرب فعبروا الفرات وتقاتل الفريقان فانهزم الجيش القرمطي واسر قائدهم - ويسمى ابا قيس المنذر بن الحسن - وجماعة من قوادهم فقتلوا .

عاد القرامطة من جديد وسيروا جيشا آخر في عدد كثير وعدة فالتقوا هم وعساكر صمصام الدولة ايضا وانجلت الوقعة عن هزيمة القرامطة وقتل مقدمهم واسر جماعة منهم ونهب سوادهم وتعقبوا الى القادسية .

وبذلك تيسر للبويهيين اخراجهم من العراق نهائيا . ويعلق ابن الاثير على هذه الهزيمة للقرامطة بقوله " وزال من حينئذ ناموسهم "[1] .

الطور الثاني : بدأ بسلسلة من الهجمات عليهم في عقر دارهم وانتهى هذا الطور بطردهم من جزيرة اوال .

ففي سنة ٣٧٨هـ جمع انسان يعرف بالاصفر من بني المنتفق جمعا كثيرا وكان بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة قتل فيها مقدم القرامطة وانهزم اصحابه وقتل منهم واسر كثير وسار الاصفر الى الاحساء فتحصن منه القرامطة فعدل الى القطيف فاخذ ماكان فيها من عبيدهم واموالهم ومواشيهم وسار بها الى البصرة[2] . ويشير النويري الى نتيجة هزيمتهم هذه بقوله : انه بعد هزيمة الاصفر لهم انتقض امر القرامطة وضعفوا ... ثم يقول : وكانت فتنتهم قد عمت اكثر البلاد والعباد ولم اقف لهم بعد واقعة الاصفر على واقعة اخرى فاذكرها[3] .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل (٧ : ١٢٩) بتصرف .
(٢) الكامل لابن الاثير (٧ : ١٣٦) .
(٣) نهاية الارب للنويري (٢٣ :) .

وفى سنة ٤٥٨هـ خرجت جزيرة اوال عن طاعة القرامطة فى البحرين وخضعت للعباسيين بعد سلسلة من الثورات التى قام بها السنيون فى هذه الجزيرة فقد بنى هؤلاء السنيون مسجدا لجذب التجار الى جزيرتهم ولما فرغوا من بناء هذا المسجد خطبوا فيه للخليفة العباسى دون الخليفة العبيدى كذلك ثار اهل اوال على حكم القرامطة لانهم عزلوا واليهم وفرضوا عليهم ضريبة جديدة اثارت حنقهم فاشعلوا نار الثورة وقضوا على قوات القرامطة البرية والبحرية وآل الحكم فى هذه الجزيرة الى السنيين (١) .

الطور الثالث : كان لهزيمة القرامطة فى جزيرة اوال اثر بعيد عليهم حيث انها كانت منطلقا للقضاء عليهم وعلى سلطانهم نهائيا من بلاد البحرين فقد اتصل السنيون فى بلاد البحرين بالسلاجقة وبالعباسيين فى العراق فبعثوا اليهم فى سنة ٤٦٢هـ بجيوش جرارة احلت بهم هزائم متتالية واضطر القرامطة الى الارتداد الى بلاد الاحساء . وقد شجعت هذه الهزائم العباسيين والسلاجقة فارسلوا الى الاحساء جيوشا جرارة بقيادة طائفة من امهر قوادهم واذاعوا المنشورات يستحثون فيها الناس على الانضواء تحت لواء هؤلاء القواد " فى جهاد المبطلين والقرامطة الملحدين وفى استئصال ذكرهم وتطهير تلك البقعة من دنس كفرهم " . وقد التف السنيون فى البحرين حول الثوار وانصار العباسيين واحاطوا بالقرامطة فى شمالى الاحساء وانتصروا عليهم فى موقعة " الخندق " سنة ٤٧٠هـ وتعد هذه الموقعة من المواقع الحاسمة فى التاريخ لانها قضت على دولة القرامطة الذين ظلوا زهاء قرنين مصدر رعب وفزع (٢) .

وحيث انه من خلال السرد التاريخى للاحداث تابعت مبدأ قيام دولة القرامطة فى البحرين حتى نهايتها وانقراضها عن عالم الوجود عسكريا

---

(١) تاريخ الاسلام لحسن ابراهيم حسن (٤ : ٢٥٨) نقلا عن مخطوطة لابن الجوزى (مرآة الزمان) .

(٢) المرجع السابق (ص ٢٥٨ - ٢٥٩) .

فلابد من عرض بعض الاسس العقائدية التى يرتكز عليها بقاء واستمرار الجهود الفردية والجماعية .

فاولا : اصالة الفكرة ومدى صلاحيتها للفرد والمجتمع .

ثانيا : موافقتها للفطرة البشرية وعدم تصادمها مع النفس الانسانية .

ثالثا : نشر العدل والطمأنينة وازاحة الظلم .

رابعا : الاخلاص والولاء الكامل للمشرع الذى شرع هذا المنهج .

ان الواقع الذى عاشه القرامطة ابان تغلبهم سواء من الناحية الفكرية او العسكرية يصطدم مع هذه الاسس التى اشرت اليها . فالفكر القرمطى لايعدو عن كونه مزيجا من الفكر اليونانى فى قالب فلسفى ممزوج ببعض النصوص الاسلامية التى استغلوها للتمويه والخداع على العامة واخذوا يأولونها حسب اهوائهم ومصالحهم تحت شعار الظاهر والباطن .

واى منهج مصدره العقل البشرى فمآله الى الخراب والاصطدام مع الفطرة الانسانية التى فطر الله الخلق عليها .

فالبشر مهما كان فكرهم وتنظيمهم فهو فكر قاصر عاجز عن فهم النفس الانسانية ومن ثم يعجز بطبيعة الحال عن وضع نظام لها . ولذا يلاحظ ان سلاح القوة والبطش واسالة الدماء كانت هى الوسيلة لنشر مبادىء القرامطة وتثبيت دولتهم . اما العدل والامان والطمأنينة فهى على طرفى نقيض مع حركة القرامطة ومبادئها ولو ادعى ذلك المخادعون والموهون لان الواقع والاحداث تثبت مانقول بوضوح .

وبجانب هذه الامور الاساسية كان للخلاف الذى نشب بينهم والتنافس على رئاسة الحركة اثر لتعجيل اضمحلال دولتهم وزوالها نهائيا . وان لقيام الدول ومرورها بادوار متعددة من قوة الى ضعف الى زوال نواميس وسننا كونية . يقول ابن خلدون فى مقدمته : " ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف . واذا انصرفت الى

الحق ورفضت الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة "[1].

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص١٥٧) .

خريطة تمثل توسع القرامطة فى منطقة الجزيرة العربية
فى اوائل القرن الرابع



المصدر : الاطلس التاريخى للعالم الاسلامى فى العصور الوسطى .

الفصل الخامس

الحركة القرمطية في اليمن

كان اليمن ولا يزال موطن كفاح بين الفرق والمذاهب ، فمدينة صنعاء تعتبر موطن مؤسس مذهب الغلاة من الشيعة عبد الله بن سبأ [١] .

كما انها موطن عبد الله الشيعي مؤسس دولة العبيديين التي تعتبر اكبر دولة شيعية قامت في العالم الاسلامي . ويتميز اليمن بأنه بلد الادعاءات والتمويهات ولذلك كثر فيه المتنبئون والمحتالون . يصف المعري هذا الوضع بقوله : ان اليمن مازال منذ كان معدنا للمتكسبين بالتدين والمحتالين على السحت وحدثني من سافر الى تلك الناحية ان به اليوم جماعة كلهم يزعم انه القائم المنتظر فلا يعدم جباية من مال يصل بها الى خسيس الامال [٢] .

اذن فالصراع في اليمن وجد في عهود مبكرة ولا ادل على ذلك من الصراع بين فرقتين من فرق الشيعة وهما الزيدية والاسماعيلية بحيث استطاعت كل فرقة ان تحافظ على كيانها وتحتفظ بتعاليمها حتى وقتنا الحاضر .

وقد ادرك دعاة الاسماعيلية ان اليمن موطن صالح لدعوتهم وافكارهم فأحد الائمة المستورين يقول للداعي بن حوشب : الى عدن لاعة فاقصد وعليها فاعتمد فمنها يظهر امرنا وفيها تعز دولتنا ومنها تفترق دعاتنا [٣] .

ولذا كان دعاة الاسماعيلية في اليمن اذ ذاك يعتقدون ان دولة المهدى ستظهر في بلادهم [٤] .

يقول جعفر الحاجب [٥] : " وامرنا المهدى بالاخذ في اهبة السفر

---

(١) الاعلام للزركلي (٤ : ٢٢٠) .
(٢) رسالة الغفران لابي العلاء المعري (٢ : ٣٤) .
(٣) رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ص ٤١) .
(٤) سياسة الفاطميين الخارجية (ص ٧٠) .
(٥) من اتباع عبيد الله المهدى واحد دعاته وقد صحبه في رحيله من الشام الى المغرب .

والخروج معه واظهر لنا انه يريد اليمن"[١].

لكن المهدى عدل عن اليمن لنجاح الدعوة اكثر فى المغرب محققــــا رغبة ابيه فى اقامة دولته بالمغرب حين قال له مشيرا الى نجاح ابن حوشب فـى اليمن : هذه دولتك قد قامت لكن لا احب ظهورها الا من المغرب[٢].

ويقول محمد كامل حسين : ولعل اول حركة اسماعيلية ناجحــة هــى تلك الحركة التى قامت ببلاد اليمن حيث ان الداعى ابن حوشب استطـــاع ان يؤسس باسم الامام الاسماعيلى المنتظر اول دولة اسماعيلية فى التاريخ[٣]، وبحكـم الصلة بين الداعى الاسماعيلى الحسين بن حوشب ورئيس الحركة القرمطية فـــى اليمن على بن الفضل وانطلاقهما من منطلق واحد فانى سأعرض بايجاز الـــى حياة الداعى الاسماعيلى اولا معقبا بعد ذلك بالحديث عن النشاط القرمطـى بقيادة على بن الفضل .

---

(١) سيرة جعفر الحاجب (ص ١١٠) مجلة كلية الاداب .
(٢) السلوك فى طبقات العلماء والملوك للجندى (ص ١٦٧) ضمن مجموع عـن تاريخ اليمن جمع الدكتور حسن سليمان محمود .
(٣) طائفة الاسماعيلية (ص ٢٢) .

الحسين بن فرج بن حوشب

ان اول مايصادفنا فى الحديث عن شخصية الحسين هذا انه اختلف فى اسمه اختلافا كثيرا فذكر الحميرى انه يدعى بالحسن بن فرج بن حوشب بن زادان ويكنى بابى القاسم اوابى الحسن [١] ويسميه ابن خلدون رستم بن الحسن ابن حوشب [٢] ويقول المقريزى ان اسمه رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب بن زاذان النجار [٣] اما الجندى فيسميه منصور بن زادان بن حوشب بن فرج بن المبارك [٤] ويقول العرشى ان اسمه منصور بن حسن بن جيوشب بن باذان [٥]. واما المصادر الاسماعيلية فاحيانا تسميه الحسن بن فرج [٦] واحيانا تسميه الحسن بن فرج بن حوشب [٧] ويكنى بمنصور اليمن وهذه الكنية ليست جزءا من اسمه الحقيقى وانما هى صفة يقصد بها كما قال القاضى النعمان : ما اتيح له فيها من النصر [٨].

ولا بد من الاشارة الى ان الحسن سلك طريقة الائمة والدعاة من الاسماعيلية والقرامطة حول تعدد الاسماء والالقاب وذلك بهدف التمويه والخداع على العامة . اشتهرت اسرة الحسن بالتشيع على مذهب الامامية الاثنى عشرية فكان ابوه من هؤلاء [٩] كما كان الحسن نفسه قبل دخوله الدعوة الاسماعيلية معروفا بهذا اللون من التشيع [١٠] ولكن بعد اعتناقه لمذهب

---

(١) الحور العين (ص ١٩٧) .
(٢) العبر لابن خلدون (٤ : ٦٥) .
(٣) اتعاظ الحنفا (١ : ٤٠) .
(٤) السلوك فى طبقات العلماء والملوك (ص ١٦٦) .
(٥) بلوغ المرام للعرشى (ص ٢٢) .
(٦) افتتاح الدعوة للقاضى النعمان (ص ٣٢) ، سيرة جعفر الحاجب (ص ١١٥) .
(٧) عيون الاخبار للداعى ادريس (ص ٣٩٧) .
(٨) افتتاح الدعوة للقاضى النعمان (ص ٣٢) .
(٩) المرجع السابق (ص ٣٦) ، عيون الاخبار (ص ٣٩٧) .
(١٠) افتتاح الدعوة للنعمان (ص ٣٣) .

الاسماعيلية اخذ دعاة المذهب يبجلونه ويصفونه بانه من اهل الفطنة والدراية ومن لا تجوز عليه مخرقة اولى الغواية .(١)

ويقصد باولى الغواية مذهب الامامية الذين يقولون بامام حى الا انه مختف فى سرداب تحت الارض وينتظرون خروجه .(٢)

ومصادر الاسماعيلية تعتبر ذلك من المخرقة والترهات وتصف هذا الادعاء بانه حماقة عجيبة .(٣)

اما اعتناق ابن حوشب لمذهب الاسماعيلية فكان نتيجة عدة مقابلات ومناظرات بينه وبين الامام الاسماعيلى اولا وبينه وبين احد دعاة الامام ثانيا .(٤)

ويصف الحسن بن حوشب نفسه بعد اعتناقه لمذهب الاسماعيلية فيقول : انه بعد ما اخذ العهد على وعرفت امام الزمان فتح لى من المعرفة كثيرا واخذت اتردد عليه فكان يخصنى ويقربنى ويرمز بقرب الامر ودنو العصر.(٥)

وجد الامام الاسماعيلى ابن حوشب شخصية صالحة لتقبل افكاره ومبادئه فلاغروان قربه منه وخصه فى بعثه الى اليمن فقال له يوما : يا ابا القاسم هل لك فى غربة فى الله ؟ قلت : يامولاى الامر اليك فما امرتنى به امتثلته . قال اصبر كأنى برجل قد اقبل الينا من اليمن(٦) . وماللبمن الا انت فقلت :استعين

---

(١) عيون الاخبار للداعى ادريس (ص ٣٩٦) .

(٢) تختلف الشيعة الاثنا عشرية مع الشيعة الاسماعيلية فى امور كثيرة وعلى قائمتها الامامة فالاثنا عشرية نقلوها بعد جعفر الصادق الى ابنه موسى الكاظم اما الاسماعيلية فنقلوها بعد جعفر الى ابنه اسماعيل كما وان الاثنا عشرية امامهم حى ولكنه مختف فى سرداب بينما الاسماعيلية يخالفونهم فى ذلك ويشنعون عليهم هذا الاعتقاد .

(٣) رسالة افتتاح الدعوة للقاضى النعمان (ص ٣٦) ،عيون الاخبار للداعى ادريس (ص ٣٩٧) .

(٤) تفصيل ماجرى فى ذلك اللقاء فى رسالة افتتاح الدعوة من (ص ٣٥) الى (ص ٣٨) ،عيون الاخبار للداعى ادريس (من ص ٣٩٧ الى ٣٩٩) .

(٥) رسالة افتتاح الدعوة للقاضى النعمان (ص ٢٧ - ٣٨) .

(٦) يقصد بالرجل على بن الفضل القرمطى .

بالله على مايرضيك [١] .

وهكذا يتضح لنا ان ابا القاسم قد اصبح معدا للامر الذى اراده الامام واصبح موضع ثقته [٢] .

ثم بعثه الى اليمن وبصحبته على بن الفضل ليبدآ بالدعوة هنالك بعد ان زودهما بارشاداته .

ومما قال لابى القاسم : الى عدن لاعه فاقصد وعليها فاعتمد فمنها يظهر امرنا وفيها تعز دولتنا ومنها تفترق دعاتنا [٣] .

وقد بين له اساليب الدعوة على الطريقة الباطنية فقال له : ان لقيت من هو الحن بالحجة منك فانغمس له فى الباطن قال وكيف ذلك : قال تقطع الكلام وتريه ان تحت ماتريد الجواب به باطنا لا يمكنك ذكره فتحتجز بذلك منه الى ان تتهيأ لك الحجة عليه [٤] واوصاه بستر امره حتى يبلغ غرضه [٥] . كما اوصاه بأن يلزم الصوم والصلاة والتقشف وان يعمل بالظاهر ولا يظهر الباطن واذا ورد عليه مالا يعلمه لا يجيبه متذرعا بأن لكل شىء باطنا ولهذا من يعلمه وليس هذا وقت ذكره [٦] .

اخيرا وبعد هذه الارشادات توجه ابو القاسم وعلى بن الفضل القرمطى ودخلا اليمن فى اول سنة ٢٦٨ هـ فاقاما سنتين يدعوان سرا ثم ظهرت الدعوة سنة سبعين ومائتين [٧] .

نهج الداعيان منهاجا واحدا فى نشر الدعوة الاسماعلية وبسط نفوذهما وقد اتخذا الدين وسيلة لنشر هذا النفوذ فاظهر كل منهما الزهد والتقشف

---

(١) رسالة افتتاح الدعوة (ص ٣٨) .
(٢) اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٢٣٤) .
(٣) رسالة افتتاح الدعوة للقاضى النعمان (ص ٤١) .
(٤) المرجع السابق (ص ٤١ - ٤٢) .
(٥) السلوك فى طبقات العلماء والملوك للجندى (ص ١٦٦) .
(٦) نهاية الارب للنويرى (٢٦ : ٢٤) .
(٧) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ٥١) ، افتتاح الدعوة للنعمان (ص ٤٤) .

والصلاح ابتغاء الوصول الى غايتيهما وعملا بوصية الامام فمال اليهما كثير من اهل اليمن[١] . وتفيد المصادر على ان هذه الدعوة انتشرت بادئ الامر في وسط قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى وقد انضم اليهم جمع من شيعة العراق وساروا الى ابن حوشب لما علموا بنجاحه هنالك حتى كثر جمعهم وعظم بأسهم[٢] .

وعلى اثر ذلك فشت الدعوة باليمن وظهر امرها واستأذن ابو القاسم في الحرب فاذن له وابتنى حصنا بجبل لاعة وجيش الجيوش وافتتح مدائن باليمن وملك صنعاء واخرج حكامها بني يعفر[٣] وكان يقول : والله ما اخذت هذا الامر بمالي ولا بكثرة رجالي وانما انا داعي المهدي فانهمك اليه عامة الناس ودخلوا في مذهبه[٤] . وهكذا تمكن الداعي ابن حوشب من طريق الدعوة ولاول مرة من تكوين دولة اسماعيلية في اليمن وسر الامام كثيرا عندما وردت اليه الهدايا من اليمن وقال لابنه[٥] هذه اول ثمرة ايامك وبركة دولتك[٦] . ولما تم على يديه من نشر لاراء الاسماعيلية اخذ دعاتهم يضفون عليه هالة من التقديس والتعظيم ومما قال احدهم : كان ابو القاسم بمثابة الفجر المتنفس وبه كشف الله عز وجل عن الاولياء الغمة وانار حنادس الظلمة[٧] . بل ان الامام الاسماعيلي فوضه بارسال الدعاة الى جهات متعددة واخذ يرسل الامام ايضا بعض الدعاة المشهورين الى ابن حوشب ليتعلموا منه المذهب[٨] وعلى

---

(١) اعلام الاسماعيلية لغالب (ص ٢٣٦) .
(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي (١ : ٤١) .
(٣) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ص ٤٦) .
(٤) كشف اسرار الباطنية للحمادي (ص ٢٦) .
(٥) المراد بابنه هو عبيد الله المهدي اول ائمة دور الظهور .
(٦) رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ص ٤٦) .
(٧) انظر اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٢٢٩) .
(٨) يعتبر ابن حوشب من علماء وفلاسفة المذهب الاسماعيلي حيث الف عددا من الكتب العلمية والفلسفية خدمة لمذهبه ومن اهمها :
١ ـ البيان لمباحث الاخوان . ٢ ـ اسرار النطقاء .
٣ ـ كتاب الكشف . ٤ ـ الايضاح . =

رأس هؤلاء ابو عبد الله الشيعى[1] الذى بعثه الامام الى اليمن طالبا من ابى القاسم ان يبصره ويرشده ويلقنه ولم يكتف الامام بذلك بل اكد لابى عبد الله وامره ان يمتثل سيرة ابن حوشب وينظر الى مخارج اعماله ومجارى افعاله فيحتذيها ويمتثلها ويعمل عليها .

وقد امتثل ابو عبد الله الشيعى امر الامام وانتهى الى ابى القاسم وجلس عنده عاما كاملا يشهد مجالسه ويخرج معه فى غزواته لا يفارقه الى ان حان وقت خروج اهل اليمن الى مكة للحج حيث خرج ابو عبد الله معهم .[2]

كما ان ابن حوشب امتثل امر الامام ففرق الدعاة فى نواحى اليمن وسائر البلدان الاخرى كاليمامة والبحرين والسند والهند وناحية مصر والمغرب .[3]

ظلت الدعوة الاسماعيلية قوية نتيجة نشاط ابن حوشب واتحاد جهود الداعيين ابن حوشب وابن الفضل . ولكن الاخير طمع فى الاستقلال نتيجة كثرة اتباعه واخذ يبتعد عن صديقه ابن حوشب واستولى على جزء كبير من اليمن واقام دولة لوحده . ولم يكتف بذلك بل طمع فى بسط سيادته على اليمن كلها وفى هذه الاثناء بعث ابن حوشب اليه برسالة يعاتبه فيها على هذا التصرف المخالف لتعاليم الامامة الاسماعيلية ويذكره برعاية الامام الاسماعيلى لهما قائلا له : كيف تخلع طاعة من لم تنل خيرا الا به وتترك الدعاء له ؟ او ماتذكر مابينك وبين الامام الاسماعيلى من العهود والمواثيق .[4] ولكن

= ٥ ـ رسالة الرشد والهداية . ٦ ـ تأويل الزكاة .
٧ ـ الانوار الفضية فى معرفة الانفس الذكية .

(١) هو داعى المغرب والذى نشر الدعوة هنالك ومهد لقيام الدولة العبيدية واسمه الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا .

(٢) رسالة افتتاح الدعوة للقاضى النعمان (ص ٥٩ ـ ٦٠) .

(٣) المرجع السابق (ص ٤٧) .

(٤) سياسة الفاطميين الخارجية لمحمد سرور نقلا من انباء الزمن فى اخبار اليمن لابن المؤيد (ورقة ٣١) .

علی بن الفضل لم يعبأ بقوله . هذا وكتب اليه " انما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها "[1].

ومن ثم اخذ علی بن الفضل يعد العدة لمحاربة ابن حوشب وقد ظلت المعارك بينهم حتى طلب ابن حوشب الصلح نتيجة الحصار الشديد ولم يفكه حتى ارسل ابن حوشب احد اولاده كدليل على الدخول فی طاعته فاجابه ابن حوشب وارسل اليه بعض ولده ومن ثم رجع ابن الفضل الى المذيخره واقام ولد المنصور عنده سنة ثم رده الى ابيه[2].

لم يؤد هذا الصلح الى عودة الوفاق بين ابن حوشب وابن الفضل وظل كل منهما يعمل مستقلا عن الاخر مما ساعد على اضعاف الدعوة الاسماعيلية فی بلاد اليمن[3].

ولكن ضعف الدعوة الاسماعيلية حل محله النشاط القرمطی متمثلا بشخصية علی بن الفضل الذی سنتحدث بالتفصيل عن حياته وافكاره اولا واخيرا بشیء من التفصيل .

---

(١) كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة للحمادی (ص ٣٣) .
(٢) المرجع السابق (ص ٣٦) .
(٣) سياسة الفاطميين الخارجية (ص ٧٤) .

علي بن الفضل القرمطي[1]

انتشرت الحركة القرمطية في اليمن بانتشار المذهب الاسماعيلي وقد مضى الحديث عن ابن حوشب وجهوده في نشر المذهب الاسماعيلي . اما هنا فالحديث عن علي بن الفضل وجهوده في نشر الاراء القرمطية في اليمن .

وان بداية علي بن الفضل واعتناقه للافكار الاسماعيلية شبيهة ببداية ابن حوشب فتذكر المصادر الاسماعيلية ان علي بن الفضل خرج حاجا سنة ست وستين ومائتين فلما قضى حجه خرج الى قبر الحسين زائرا له[2] في جماعة من اهل اليمن وغيرهم ممن شهد الموسم من الشيعة فلما انتهوا اليه اصابوه معمورا بالشيعة فجعل علي بن الفضل يبكي عنده وينتحب ويعدد مناقب الحسين رضى الله عنه ويذكر فضله ورجل من الدعاة يراعيه كل يوم وهو على ذلك[3] فلما رأى نيته واجتهاده خلا به وبسطه وفتح له شيئا من العلم والقى اليه بعض المسائل فركن ابن الفضل اليه ولازمه وبحث عما عنده . فقال له الرجل

---

(١) اختلف في اسمه ففي الكامل لابن الاثير (٦ : ١٢٦) ، والعبر لابن خلدون (٤ : ٤٥٥) ، وتثبيت دلائل النبوة للهمذاني (٢ : ٣٧٦) ان اسمه محمد بن الفضل وباقي المصادر تسميه بعلي بن الفضل واسمه الكامل علي بن الفضل الجدني الخنفري الجيشاني . فالجدني نسبة الى ذرية ذي جدن انظر كشف اسرار الباطنية الحمادي (ص ٢١) . واما الخنفري فقيل لانه من سلالة خنفر بن مسبأ بن صيفي بن حمير . انظر بلوغ المرام (ص ٢٢) ، تاريخ اليمن جمع حسن محمود (ص ٣١٢) هاشية رقم ١٣٢ . وقيل نسبة الى بلده خنفر وهي من مخاليف ابين الذي منه عدن . انظر الحور العين (ص ١٩٨) ، واما الجيشاني فنسبة الى مدينة من مدن اليمن ولذا يقول الحمادي ان اصله من جيشان . كشف اسرار الباطنية (ص ٢١) .

(٢) تؤكد كثير من المصادر ان علي بن الفضل قبل اعتناقه لمبدأ الاسماعيلية كان شيعيا على مذهب الاثنا عشرية ومن ذلك الجندي في كتابه السلوك (ص ١٦٥) ، والخزرجي في كتابه الكفاية والاعلام ورقة (٢٢) والحمادي في كتابه كشف اسرار الباطنية (ص ٢١) غير ان القاضي النعمان اكتفى بأن قال انه من اهل بيت تشيع (ص ٣٩) .

(٣) عينت المراجع الاخرى ذلك الرجل بانه ميمون القداح . انظر كشف اسرار=

يوما فى حديثه ارأيتك لو ادركت صاحب هذا القبر الذى تبكى عنده وتذكر فضائل صاحبه ماكنت صانعا فى امره ؟ قال كنت والله اضع خدى واقبل الارض التى يطؤها واتبرك بفضل وضوئه واكون لو شهدت مصرعه اول صريع بين يديه قال فانه قد فاتك فما عندك ؟[1] قال ماترى من الاسف والحزن عليه قال : فكأنك ترى ان الله عز وجل قد قطع امره بانقطاعه ورفع حجته عن خلقه بموته قال كلا ولكن كيف لى ذلك ؟ فسكت الرجل وجعل على بن الفضل يلح عليه ويقول والله مارميت لى مارميت الا وعندك اثر منه فاهدنى اليه . وجعل يلازمه وهو متوقف عنه ويطارح عليه وهو ينقبض منه[2] الى ان حضر انصراف اصحابه فودعهم وكتب الى اهله وتخلف عن الرحيل فانصرف الرجل الى موضعه فاتبعه فقال له : اجلس هاهنا حتى آتيك فجلس ومضى عنه واقام اربعين يوما وعلى فى ذلك المسجد لا يبرح . والرجل يفتقده من حيث لا يراه . فلما رأى قوة عزمه ونيته اتاه . فلما رآه وثب اليه وقال ياسيدى ماهذا الفعل ؟ قطعت بى وتركتنى . قال وانك لهاهنا ؟ قال واين كنت اذهب وانت تقول اجلس هاهنا حتى آتيك ؟ قال فلو لم آتك ماكنت صانعا ؟ قال اذا والله لا ابرح حتى اموت فالقى الله معذورا .

= الباطنية للحمادى (ص ٢١) وكذلك بهاء الدين الجندى (ص ١٦٥) ، من تاريخ اليمن جمع حسن محمود وكذلك الخزرجى فى كتابه الكفاية والاعلام مخطوط ورقة (٢٢) وجميع هذه المراجع تنص على ان ميمون وابنه عبد الله ملازمان لضريح الحسين لاصطياد الاتباع .

(١) يلاحظ هنا اسلوب الدعوة عندهم حيث ان ميمون يأخذ منه ويريد ان يعرف مدى فهمه وتصوراته قبل ان يقدم له شيئا وهذا اسلوب من اساليب الدعوة الى اى مبدأ كان .

(٢) ادرك ميمون ان ابن الفضل له رغبة شديدة فى معرفة المذهب والايمان به ولكن اسلوب الدعوة عندهم يفرض على الداعى الا يقدم العقيدة والتعاليم الاسماعيلية دفعة واحدة حتى يعرف مدى استطاعة فهم ابن الفضل وتصوره لمثل هذه التعاليم الجديدة عليه .

واخيرا اخذ عليه العهد واوصله الى الامام[1] فلما رآه واختبر حاله قال للداعي ابن حوشب : هذا الذي كنا ننتظره ومن ثم بعثه بصحبة ابن حوشب الى اليمن لبث الدعوة ونشرها هناك[2].

ووصل علي بن الفضل اليمن سنة ٢٦٨ هـ مع ابن حوشب[3].

---

(١) تؤكد المصادر الاسماعيلية على ان هذا الامام - الذي اتصل به ابن الفضل ومن ثم اخذ العهد له وبعثه الى اليمن بصحبة ابن حوشب - هو الامام الحسين بن احمد الملقب بالزكي وهو الامام الثالث من ائمة دور الاستتار بعد محمد بن اسماعيل. انظر عيون الاخبار للداعي ادريس (ص ٣٩٥ - ٣٩٦) كما انه والد عبيد الله المهدي اول ائمة دور الظهور. انظر استتار الامام للنيسابوري (ص ٩٥) ، ويقول الحميري ايضا بذلك الا انه يلقبه بالهادي وانه امر ابن حوشب وابن الفضل بالدعوة الى ولده عبيد الله المهدي. انظر الحور العين (ص ١٩٨) ، اما المقريزي فيقول أن الامام الذي قدم عليه الداعيان وبعثهما الى اليمن يعرف بجعفر بن محمد وهو والد عبيد الله المهدي. انظر اتعاظ الحنفا (١ : ٥٠ - ٥١) غير ان ابن خلدون يسميه بمحمد بن الحبيب ويعتبره والد عبيد الله المهدي (٤ : ٦٤ - ٦٥) ، ومن الاستعراض لهذه الاراء نجد الاتفاق على ان هذا الامام والد عبيد الله المهدي فالخلاف اذن حول اسمه فقط واما من يطعن بنسب الفاطميين فيعتبر ان هذا الامام هو عبيد الله ابن ميمون القداح. انظر الكفاية والاعلام للخزرجي ورقة ٢٢ ، والسلوك في طبقات العلماء والملوك (ص ١٦٥) ، واما الذي بعث الداعيان في فترة امامته فهو الحسين بن احمد بن عبد الله بن ميمون القداح . انظر تثبيت دلائل النبوة (٢ : ٣٧٧) ، اتعاظ الحنفا للمقريزي (١ : ٣٨) ، وقد وقع المقريزي في خلط واضطراب حينما اعتبر ابن ابي الفوارس احد دعاة عبدان هو الذي بعث ابن الفضل داعيا الى اليمن. انظر اتعاظ الحنفا (١ : ١٦٦) ، والصحيح ان الذي بعثه امام الاسماعيلية على اختلاف في اسمه كما سبق وان اوضحت ذلك في هذا التعليق .

(٢) رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ص ٣٩ - ٤٠) .

(٣) هذا التاريخ هو الذي اتفق عليه الكثير من المؤرخين. انظر رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ص ٤٤) ، اتعاظ الحنفا للمقريزي (ص ٥١) ، ولذا لا يعول كثيرا على ما ذكره يحيى بن الحسين من ان دخول ابن الفضل وابن حوشب سنة ٣٩١ هـ انظر غاية الاماني (ص ١٩١) من القسم الاول .

وبدأ الدعوة سرا لمدة سنتين ثم ظهرت الدعوة سنة سبعين ومائتين.[1]

بدأت دعوة ابن الفضل تنتشر فى اماكن متعددة من اليمن كجيشان وسر ويافع[2] وقد اختار هذه المناطق لتفرسه بانهم اسرع الناس الى اجابته ويصف الحمادى الطريقة التى دخل بها عليهم قائلا : انه بنى فى رأس جبل مسجدا واخذ بالنسك والعبادة فكان نهاره صائما وليله قائما وان اهل هذه المناطق انسوا اليه واحبوه وافتتنوا به . وفى آخر الامر بلغت ثقتهم به ان قلدوه امرهم وجعلوا حكمهم اليه.[3]

وماكان لمثل هذه الشخصيات ان تظهر وتوصف بالعبادة والزهد الا فى مجتمع الرعاع والجهال من الناس والذين لا يفقهون من امر الاسلام سوى بعض الشعائر التعبدية ولذا يقول عنهم الخزرجى : " ان ابن الفضل وجد اهل هذه الاماكن رعاعا افتتنوا به".[4]

كما يصفهم يحيى بن الحسين بانهم جهال رعاع لا يعرفون الحقائق بل يتبعون كل ناعق.[5] كما ان ابن الفضل نفسه استخفهم ووصفهم بما يستحقونه فحينما طلبوا منه النزول من الجبل والسكن بينهم قال : لا افعل هذا ولست اسكن بين قوم جهال ضلال.[6]

بمثل هذه الاوساط وتلك المجتمعات تنبت المبادىء المنحرفة ويظهر الاقزام وكأنهم رجال متخذين الخداع والمكر على الجهال وسيلة لتحقيق اهدافهم ويقول الحمادى فى ذلك : ولم يزل يخدعهم بعبادته حتى بلغ الى اراداته وامرهم ببناء حصن فى ناحية " سر ويافع" فاطاعوه وسمعوا لامره.[7]

---

(١) افتتاح الدعوة للقاضى النعمان (ص ٤٤) .

(٢) اسماء لبعض المدن والمناطق فى اليمن .

(٣) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٢٨) .

(٤) الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة (٢٣) .

(٥) غاية الامانى القسم الاول (ص ١٩٢) .

(٦) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٢٨) .

(٧) المرجع السابق (ص ٢٨) .

وصاروا يجمعون له زكواتهم حتى اجتمع له شيء جيد[١] .

ثم الزمهم ان يغيروا على اطراف البلاد فينهبوا اهلها واوهمهم ان ذلك من الجهاد في سبيل الله وانه جهاد لاهل المعاصى حتى يدخلوا في دين الله طوعا وكرها[٢] .

وامرهم ان يتخطفوا بلاد ابن ابى العلاء[٣] فاشتد بأسهم . لكن ابن ابى العلاء استطاع ان يهزم ابن الفضل واصحابه ويقتل منهم خلقا كثيرا . ولما تراجع ابن الفضل منهزما اجتمع اليه المنهزمون من اصحابه وكان ذا رأى ومكر فقال لهم " انى ارى رأيا صائبا قالوا وماهو ؟ قال اعلموا ان القوم قد امنوا منا وارى ان نهجم عليهم فانا نظفر بهم" فوافقوه على مايريد فلم يشعر ابن ابى العلاء الا وهو معه بخنفر[٤] على حين غفلة وا محتراق من اصحابه فقتل ابن ابى العلاء طائفة كثيرة من عسكره واستباح ماكان لهم واستولى على خزائن لابن ابى العلاء وفيها من النقد جطة مستكثرة قدرها الخزرجي بسبعين بدرة[٥] .

وبعد هذه المعركة عاد الى بلد يافع فعظم شأنه وشاع ذكره واجابه قبائل مذحج باسرها[٦] .

وفي سنة احدى وتسعين ومائتين قصد المذيخرة[٧] وبها جعفر بن احمد

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك للجندى ضمن تاريخ اليمن جمع حسن محمود (ص ١٦٩) .

(٢) الكفاية والاعلام للخزرجي ورقة ٢٤ ،كشف اسرار الباطنية (ص ٢٨) ، غاية الامانى القسم الاول (ص ١٩٣) .

(٣) ملك من ملوك حمير واسمه الحارث بن مالك بن زيد وكانت تحت سيطرته بعض مخاليف اليمن كلحج وابين .

(٤) مدينة من مدن اليمن ومخلاف من مخاليف ابين .

(٥) نقد يعنى تساوى البدرة الواحدة عشرة آلاف درهم . اما الحمادى فيقدرها بتسعين طحما في كل واحد عشرة آلاف . كشف اسرار الباطنية (ص ٢٩) .

(٦) انظر كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٢٨) ،غاية الامانى ليحيى بن الحسين (ص ١٩٣) ،الكفاية والاعلام للخزرجي ورقة (٢٤) .

(٧) اسم قلعة حصينة في رأس جبل صبر وهى من اعمال صنعاء وقريبة من عدن . معجم البلدان لياقوت .

المناخى وتقاتل الفريقان وانهزم على بن الفضل واصحابه وعادوا الـــى بلد يافع . لكنه فى السنة التى تليها جمع جموعا كثيرة وقصد المذيخره مـــرة اخرى فدخلها واخذ حصن التعكر[1] وانهزم جعفر الى تهامة مستنجدا بصاحبها فامده صاحب زبيد بجيش كثيف فرجع جعفر يريد المذيخره فلقيه على بن الفضـــل فى جموعه وكان بينهما وقفة مشهورة قتل فيها جعفر وبعض اقاربه فادخلـــت رؤوسهم الى المذيخره وقويت شوكة القرامطة باستيلاء ابن الفضـــل علـــى بلاد المناخى[2] .

ويقول الجندى انه لما صار بالمذيخرة اعجبته فاظهر بها مذهبه وجعلها دار ملكه[3] .

اخذت حركة القرامطة تنتشر فى اليمن بقيادة على بن الفضل فبعـــد ان استولى على بلاد المناخى وجعلها مستقر ملكه نراه ينهض الى بلاد يحصب[4] فيدخل بعض مدنها ويخربها ثم يسير الى ذمار حيث وجد جيشا عظيما فـــى هران[5] لكنه استطاع استمالة صاحبه عن طريق المكاتبة حتى والاه ودخل فـــى ملته وقرمطته[6] .

بعد هذا التوسع نجد ان ابن الفضل ينهض الى اليمن الاعلى قاصـــدا صنعاء وكان عليها اسعد بن ابى يعفر فحاربهم وهم نيف على اربعين الفـــا وقاتلهم قتالا شحيحا لكن القرامطة صمدوا ولزموا جبلا قريبا من صنعاء اقامـــوا فيه ثلاثة ايام لا ينزلون ثم داهم ابن الفضل اهل صنعاء ليلا فدخلوهـــا وذلك فى العاشر من شهر محرم سنة ٢٩٣هـ وكان يوما عصيبا حصل فيـــه

---

(١) قلعة حصينة عظيمة مكينة ليس باليمن احصن منها وهى من مخلاف جعفر.
(٢) الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة (٢٤) .
(٣) السلوك فى طبقات العلماء والملوك للجندى (ص ١٦٩) ضمن تاريـــخ اليمن جمع حسن محمود .
(٤) مخلاف من مخاليف اليمن .
(٥) حصن من حصون ذمار باليمن .
(٦) غاية الامانى ليحيى بن الحسين (ص ١٩٥) ،كشف اسرار الباطنيـــة (ص ٣٢) .

مع اهل صنعاء ماحصل من الخوف والوجل والرعب والفشل وخرج منهم من خرج باهله واولاده واستباح القرامطة صنعاء قتلا واسرا ونهبا وهتكت المحارم وفعلت العظائم [١].

وقد استجار اهل صنعاء طالبين معاونة الامام الهادى [٢] فارسل لمقاومة اعدائهم جيشا تحت امرة ولده محمد المرتضى فاستولى على ذمار وارغم القرامطة على الجلاء من صنعاء . لكنهم استعادوها مرة اخرى لجلاء الامام عنها وعودته الى مقره صعده . وبقيت المدينة مكان جذب بين القرامطة والامام الهادى تارة وبين اسعد بن يعفر تارة اخرى الى ان دخلها على بن الفضل سنة ٢٩٩هـ واستقر له الامر فيها وظلت خاضعة لسلطانه الى نهاية عهده [٣].

فلما كان فى صفر سنة سبع وتسعين ومائتين نهض القرمطى من المذيخره يريد زبيد فهرب صاحبها وهى يومئذ بيد اسحاق بن ابراهيم بن محمد بن زياد وقيل انه قاتل حتى قتل واستباح القرمطى زبيد وسبى من النساء اربعة آلاف عذراء [٤] واقام بزبيد سبعة ايام ثم خرج منها يريد المذيخره فلما صار عسكره بموضع يسمى المشاحيط امر صائحه فصاح بالعسكر للنزول فاجتمعوا اليه فقال لهم : قد علمتم انما خرجتم للجهاد وقد غنمتم من نساء الحصيب مالا يخفى ولست آمنهن عليكم ان يفتنكم ويشغلنكم عن الجهاد فليذبح كل رجل منكم ماصار معه منهن فذبحوا اربعة آلاف عذراء فى ساعة واحدة [٥].

بعد هذه المعارك التى كان نتيجتها الاستيلاء على اجزاء كبيرة من

---

(١) سيرة الهادى الى الحق لعلى بن محمد العباسى (ص ٣٩٠) ، غاية الامانى ليحيى بن الحسين (ص ١٩٦) .

(٢) هو اول ائمة الزيدية وقد اسس دولة زيدية فى صعده توارثها ابناؤه .

(٣) تاريخ اليمن جمع حسن محمود (ص ٣١٧ - ٣١٨) .

(٤) بالغ على بن محمد العباسى فى تقدير عدد السبايا فاعتبرهن خمسا وثلاثين الف امرأة . انظر سيرة الهادى الى الحق (ص ٣٩٤) .

(٥) السلوك فى طبقات العلماء والملوك للجندى (ص ١٧٠ - ١٧١) ، ضمن تاريخ اليمن جمع حسن محمود ، الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة (٢٥) .

اليمن ،رأى ان الامر قد استحكم له فخلع طاعة عبيد الله المهدى الذى كان يظهر الطاعة له وانه داع اليه ثم كاتب صاحبه ابن حوشب بذلك .

فعاد جوابه اليه يعاتبه ويقول له : كيف تخلع طاعة من لم تنل خيرا الا به وتترك الدعاء اليه . اما تذكر مابينك وبينه من العهود والمواثيق وما اخذ علينا جميعا من الوصية على الاتفاق وعدم الافتراق . فلم يلتفت الى قوله وكتب اليه انما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها ولى بأبى سعيد الجنابى اسوة لانه خلع ميمونا وابنه ودعا الى نفسه وانا ادعو الى نفسى.[1]

لم يكتف ابن الفضل بمفارقة بن حوشب وخلع طاعة المهدى ،فجهز جيشا عدته عشرة آلاف محارب من المعروفين بالشجاعة والاقدام وسار بهم لحرب ابن حوشب وحصل من جراء ذلك عدة معارك لم ينتصر فيها احد حتى اضطر ابن حوشب الى عقد راية الصلح بينهما.[2]

لم يؤد هذا الصلح الى عودة الوفاق بينهما بل ظل كل واحد منهما يعمل مستقلا عن الاخر مما كان سببا فى اضعاف الدعوة الاسماعيلية فى بلاد اليمن.[3]

وتعزو بعض المصادر الاسماعيلية خروج بن الفضل على الدعوة الاسماعيلية وخلعه طاعة الامام الاسماعيلى الى شخص اسمه فيروز[4] صحب المهدى فى رحلته من الشام الى المغرب لكنه افترق عنه من مصر مخالفا المهدى وفر هاربا الى اليمن واجتمع بعلى بن الفضل ومازال معه حتى افسده وفتنه عن الدعوة

---

(١) الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة (٢٦) ،كشف اسرار الباطنية (ص ٣٣) .

(٢) انظر الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة (٢٦) .

(٣) سياسة الفاطميين الخارجية لسرور (ص ٧٤) .

(٤) تصفه المصادر الاسماعيلية بانه داعى دعاة المهدى واجل الناس عنده واعظمهم منزلة وان الدعاة كلهم اولاده ومن تحت يده وهو باب الابواب الى الائمة . صحب المهدى فى رحلته من الشام الى المغرب لكنه تغير عليه وعزم على النفاق لما تأكد لديه ان المهدى ذاهب الى المغرب ومن ثم ذهب الى اليمن وفتن ابن الفضل وافسده عن الدعوة الاسماعيلية . سيرة الحاجب جعفر (ص ١١٠ - ١١٤) .

الاسماعيلية[١] .

وعلى ضلال دعاة الاسماعيلية فقد وصفوه بالكفر والاصرار والاستكبار فيقول عنه الداعى ادريس " انه ممن آمن ثم كفر ودخل فى الدعوة ثم خرج منها واصر واستكبر وكثير ممن ظن به الخير خالف ماظن فيه "[٢] .

بل انه اعتبر فى رأى الدعوة الاسماعلية " قد نكث عهده واستهواه الشيطان واضله ففارق الدعوة وخرج من الملة . . وانه افترى على الله وعلى اوليائه مقتديا بالمضلين من قبله فكانوا له شر اسوة وانه استحل الجهال وارتكب المحارم وكفر بعد ايمانه وباء بلعنة الله "[٣] . ويقول النعمان : ان على ابن الفضل انسلخ من امر الله وامر اوليائه واستحل المحارم ورفض الظاهر ودعا الناس الى الاباحات كما انه حارب ابا القاسم ومات على ذلك من غيه وضلاله[٤] .

---

(١) اليمانى سيرة جعفر بن حاجب (ص ١١٥) من مجلة كلية الاداب .
(٢) عيون الاخبار للداعى ادريس (ص ٣٩٩) .
(٣) اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٣٩٠) نقلا من عيون الاخبار للداعى ادريس .
(٤) افتتاح الدعوة للقاضى النعمان (ص ١٥٠) .

الحاد ابن الفضل القرمطي وكفره

تجمع المصادر - التى اطلعت عليها بما فيها مصادر الاسماعيلية - على وصف ابن الفضل القرمطي بالالحاد والكفر والخروج على الشرائع والديانات السماوية . ولاهمية ايضاح هذا الجانب المتعلق بفكر بن الفضل واعتقاده فسوف استقصي ماذكرعنه على قدر الوسع والطاقة، لا سيما وان بين ظهرانينا من يحملهم التعصب الشديد على انتحال صفات بارزة لهذا الرجل ونسبت خصائص جليلة له ليس منها فى كثير ولا قليل .(١)

والحديث فى هذا الجانب سيشمل امورا ثلاثة :

(١) ادعاء ابن الفضل الالوهية .

(٢) ادعاءه النبوة .

(٣) مذهبه فى نشر الاباحة وابطال التكاليف الشرعية .

فاما الامر الاول : وهو ادعاء ابن الفضل الالوهية فالمصادر تذكر هذا الادعاء مؤكدة ذلك بنقل نصوص تفوه بها ابن الفضل فى ادعائه المقيت ولنأخذ هذه المصادر واحدا بعد آخر . فالمقريزى نص على انه تسمى برب العزة وكان يكاتب عماله بذلك وان ابنه الذى حكم بعده كان يكاتب اهل دعوته ويخاطبهم فى كتبه بقوله : من ابن رب العزة(٢) ويشارك صاحب سيرة الهادى الى الحق فى كتابه مانقله المقريزى وينص على ان ابن الفضل تسمى

---

(١) يصفه احدهم بانه كان شخصية بارزة وقائدا بارعا وحاكما ناجحا ووطنيا متحمسا . انظر اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب (ص ٣٩٠) . ويصفه آخر بهذه الصفات ويزيد عليها بانه كان اداريا حكيما وانه فخور بقحطانيته ثم يقول : ان التاريخ لم يستطع ان يطمس سياسته البارعة فى السلم والحرب وشهامته واقدامه وابقاءه بالعهود والمواثيق وحمايته المظلومين ونصرته مبادىء الحياة المثلى . انتهى كلامه وما اتعس قلب الحقائق . انظر القرامطة لعارف تامر (ص ١٨٤ - ١٨٥) .

(٢) اتعاظ الحنفا (١ : ١٦٦ - ١٦٧) .

برب العالمين[1] . كما ان الديلمى ذكر فى كتابه قواعد عقائد آل محمد انــــه تسمى برب العزة[2] .

ويزداد الامر تأكيدا حينما نجد ان المصادر تنقل النصوص الدالة الصراحة على مثل هذا الادعاء الهابط ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبـــيرا فالجندى ينقل عن ابن جرير ان عنوان كتب ابن الفضل الى اسعد بن يعفــر بهذا اللفظ " من باسط الارض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها على بـــن الفضل الى عبده اسعد بن يعفر "[3] . وبهذا اللفظ ذكر ذلك الخزرجـــى ايضا فى كتابه الكفاية والاعلام[4] . وكذلك الواسعى فى تاريخ اليمن[5] . كمــا ذكر ذلك الديلمى بعبارة فيها تغيير طفيف عما سبق وهى : من باســـط الارض وداحيها وناصب الجبال ومرسيها[6] .

ويقول المعرى ـ مشيرا الى ابن الفضل فى ادعاءاته ـ واذا طمع بعــض هؤلاء فانه لا يقنع بالامامة ولا النبوة ولكنه يرتفع صعدا فى الكذب ولم تكــن العرب فى الجاهلية تقدم على هذه الامور العظائم بل كانت عقولهم تجنح الــى رأى الحكماء وما سلف من كتب القدماء اذ كان اكثر الفلاسفة لا يقولون بنـــبى وينظرون الى ذلك بعين الغبى[7] .

الامر الثانى : ادعاء ابن الفضل للنبوة .

ظل ابن الفضل يتابع دعاواه المتناقضة الزائفة فمن ادعاء الالوهية الــى ادعاء النبوة . فانه لما تمكن وملك صنعاء اظهر مذهبه الخبيث ولم يكفـــه

---

(١) سيرة الهادى الى الحق على بن محمد العباسى (ص ٣٩٤) .
(٢) بيان مذهب الباطنية للديلمى (ص ٨٣) .
(٣) السلوك فى طبقات العلماء والملوك للجندى ضمن تاريخ اليمن جمــع حسن محمود (ص ١٧٣) .
(٤) الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة (٢٦) .
(٥) المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن (ص٢٢ - ٢٣) .
(٦) بيان مذهب الباطنية لمحمد بن حسن الديلمى (ص ٨٣) .
(٧) رسالة الغفران لابى العلاء المعرى (٢ : ٣٢ - ٣٣) .

ذلك حتى ادعى النبوة[1] .

واشتهر بهذا الادعاء فأى مؤرخ او مؤلف كتب عنه وعن حركة القرامطة في اليمن ذكر ذلك عنه ومن هؤلاء المؤلفين يحيى بن الحسين[2] والديلمي[3] وبهاء الدين الجندي[4] ونشوان الحميرى[5] . اما الخزرجي فيقول ان ابن الفضل لما صار الى صنعاء اظهر مذهبه الخبيث ودينه المشؤوم وارتكب محظورات الشرع وادعى النبوة وكان المؤذن يؤذن في مجلسه ويقول : اشهد ان على بن الفضل رسول الله[6] . وبهذه العبارات ايضا ينقل لنا الواسعي بأن مؤذنه يؤذن ويقول : اشهد ان على بن الفضل رسول الله[7] .

ويذكر الحمادى ايضا ادعاء ابن الفضل للنبوة وينقل عن شاعر القرامطة قوله على منبر الجامع :

خذى الدف ياهذه والعبى	وغنى هزاريك ثم اطربى
تولى نبى بنى هاشم	وهذا نبى بنى يعرب
لكل نبى مضى شرعة	وهذى شرائع هذا النبى[8]

ويذكر هذه الابيات نشوان الحميرى باختلاف في بعض الالفاظ حيث ينقل عن شاعر ابن الفضل قوله :

خذى العود ياهذه واطربى	نقيم شرائع هذا النبى
تولى نبى بنى هاشم	وهذا نبى بنى يعرب[9]

---

(١) بلوغ المرام للعرشي (ص ٢٣) .
(٢) في كتابه غاية الامانى (١ : ١٩٧) .
(٣) في كتابه بيان مذهب الباطنية (ص ٨٢) .
(٤) في كتابه السلوك في طبقات العلماء والملوك ضمن تاريخ اليمن (ص ١٦٩) .
(٥) في كتابه الحور العين (ص ١٩٩) .
(٦) الكفاية والاعلام للخزرجي ورقة (٢٤) .
(٧) تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن للواسعي (ص ٢٢) .
(٨) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣١) .
(٩) الحور العين لنشوان الحميرى (ص ١٩٩) .

الامر الثالث : مذهبه فى نشر الاباحة وابطال التكاليف الشرعية .

يتحدث صاحب سيرة الهادى الى الحق عن ابن الفضل فيقول : انه لما صار الى المذيخره اظهر المجوسية وامرهم بنكاح الامهات والاخوات وشرب الخمر وحرم جميع الحلال واحل جميع الحرام وكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله عز وجل وامر من كان معه ان يسلموا الاموال والحرم ويخرجوا اليه من جميع مافى ايديهم [١] .

ويقول الخزرجى فى ذلك : انه اباح لاصحابه شرب الخمور ونكاح البنات والاخوات وارتكب محظورات الشرع وساير المحرمات [٢] .

ولا يستغرب قول الديلمى هذه الاباحية عند ابن الفضل حيث انها جزء من مذهبه فيقول : ان من مذهبه استحلال المحرمات وتزويج الاخوات والبنات [٣] .

اما الحميرى فيقول انه احل جميع المحرمات وخرب المساجد [٤] .

واضافة لما سبق من كلام العلماء والمؤلفين فقد ذكر غيرهم اباحية ابن الفضل واستحلاله المحرمات من امثال الواسعى فى تاريخه [٥] ويحيى بن الحسين [٦] وبهاء الدين الجندى [٧] .

ونتيجة لهذه التعاليم المنحرفة وما تلاها من اباحية وقحة عند ابن الفضل القرمطى فقد حفظ لنا العلماء احداثا مفصلة تؤكد ماذكرنا من قبل وقد ترددت كثيرا فى تفصيل هذه الاحداث وتسطيرها فى ثنايا بحثى لبشاعتها ومخالفتها للفطرة الانسانية ولكن دفعنى الى ذكرها امران :

---

(١) سيرة الهادى الى الحق لعلى العباسى العلوى (ص ٣٩٤) .
(٢) الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة (٢٤) .
(٣) بيان مذهب الباطنية للديلمى (ص ٨٢) .
(٤) الحور العين لنشوان الحميرى (ص ١٩٩) .
(٥) المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن (ص ٢٢) .
(٦) غاية الامانى (١ : ١٩٧) .
(٧) السلوك فى طبقات العلماء والملوك ضمن تاريخ اليمن جمع حسن محمود (ص ١٦٩) .

(١) انه سبقني علماء ومؤلفون ذكروا هذه الاحداث بسطا وايجازا وسطروهـا من خلال كتبهم ومؤلفاتهم .

(٢) كشف هذه الحركات وابانة حقيقتها الزائفة ممثلة في شخصياتها الغامضة وعن حياتهم الاجتماعية والاخلاقية .

ومن اقدم المصادر التي تحدثت عن حياة قرامطة اليمن الاجتماعيـة كتاب سيرة الهادي الى الحق لمؤلفه على بن محمد العباسي العلوي وتأتـي اهميته حيث ان المؤلف عاش في عصر القرامطة وهو اواخر القرن الثالث (١) فتكـون معلوماته بمثابة مذكرات شاهد عيان يقول عن ابن الفضل : انه اذا كان ليلـة الجمعة جمع الرجال فارسلهم على النساء فتقع الام للابن والاخت مع الاخ فيفجروا بهن في ليلتهن تلك فمن امتنع من ذلك قتله واباح حرمته لمن كان معـه تمردا وكفرا وجرأة على الله عز وجل وعتوا وفجورا (٢) .

ويأتي اهمية بعد هذا المصدر كتاب كشف اسرار الباطنية للحمادي الذي عاش في اواسط المائة الخامسة للهجرة وتأتي اهمية ماينقله لنا من معلومـات ان المؤلف دخل في مذهب الاسماعيلية لهدف معرفته والاطلاع على اسراره (٣) .

فهو يقول عن علي بن الفضل واتباع مذهبه : انه كان يجمع اهل مذهبه في دار واسعة يجمع فيها الرجال والنساء بالليل ويأمر باطفاء السرج وكـل واحد يأخذ من تقع يده عليها فلا يدعها حتى يطبق فيها حكم الامير (٤) .

ويأتي بعدهما القاضي ابو عبد الله يوسف الجندي حيث يعطينـا تفصيلات اكثر فيقول : ان ابن الفضل عمل دارا واسعة في عاصمته المذيخـرة وكان يجمع فيها غالب اهل مذهبه نساء ورجالا متزينين متطيبين ويوقد بينهـم الشمع ساعة ويتحادثون فيها باطيب الحديث واطربه ثم يطفأ الشمع ويضع كـل

---

(١) انظر مقدمة سيرة الهادي الى الحق (ص ٨) للدكتور سهيل زكار .
(٢) سيرة الهادي الى الحق لعلي العباسي (ص ٣٩٤ - ٣٩٥) .
(٣) انظر الصفحة الحادية عشر من كشف اسرار الباطنية للحمادي .
(٤) المرجع السابق (ص ٣٦) .

منهم يده على امرأة فلا يترك الوقوع عليها وان كانت من ذوات محارمه وقد يقع مع احدهم مالا يعجبه اما لعجز او لغيره فيريد التفلت منها فلاتكاد تعذره .

ثم يعلق الجندى على هذه الاباحية بقوله : وهذه مخزية عظيمة شاعت عنه وعمت جميع من انتسب الى التسمعل[1] وهى شىء لم يحقق عن احد غيره[2] .

اما المقريزى فيذكر ذلك ايضا ولكنه يزيد على من سبقه بايضاح فلسفة ابن الفضل لهذه الاباحية اذ يقول : اذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال ولا ولد من ولد فتكونوا كنفس واحدة .

كما يذكر المقريزى ان هذه الدار التى يجتمع فيها الرجال والنساء تسمى (دار الصفوة) .

وان ابن الفضل يحفظ من يحبل من النساء تلك الليلة ومن تلد من ذلك ويتخذ تلك الاولاد لنفسه خولا ويسميهم أولاد الصفوة[3] .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الجندى يقول : انه سأل جمعا من الذين يتحقق منهم المذهب عن هذه الاباحية فكان جوابهم بالانكار مع اعترافهم بأن ابن الفضل زنديق واجماعهم على ذلك . ثم يضيف الجندى قائلا ان ذلك هو الذى يتقرر فى ذهنى[4] ولقد رد عليه الكوثرى قائلا ان هذا يستغرب من الجندى حيث ينتظر منهم الاعتراف بمثل هذه الشناعة البالغة التى تعرف بفروعهم الى اليوم[5] اضافة الى ذلك اقول ان الجندى نقل مايتعارض مع هذا الذى يذكر وقد اثبتنا مانقله آنفا .

---

(١) المراد بذلك الاسماعيلية .

(٢) السلوك فى طبقات العلماء والملوك للجندى (ص ١٧٢) .

(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٦) .

(٤) السلوك من طبقات العلماء والملوك (ص ١٧٢) ضمن تاريخ اليمن جمع حسن محمود .

(٥) كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣٦) حاشية رقم (٢) لمحمد زاهد الكوثرى .

ومع هذه الاباحية التي انتهجها ابن الفضل في حياته وحياة اتباعه لم تسلم التكاليف الشرعية من تعديه عليها والحاده بتعطيلها . حيث امر بقطع الحج[1] وقطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام[2] محاولا بذلك اسقاط الحج الى مكة[3] ولذا يذكر الديلمي عن ابن الفضل انه عزم على قصد الكعبة وتخريبها[4] .

وكان يقول لاصحابه : حجوا الى الحرف واعتمروا الى الثلاث. وفي لفظ آخر واعتمروا الى الثاني[5] .

اما التكاليف الشرعية الاخرى من الصلاة والزكاة والصيام فقد حطها وابطلها عن اتباعه الذين اعتبروا ذلك من شريعة نبيهم الجديد ولطالما رددوا فيه قصيدتهم التي اشتهرت في المجتمع اليمني .

ولشهرتها فقد ذكرها جمع من العلماء والمؤرخين على تفاوت بينهم في بعض الالفاظ وعدد الابيات[6] .

---

(١) الكفاية والاعلام للخزرجي ورقة (٢٤) ،كشف اسرار الباطنية للحمادي (ص ٣٣) .

(٢) السلوك من طبقات العلماء والملوك للجندي (ص ١٧١) من تاريخ اليمن جمع حسن محمود .

(٣) غاية الاماني (١ : ١٩٧) ليحيى بن الحسين .

(٤) بيان مذهب الباطنية للديلمي (ص ٨٣) .

(٥) السلوك من طبقات العلماء والملوك للجندي (ص ١٧١) ضمن تاريخ اليمن جمع حسن محمود ،كشف اسرار الباطنية للحمادي (ص ٣٣) وهذه الاماكن التي يأمر ابن الفضل بالحج اليها هي مواضع معروفة باليمن قريبة من عاصمة القرامطة المذيخرة .

(٦) فالحمادي اليماني ذكر عشرة ابيات . انظر كشف اسرار الباطنية (ص ٣١) ،ويوافق الحمادي من حيث العدد كل من الجندي ـ انظر السلوك من طبقات العلماء والملوك (ص ١٦٩) ،والديلمي ـ انظر بيان مذهب الباطنية (ص ٨٢ - ٨٣) ،اما الخزرجي فيذكرها احد عشر بيتا . انظر الكفاية والاعلام ورقة (٢٤ ،٢٥) غير ان المرشي يقتصر على اربعة ابيات . انظر غاية المرام (ص ٢٣) ،ويأتي بعده نشوان الحميري الذي اقتصر على ثلاثة ابيات . انظر الحور العين (ص١٩٩) وسوف اذكر في متن البحث من هذه الابيات ما اتفق عليه العلماء والمؤرخون من حيث اللفظ والعدد حرصا على التأكد مما ننقله والتثبت فيما نصف به القرامطة .

يقول شاعر بن الفضل(١) :

خذى العود ياهذه واضربـــى	نقيم شرائع هذا النـــبى
تولى نبى بنى هاشـــــم	وهذا نبى بـنى يعـرب
فحط الصلاة وحـــط الزكـــاة	وحط الصيام ولم يتعــب(٢)

---

(١) اختلف فى قائل هذه الابيات على ثلاثة آراء :
الاول : ان هذه الابيات تنسب الى احد الخطابية . انظر الحـــور العين للحميرى (ص ١٩٩) .
الثانى : ان قائلها على بن الفضل نفسه . انظر السلوك من طبقـــات العلماء والملوك للجندى (ص ١٦٩) .
الثالث : ان قائلها شاعر من شعراء القرامطة فى عصر ابن الفضل . انظر كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣١) والحور العين لنشوان الحميرى (ص ١٩٩) . والذى يترجح لى هو الرأى الثالث حيث ان الرأى الاول لم يذكره سوى الحميرى وذكره بصيغة الظن حيث قال " وغالب الظـــن ان قائلها من الخطابية" ثم بنى هذا الظن على مااشتهر عنهـم مـــن ادعاء النبوة . وحيث ان المصادر قد اثبتت ادعاء ابن الفضل للنبـــوة فقد زال ماذكره الحميرى كما يفهم من كلامه ان ابن الفضل لم يدع النبوة ويبدو انه فى نقل الحميرى شيئا من التناقض حيث قال قبل نقـــــل الابيات ان هذه القصيدة من قول بعض شعراء عصر ابن الفضل فيه . انظر الحور العين (ص ١٩٩) . اما الرأى الثانى وهو نسبتها الـــى ابن الفضل . فان التأمل للنص والضمائر التى فيه لا تدل على انـــه هو الذى قالها وانما تدل على ان احد اتباعه قال ذلك فيه . وممـــا يزيد ترجيحنا للرأى الثالث انه اتفق على القول به ثلاثة من العلمـــاء وهم الحمادى والمرشى والحميرى .

(٢) الحور العين للحمادى (ص ١٩٩) ، غاية المرام للمرشى (ص ٢٣) ، كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣١) ، السلوك للجندى (ص ١٦٩) الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة (٢٤) ، بيان مذهب الباطنية للديلمـــى (ص ٨٢) .

وبعض المؤرخين لا يذكر هذه القصيدة مكتفيا بالاشارة الى مايشبهها ومن هؤلاء يحيى بن الحسين الذى يقول ان ابن الفضل لما تمكن من صنعاء لم يحسن فيها صنعا حيث رقى منبر جامعها فخطب خطبة منكرة صرح فيها بعقيدته الكفرية وحمد عليها من تابعه من تلك الفرق الغويه . ثم يضيف قائلا ان هذه الخطبة ذكرها كثير من المؤرخين وانما تركنا نقلها هنا تنزيها لكتابنا هذا[١] .

نهاية ابن الفضل ونهاية الحركة فى اليمن بعده .

تختلف المصادر حول نهايته فبعضها يعتبر انه مات طبيعيا[٢] والبعض الاخر يعتبر ان نهايته كانت خطة مدبرة من قبل اسعد بن ابى يعفر حيث مات غيلة بالسم الذى وضع له اثناء فصده[٣] . وعلى كل فوفاته سنة ٣٠٣هـ .

وتعتبر وفاة ابن الفضل ايذانا بزوال دولة القرامطة فى اليمن حيث ان اسعد بن ابى يعفر الحوالى خرج من صنعاء حتى صار الى ذمار وكاتب اهلها فقدم اليه وجوه اهل البلد ثم صار الى مخلاف جعفر واجتمعوا اليه واخذ يناهض القرامطة ويحاربهم بجد واجتهاد فلزموا الحصون واقاموا فيها وهو يحاربهم ويحاصرهم وجعل يدخل الحصون باذلا نفسه حتى اعطى الظفر فدخل جميع حصونهم وقتل بشرا كثيرا والجأ القرامطة الى عاصمتهم المذيخرة وحصرهم فيها[٤] .

فلما دخلت سنة ٣٠٤هـ اقام اسعد بن ابى يعفر الحصار على المذيخره وضيق على اهلها ورماهم بالمنجنيقات حتى تثلمت جوانبها فاشتد الامر على

---

(١) غاية الامانى (١٩٧:١) .

(٢) المرجع السابق (ص ٢٠٨) ، سيرة الهادى الى الحق لعلى بن محمد (ص ٤٠٣) .

(٣) الكفاية والاعلام للخزرجى ورقة (٢٦) ، بلوغ المرام للعرشى (ص ٢٣) ، كشف اسرار الباطنية للحمادى (ص ٣٧) .

(٤) سيرة الهادى الى الحق لعلى بن محمد (ص ٤٠٣) .

القرامطة وعجزوا عن المحاربة فدخلها عليهم قهرا بالسيف واسر جميع اهلها وسبى بنات ابن الفضل[1] . ويقول الحميرى ان اسعد بن ابى يعفر لما دخل المذيخره عاصمة القرامطة قتل منهم خلقا كثيرا واخذ اموالا عظيمة يقصر عنها الوصف واخذ ولدين لعلى بن الفضل وجماعة من رؤساء القرامطة معه الى صنعاء حيث امر بهم فذبحوا جميعا[2] .

ويصف الحمادى اسعد بن ابى يعفر مبينا صدقه فى المعركة وشدة عزيمته ومضاءها قائلا : ان من شدة عزمه وحزمه وتقصيه انه ماحل عدته ولا سلاحه بل يصلى وعليه عدته وسلاحه حتى فتح الله عليه وقتل القرامطة واحيا الاسلام[3] .

وبعد سقوط المذيخره اخذ حكام اليمن يتتبعون بقايا القرامطة فى اماكنهم المتعددة للقضاء عليهم وقطع دابرهم ففى سنة سبع وثلاثمائة وجه احمد بن يحيى بن الحسين عسكرا لحرب القرامطة الذين تجمعوا بقيادة عبد الحميد بن محمد المسورى فالتقى الجيشان فى موضع يقال له نغاش[4] وقد استمرت المعركة لمدة ثلاثة ايام كانت الهزيمة من نصيب القرامطة حيث قتل منهم الف وخمسمائة رجل وبعد هذه الهزيمة انحلت عروة القرامطة وكسرت شوكتهم وخمدت نار فتنتهم[5] غير انه ظهر رجلان من دعاة القرامطة سنة ٣١٩هـ وتبعهما خلق وتحصنوا بقلعة تسمى شكع[6] فوجه اسعد بن ابى يعفر القواد والعساكر فى وجوههم فقتلوهما وغنم المسلمون ماكان معهم[7] .

---

(١) غاية الامانى ليحيى بن الحسين (١ : ٢٠٩) .
(٢) الحور العين للحميرى (ص ٢٠٠) .
(٣) كشف اسرار الباطنية (ص ٣٧ - ٣٨) .
(٤) موضع فى بلد همدان باليمن وقد سميت المعركة باسمه .
(٥) انظر سيرة الهادى الى الحق لمحمد العباسى (ص ٤٠٥) ، غاية الامانى (١ : ٢١١ - ٢١٢) .
(٦) بضم اوله وثانيه واديه قلعة فى سرو حمير باليمن يسكنه الاعضود وبنو مهاجر ذكر ذلك الهمدانى فى صفة جزيرة العرب .
(٧) سيرة الهادى الى الحق (ص ٤٠٦) ،غاية الامانى (١ : ٢١٤) .

وبعد القضاء على هذين الرجلين تخمد الحركة القرمطية فى اليمن سياسيا وعسكريا[١] لكن الافكار والتعاليم تبقى منتشرة ولكن فى قالب آخر وهو الحركة الاسماعيلية التى ظلت باقية حتى عصرنا الحاضر حيث ان امام الزيدية المتوكل على الله كانت له معارك مع الاسماعيلية ابتدأت سنة ١٣٢٣هـ وكان من الاسلاب التى غنمها الكثير من كتب الاسماعيلية وهى محفوظة الان بمكتبة جامع صنعاء[٢].

---

(١) يذكر كاى فى حواشيه على تاريخ اليمن جمع حسن محمود (ص ٣٠٣-٣٠٤) حاشية رقم ١٣٠ مايفيد باستمرار الحركة القرمطية فى اليمن الى القرن السادس حيث يقول انه فى سنة ٥٤٩هـ هجم احمد المتوكل على الله على قبيلة يام القرمطية التى ظل افرادها مثابرين على مزاولة مراسم المذهب الاسماعيلى لكن كاى تحفظ على صدق هذا الكلام بأن قال اذا كنا نصدق المؤرخين الزيدية .

(٢) مقدمة بيان مذهب الباطنية لشروطمان (ص ز) .

الباب الثالث

عقائـــد القرامطـــة [1]

يشتمل هذا الباب على تمهيد وخمسة فصول :

الفصل الاول : اصول القرامطة التى انطلقوا منها :

(أ) الامامـــة

(ب) الظاهر والباطن والتأويل

(جـ) فلسفة الاعداد والحروف

الفصل الثانى : معتقد القرامطة من الله سبحانه وتعالى

الفصل الثالث : معتقد القرامطة من النبوة والانبياء والرسل

الفصل الرابع : معتقد القرامطة فى القيامة والمعاد

الفصل الخامس : معتقد القرامطة فى التكاليف الشرعية

---

(١) اطلقنا عبارة عقائد بالجمع لان فكرهم خليط متعدد المنابع والاصول كما سيتضح ذلك من خلال هذا الباب .

تمهـــــيد :

تقدم لنا ان الاسماعيلية تعتبر جذرا اساسيا من الجذور المغذية للحركة القرمطية وان زعماء القرامطة استمدوا تعاليمهم وافكارهم من ائمة الحركة الاسماعيلية ودعاتها وكما سبق واوضحنا من خلال المصادر التاريخية والعقائدية ان القرامطة لم يبتدعوا عقيدة خاصة او رفعوا مبادئ فكرية تختلف مع العقيدة الاسماعيلية حتى فى فترة الخلاف والتوتر اضافة الى ذلك فان زعماء الحركة القرمطية كحمدان وعبدان وزكرويه والجنابى وعلى بن الفضل جميع هؤلاء تربوا وتعلموا الدعوة على ايدى دعاة الحركة الاسماعيلية وائمتها . ومن المعروف ان انتاج القرامطة فى المجال الفكرى قليل جدا وماعرف منه فهو مفقود وغير معروف ومن المرجح انه لم يبق منه شئ (1) . اما المصادر الاساسية للحركة الام ـ الاسماعيلية فكثيرة جدا حيث نشر العديد من المخطوطات السرية والتى تمثل المبادئ والمعتقدات لكلتا الحركتين . الاسماعيلية والقرمطية . اذن فالحديث عن عقائد القرامطة يمثل تماما عقائد الاسماعيلية .

وقبل الحديث عن عقائد القرامطة بالتفصيل لابد من الاشارة الى عدة حقائق :

(١) ان هذه العقائد مزيج عجيب متعدد الاصول حيث التأثر ـ غالبا ـ بالفلسفات التى سبقتهم والنظريات التى عاصرتهم مع مايضاف الى التقاطهم لبعض النصوص الاسلامية والاستفادة منها شكلا لا مضمونا

---

(١) سبق وان ذكرنا مؤلفات القرامطة فى ترجمة الداعى عبدان وان هذه المؤلفات تنحصر فى شخصية عبدان فقط وقد ذكرها ابن النديم فى الفهرست وهى مفقودة تماما غير ان الداى شهاب الدين نقل فى رسالة له بعنوان مطالع الشموس نتفا بسيطة من كتاب الميزان لعبدان . انظر اربع رسائل اسماعيلية (ص ٥٢) مع ملاحظة ان هذا الداعى عاش فى القرن التاسع الهجرى . انظر اربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر (ص ١٩) .

ان هذه الحقيقة يؤكدها العالم المحقق ابن تيمية فى احد كتبه قائلا : وفى اواخر المائة الثانية وقبلها وبعدها اجتلبت كتب اليونان وغيرهم من الروم من بلاد النصارى وعربت وانتشر بذلك مذهب عبدلة الصابئة مثل ارسطو وذويه . وكان من نتائج ذلك ان ظهر فى ذلك الزمان "الخرمية" وهم اول القرامطة الباطنية الذين كانوا فى الباطن يأخذون بعض دين الصابئين المبدلين وبعض دين المجوس . كما اخذوا من هؤلاء كلامهم فى النور والظلمة وكسوا ذلك عبارات وتصرفوا فيه واخرجوه الى المسلمين وكان من القرامطة الباطنية فى الاسلام ماكان (١) .

وفى موضع آخر يقول : ان الملاحدة الباطنية ركبوا مذهبهم من قول المجوس واليونان مع ما اظهروه من التشيع وكانت قرامطة البحرين اعظم تعطيلا وكفرا (٢) .

ويقول كاتب لديه الكثير من مخطوطات الاسماعيلية : والذين يدرسون عقائد الاسماعيلية يستطيعون ان يدركوا ان هذه العقائد مزيج عجيب من مجموعة المذاهب والديانات والاراء الفلسفية القديمة التى عرفت وانتشرت فى الاقطار الاسلامية منذ زمن بعيد بتأثير امتزاج المسلمين بغيرهم من اصحاب الديانات المختلفة والاراء المتباينة . وان الاسماعيلية اخذوا هذه الاراء والمعتقدات واخضعوها لفكرتهم من الامامة بعد ان صبغوها بالصبغة الاسلامية حتى ان الباحث يستطيع ان يتعقب اكثر عقائد الاسماعيلية ويردها الى اصولها القديمة (٣) .

(٢) ان اكثر معتقدات القرامطة مستمدة من الفلسفة اليونانية والمتأثرين بها امثال اخوان الصفا . يقول الشهرستانى مبينا هذه الحقيقة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١ : ٣٧٤) .
(٢) المرجع السابق (ص ٣٧٥) .
(٣) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين (ص ١٧٤) .

ان الباطنية خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج[1] .

ويؤكد البغدادي هذه الحقيقة من خلال نقله الرسالة المتبادلة بين ابي طاهر القرمطي والامام العبيدي ومن الوصايا في هذه الرسالة واذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا وانا واياهم مجمعون على انكار نواميس الانبياء وعلى القول بقدم العالم[2] .

ومن مقام التبجح يثبت احد دعاة الاسماعيلية هذه الحقيقة المؤلمة بقوله : ان الاسماعيليين من انجب التلاميذ الذين درسوا الفلسفة اليونانية دراسة واقعية واخذوا منها الافكار والنظريات وطبقوها وحوروها في مجتمعهم وليست جمهورية افلاطون الا احد الكتب المفضلة القيمة التي درسوها بعناية وطبقوها بامعان[3] .

وتقول احدى الباحثات : اننا اذا تتبعنا دراسة عقائد باقي الفرق الاسلامية فاننا لا نجد فرقة اسلامية - على حد قولها - تأثرت بالفلسفة تأثر القرامطة الاسماعيلية . لهذا فيمكن القول ان عقيدتهم ماهي الا سلسلة افكار فلسفية دينية او حركة تجميع وصهر بين الاثنين[4] .

ويقول المستشرق اليهودي جولد تسيهر : ان الاسماعيلية صبغت الاراء الدينية في الاسلام بعناصر الغنوصية والافلاطونية الحديثة[5] .

ومن الامثلة على هذه الحقيقة نظرية افلاطون المثل والتي تقول بان مافي العالم الحسي لا يعدو عن كونه اشباح لمثل في العالم العلوي . والاسماعيلية قالوا : ان مافي عالم الدين مثل لممثولات في

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١٩٢) .
(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٧٨) .
(٣) القرامطة لعارف تامر (ص ٨٠) .
(٤) الخلفية العقائدية للطالبة فضيلة (ص ٢٠٦) .
(٥) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر (ص ٢٤٧) .

العالم الروحانى .

ويؤكد محمد حسين على ان الاسماعيلية اقتبسوا من الافلاطونية الحديثة كل فلسفة الفيوضات وترتيبها بحيث اذا قرأنا كتب الحقيقة الاسماعيلية نجد انفسنا امام الفلسفة الافلاطونية الحديثة وذلك كالابداع وظهور النفس الكلية عن العقل الكلى ... الخ هذه النظريات .(١)

بل ان الاسماعيلية والقرامطة طوروا هذه النظريات الى اسلوب اكثر تطرفا واشد غلوا . يقول جولد تسيهر : ان الاسماعيلية بدأوا بنظرية الفيض الافلاطونية تلك التى بنت عليها جماعة اخوان الصفا البصرية فلسفتها الدينية فى موسوعتها المصنفة وان الاسماعيلية استنبطت من هذه الفلسفة اعمق نتائجها واشدها تطرفا .(٢) ومما له مدلول ان الحركة القرمطية نشأت وظهرت فى فترة من اشد الفترات خلطا واضطرابا على الفكر الاسلامى . فحركة الترجمة فى كتب الفلاسفة اخذت فى الذيوع والانتشار بين ظهرانى المسلمين ونشأ من جراء ذلك محن ومصائب وانتشرت الشبه الفلسفية - كما يقول العاملى - واخذت فى الذيوع والانتشار فى ايام ظهور القرامطة انتشارا هائلا لم يكن له مثيل .(٣)

كما يقول ابن تيمية عن هذه الفترة : ان الملاحدة من المتفلسفة وغيرهم حدثوا وانتشروا بعد انقراض العصور المفضلة - وصار كل زمان ومكان يضعف فيه نور الاسلام يظهرون فيه . وكان من اسباب ظهورهم انهم ظنوا ان دين الاسلام ليس الا مايقوله اولئك المبتدعون ورأوا ذلك فسادا فى العقل فكان غلاتهم طاعنين فى دين الاسلام بالكلية - باليد واللسان - كالخرمية اتباع بابك الخرمى . وقرامطة البحرين اتباع ابى سعيد الجنابى .(٤)

---

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين (ص ١٧٥-١٧٦) .
(٢) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر (ص ٢٣٩) .
(٣) الشيعة فى التاريخ للعاملى (ص ٨٩) .
(٤) منهاج السنة لابن تيمية (١ : ٢٢٥-٢٢٦) .

ويقول المقريزى ايضا : وبتعريب المأمون لكتب الفلسفة انتشرت مذاهب الفلاسفة فى الناس واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والاشعرية والكرامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية حتى ملأت الارض ومامنهم الا من نظر فى الفلسفة وسلك من طرقها ماوقع عليه اختياره فانجر بذلك على الاسلام واهله من علوم الفلاسفة مالا يوصف من البلاء والمحنة فى الدين [١] .

(٣) ان العقائد الاسماعلية القرمطية تأثرت ـ الى حد ما ـ بالافكار اليهودية والمسيحية ، ولا ادل على ذلك من مؤلفاتهم فالسجستانى ـ وهو من كبار علمائهم ـ اعترف بصلب المسيح وقال ان عيسى عليه السلام اخبر عن امامهم القائم وانه يعتبر علامة ودليلا لعيسى عليه السلام .

كما انه عقد مقارنة بين الشهادة (لا اله الا الله) وبين الصليب واعتقد بالاتفاق بينهما ومما قال : ان الشهادة اربع كلمات كذلك الصليب له اربعة اطراف والشهادة مبنية على النفى والاثبات فالابتداء بالنفى والانتهاء الى الاثبات وكذلك الصليب خشبتان خشبة ثابتة لذاتها وخشبة اخرى ليس لها ثبات الا بثبات الاخرى [٢] . . . الخ هذه السخافات .

ونقل من الداعى حميد الدين الكرمانى [٣] انه استفاد كثيرا من التوراة والانجيل واستشهد بنصوص منهما وفى بعض مؤلفاته : ان آيات التوراة تشير الى امام الاسماعيلية [٤] .

---

(١) الخطط للمقريزى (٢ : ٣٥٨) .
(٢) انظر الينابيع للسجستانى من (ص ١٤٦ - ١٤٩) .
(٣) احد الدعاة الكبار فى المذهب الاسماعيلى ومؤلف كتاب راحة العقل الذى يعتبر من اصولهم المذهبية .
(٤) انظر طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين (ص ١٧٦) ، اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١٩٦) .

ويؤكد تامر ذلك بقوله : ان الاسماعيلية سلسلوا الامامة تسلسلا منطقيا مرتكزا على النصوص التى وردت فى التوراة والانجيل [١] .

ومن الجدير بالذكر اننا اذا نظرنا فى كتب الاسماعيلية التى الفت قبل دور الاسماعيلية العبيدية فى مصر نجد آراء هى من صميم العقيدة المسيحية بل صرح جعفر بن منصور اليمن فى عدة من كتبه بان ترتيب الدعاة عند الاسماعيلية هو نفس ترتيب رجال الكنيسة النصرانية [٢] .

ولحاجة فى نفوس بعض المستشرقين عقد المستشرق برنارد لويس فصلا خاصا فى كتابه اصول الاسماعيلية بعنوان مذهب الشمول فى العقيدة ومما قال فيه : ان الاسماعيليين طوروا بعض افكار عيسوية اصفهان ـ وهى فرقة يهودية ـ وانهم صاغوا هذه الافكار واوجدوا نظاما محكما اصبحت بموجبه الصحة النسبية لجميع الاديان معترفا بها مع الغاء التعصب الدينى الغاء تاما .

وذكر لويس : ان الاسماعيليين درسوا كتب اليهود والنصارى وفسروها باساليب اسماعيلية [٣] وفى كتاب نقله الطبرى وذكر ان احد القرامطة جاء به ونصه : بسم الله الرحمن الرحيم . يقول الفرج بن عثمان [٤] انه داعية المسيح وهو عيسى وهو الكلمة . وهو المهدى . وهو احمد بن

---

(١) الامامة فى الاسلام لعارف تامر (ص ١٤١) .

(٢) ومن الامثلة على ذلك قول الاسماعيلية ان الحجج اثنا عشر ولكل حجة داعية ولكل داعية يد ويسمون الحجة الاب والداعية الام واليد الابن يضاهون قول النصارى فى ثالث ثلاثة . انظر الفرق للنوبختى (ص ٨٥) اما النص الذى فى صلب البحث فمرجعه كتاب طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين (ص ١٧٦) .

(٣) اصول الاسماعيلية لبرنارد لويس (ص ١٩٤ - ١٩٦) .

(٤) احد رؤساء القرامطة المشهورين ويعرف بزكرويه بن مهرويه .

محمد بن الحنفية وهو جبريل وذكر ان المسيح تصور له فى جسم انسان وقال له : انك الداعية وانك الحجة . . . وانك روح القدس وانك يحيى ابن زكريا . وذكر فى هذا الكتاب ان القبلة الى بيت المقدس والحج اليه.[(١)]

واسلوب هذا الكتاب والفاظه واضحة فيه النغمة المستعملة فى كتابات النصارى المقدسة . كما ان مايدعوا اليه هذا الكتاب من معانى وافكار يدل على ما اشرنا اليه سابقا من تأثر القرامطة والاسماعيلية بالنصرانية .

(٤) ان العقائد الاسماعيلية القرمطية مجموعة آراء مختلفة ومتباينة تطورت من بلد الى آخر ومن زمن الى زمن بحيث يصعب دراستها ومعرفتها فكانوا يقولون بآراء فى بلد ويقولون بغيرها فى بلد آخر او يأتون بنقيضها بعد فترة من الزمن .[(٢)]

والامثلة على هذه الحقيقة كثيرة نقتصر على بعضها :

ذكر الكرمانى ان العقل هو المعروف فى الشريعة باسم القلم وفى موضع آخر من نفس الكتاب قال : ان المنبعث الاول الذى هو العقل المسمى بالقلم موجود ثانى وانه فى الكمال كالاول[(٣)] . يقول محمد حسين ـ معلقا على هذا التناقض والاختلاف ـ فلا استطيع ان اوفق بين الرأيين لرجل واحد فى كتاب واحد .[(٤)]

ومن الامثلة تأويلهم لمعنى الشجرة الواردة فى قوله تعالى " يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين "[(٥)] فهى عند المؤيد امام الزمان وعند حاتم

---

(١) تاريخ الامم للطبرى (٨ : ٢٦١ - ٢٦٢) .
(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين (ص ١٧٧) .
(٣) راحة العقل للكرمانى (ص ٢٩٨) .
(٤) ديوان المؤيد (ص ٩٦) .
(٥) سورة البقرة : ٣٥ .

ابن ابراهيم- احد دعاة اليمن - هابيل بن آدم . اما جعفر بن منصور فيؤول كلمة الشجرة بابليس . وهكذا يتضح لنا مدى التضارب في تأويلات الاسماعيلية واختلاف دعاتهم فيها(1) .

ولقد تنبه الشهرستانى الى هذا الاختلاف والتباين فى عقائد الاسماعيلية والقرامطة وعبر عن ذلك بقوله : ولهم دعوة فى كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان(2) .

ان هذه الحقائق الاربع تدل دلالة واضحة على فقدان الاصالة الفكرية للقرامطة كما تدل على عدم ثباتهم والتزامهم بمنهج واحد .

ولا يخفى مايترتب على هذين الاعتبارين من صعوبة الوصول الى صورة دقيقة وواضحة لمعتقدات القرامطة وافكارهم . وأرجاع هذه المعتقدات والافكار الى منابعها الاصلية واصحابها الحقيقيين .

---

(١) قرامطة العراق لعليان (ص ١٧٦ -١٧٧) .
(٢) الملل والنحل للشهرستانى (١:١٩٢) .

الفصل الاول

اصول القرامطة التى انطلقوا منها

(أ) الامامـــة .

من الاصول التى قام عليها مذهب الشيعة عقيدة الامامةحيث تعتبر من العقائد الاساسية التى استحدثوها بل تعد ركنا اساسيا تبنى عليها الاراء والمعتقدات للتشيع على تعدد فرقه .

ويشير الشهرستانى رحمه الله الى الاختلافات التى وقعت حول قضية الامامة بقوله : ان اعظم خلاف وقع فى الامة خلاف الامامة اذ ما سل سيف فى الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة فى كل زمان[1] .

والشيعة بفرعيها الاسماعيلى والاثنا عشرى ينصون بالامامة لعلى بن ابى طالب وتبقى مسلسلة فى ابنائه على التعيين واحدا بعد واحد[2] .

ويقولون : ان الامامة ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الامام بنصبهم بل هى قضية اصولية وهى ركن الدين لا يجوز للرسل اغفالها واهمالها ولا تفويضها الى العامة وارسالها[3] .

كما انهم يقولون عن الامامة : انها نص من الله لا يجوز الاختيار من الامة وعلى ذلك فالاختيار مع النص يعتبر باطلا[4] .

وما تقدم من النصوص عن الامامة يعتبر متفقا عليه بين الشيعة الاسماعيلية والشيعة الاثناعشرية[5] .

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى (١ : ٢٢) .

(٢) صبح الاعشى للقلقشندى (١ : ١١١ - ١٢٠) .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٤٦) .

(٤) تاج العقائد لابن الوليد (ص ٧٦) .

(٥) وقع الاختلاف بين الشيعة الاسماعيلية والاثنا عشرية بعد موت جعفر الصادق فالاثنا عشرية نقلوا الامامة الى موسى الكاظم والاسماعيلية نقلوها الى ابنه اسماعيل ومن ثم الى محمد بن اسماعيل حيث ابتدىء =

غير ان الاسماعيلية اشد غلوا وتطرفا فى عقيدتهم من الامامة والائمة وهذا هو موضوع هذا الفصل .

فالقرامطة ـ وهى احدى الفرق الشيعية الغلاة ـ آمنت بتسلسل الامامة فى ابناء على بن ابى طالب حتى استقرت فى الامام السابع محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق .(١) ومن محمد بن اسماعيل انتقلت الامامة نصا فى اعقابه .(٢)

ويذكر المقريزى ان عبدان حينما سأل عن امامه قال : محمد بن اسماعيل بن جعفر صاحب الزمان ـ كما ان حمدان قرمط كان يدعو الى امامته بل ان حمدان خالف من انتسب الى الحركة ولم يؤمن بمحمد بن اسماعيل لان امامته اصل من اصول القرامطة التى اعتقدوها وسلسلوها فى ابنائه من بعده .(٣)

وعبر جعفر بن منصور عن عقيدة القرامطة والاسماعيلية واستمرارها فى الاعقاب بقوله : ان الامامة لا تتغير ابدا مع مرور الدهر فالائمة ينتقلون ويصيرون الى دار كرامته ومحل رضوانه بخيبة اشخاصهم وقيام الخلف منهم مقام السلف باتصال الامامة لانها تنتقل ولا تزول والائمة يتوارثون بالانتقال والاتصال خلفا عن سلف .(٤)

وحفاظا على عقيدة توارث الامامة واحقيتهم فيها فقد ابتدعوا مايسمى بالامام المستودع ويعنون بذلك الشخص الذى يتولى الامامة مؤقتا

= منه بالائمة المستورين الذين كانوا يسيرون فى البلاد سرا ويظهرون الدعاة جهرا انظر الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٦٨-١٩٢) .

(١) مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ١٠١) .

(٢) صبح الاعشى للقلقشندى (١ : ١١٩-١٢٠) .

(٣) انظر اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٧-١٦٨) .

(٤) انظر قرامطة العراق (ص ١٨٠) نقلا من اسرار النطقاء نشر ايفانوف بعنوان المنتخب من بعض كتب الاسماعيلية .

كأن يكون الامام المستقر صغيرا لا يستطيع القيام بمهام الامامة او يجب ان يكون مستورا لا يظهر الا للمقربين اليه فى بعض الظروف الاستثنائية كما انه لم يكن من حق الامام المستودع ان يورث الامامة لاحد فهى تنتقل من الاباء الى الابناء ولا يملك نقلها الا الامام المستقر . اما المستودع فتعتبر الامامة عنده وديعة لا بد أن يسلمها الى صاحبها الاصلى [١] .

ويوضح الداعى ابو الخطاب نموذجا عمليا لهذه العقيدة بقوله فاودع اسماعيل حجته المنصوبة بين يديه مقامة لولده محمد واقامه سترا عليه واستكلفه اياه الى بلوغه اشده فلما بلغ اشده تسلم وديعته [٢] كما يقولون ان محمد بن الحنفية استودع الامامة بعد مقتل الحسين ثم سلمها الى على بن الحسين الملقب بزين العابدين فتسلسلت فى ابنائه حتى اسماعيل بن جعفر الصادق الذى استودعها اخاه موسى ليسلمها الى ابنه محمد بن اسماعيل [٣] .

اهمية الامامة :

ان الدارس لكتب الاسماعيلية يرى الاصرار العجيب حول معتقد الامامة وتضخيمها حتى تطغى على جميع المعتقدات والاراء لديهم ويعبرون عن المقصود منها بقولهم : هى اعتقاد وصاية على بن ابى طالب وامامة الائمة المنصوص عليهم من ذريته ووجوب طاعته وطاعة الائمة [٤] .

وتعتبر الامامة عندهم احد اركان الدين بل هى الايمان بعينه

---

(١) انظر قرامطة العراق (ص ١٨١) .
(٢) غاية المواليد لابى الخطاب نشر ايفانوف بعنوان المنتخب من بعض كتب الاسماعيلية (ص ٣٥- ٣٦) .
(٣) مخطوطة زهر المعانى للداعى عماد الدين ادريس (ص ٥٢) .
(٤) ديوان المؤيد لمحمد حسين (ص ٧٠) .

وعن ذلك يقول احد دعاتهم : ان الامامة احد اركان الدين ودعائمه بل هي الايمان بعينه وهي افضل الدعائم واقواها لا يقوم الدين الا بهـا كما ان الدائرة التي تدور عليها الفرائض لا تصح الا بوجودها[1] . ويعبر آخر عن هذا المعنى بقوله : ان الامامة تعتبر افضل دعائم الديـن واقواها ولا يستقيم الدين الا بها فهي مركز تدور عليه دائرة الفرائـض فلا يصح وجودها الا بوجوده وهي تستمر مدى الدهر وانه لو فقد الامام ساعة واحدة لماد الكون وتبدد[2] فالامامة هي قيادة العالم وحمل الحقيقة اليـه[3] .

ونتيجة لهذا الغلو في عقيدة الامامة فقد بنوا على ذلك صحـة الاعمال وقبولها ونصوصهم عن ذلك كثيرة نقتصر على بعض منها : يقـول الداعي الشيرازي ان الله اوجب طهارة وصلاة و زكاة وصوما وحجـا وجهادا وجعل ماسك الجميع ورابطه والمانع من اختلاله ولاية الوصـي والائمة التي هي آخر فرض الدين واذا بطلت من الدين ولاية الوصـي بطلت الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وعاد الديـن جاهلية والولاية من الدين العمدة[4] .

ويقول قاضي الاسماعيلية ابي حنيفة النعمان فان اطاع المرء اللـه ورسوله وعصى الامام او كذب به فهو آثم وغير مقبولة منه طاعة الله وطاعـة رسوله[5] .

ويقول في موضع آخر : ولا بد للمستجيب بعد الاقرار بانبيـاء الله ورسله من معرفة امام زمانه وحجته ان كان قد نصبه او العلم ان لـم

---

(١) المصابيح في اثبات الامامة للكرماني (ص ١٢) .
(٢) الامامة لعارف تامر (ص ٦٥ - ٦٦) .
(٣) الحقائق الخفية لمحمد الاعظمي (ص ٢٥) .
(٤) ديوان المؤيد (ص ٧٠) .
(٥) المرجع السابق - نفس الصفحة .

ينصبه بانه لابد من نصبه اياه ليكون الامر اليه من بعده والتوقيف على ذلك الى منتهى حده.[1]

والحقيقة ان هذه المعتقدات لم تكن نظرية فقط بل ان القرامطة طبقوها عمليا . يقول النيسابورى : انه لما فقد امام الاسماعيلية والقرامطة اجتمع سبعة نفر من وجوه القرامطة وقالوا قد فقدنا امامنا ولا صلاة لنا ولا صوم الا باما م ولا نعرف من نعطى زكاتنا ومن ثم فانهم اخذوا في البحث والتجوال حتى يعرفوا اين مكانه.[2]

ومن غلو القرامطة والاسماعيلية فى الامامة اعتبارهم انها اعظم رتبة وافضل قدرا من النبوة والرسالة ومن النصوص التى تؤكد ذلك ماذكره الداعى الحارثى بقوله : ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اجتمعت عنده النبوة والرسالة والوصاية والامامة فابنه اسماعيل سلمه رتبة الوصاية والامامة بامر من الله تعالى اذ هو مقام الهى وهيكل نورانى . وسلم الى ولده اسحاق رتبة النبوة والرسالة وجعله خادما بين يدى اخيه اسماعيل وحجابا عليه وداعيا اليه لان اسماعيل واولاده مقامات الهية ذو هياكل نورانية اذ هم اهل الاستقرار واسحاق واولاده حجج ودعاة ظاهرة لاسماعيل واولاده وحجب عليهم.[3]

عقيدتهم فى الائمة :

ان عقائد الاسماعيلية تحمل فى الائمة غلوا وتطرفا شديدين ولنبدأ بنظرتهم للامام على بن ابى طالب رضى الله عنه حيث اعتبروا ولايته اساسا لقبول الاعمال والطاعات . وعبر عن هذه العقيدة

---

(١) تأويل الدعائم للقاضى النعمان (١ : ١٠٢) .
(٢) استتار الامام للنيسابورى (ص ٩١) .
(٣) الانوار اللطيفة للحارثى (ص ١٢٢) من الحقائق الخفية للاعظمى .

جعفر بن منصور بقوله : ان الله لا يقبل توبة نبي ولا اصطفاء وصى ولا امامة ولى ولا عمل طاعة من عامل ولو تقطع بالعبادة واجتهد الا بولاية على بن ابى طالب ومن اتى بغير ولايته اسقطت نبوته ووصايته وصالح عمله ولم يقبل الله منه ولا زكى عمله لانه مجمع الانبياء والاولياء والائمة من اول الادوار الى قيامه .[١]

كما عبر مرة اخرى عن عمق هذه العقيدة لديهم قائلا : لا دين الا بطاعة على وولايته ولا نعمة تامة الا مودته ومحبته ولا قبل للامة فرض ولا سنة ولا عمل مفترض الا بطاعة زوج البتول وموالاته ومحبته والائمة من ولده يرثون مقامه وفضله .[٢]

ويعتقد الاسماعيلية ان لكل نبى وصى يكل اليه امر المؤمنين وان الله تعالى امر نبيه ان يبلغ وصاية على الى الناس، ولذا فان الوصاية خاصة بعلى بن ابى طالب دون سائر ذريته ومقامها - اى الوصاية فوق الامامة . يقول المؤيد : ان الامامة فى الرتبة دون الوصاية .[٣] كما يعتقدون بان على بن ابى طالب ند ونظير للقرآن ومن اطلاقاتهم عليه قولهم انه الكتاب الناطق وان القرآن هو الكتاب الصامت[٤] وقولهم ان منزلة على بن ابى طالب من النبى كمنزلة اللوح المحفوظ من القلم فى عالم الامر .[٥]

اما اسماعيل بن جعفر الصادق الامام السادس من ائمتهم فيقول لويس عنه : انه يعتبر فى المصادر الاسماعيلية ذا منزلة توشك ان تجعله الها ومن ارباب الاطلاق .[٦]

---

(١) المرجع السابق (ص ١٢٦) .
(٢) ديوان المؤيد لمحمد حسين (ص ٧٠) .
(٣) انظر المرجع السابق (ص ٧٢ -٧٣) .
(٤) المجالس المؤيدية للشيرازى (ص ٢٢٢) .
(٥) المجالس المؤيدية المشيرازى (ص ١٠٩) .
(٦) اصول الاسماعيلية (ص ١٠٧) .

اما عقيدتهم فى محمد بن اسماعيل بن جعفر امام القرامطة الاول[1] فتتمثل بالاتى :

(١) انه رسول وصاحب شريعة جديدة .

(٢) انه ناسخ لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

(٣) انه يماثل الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

(٤) انه يعتبر حسب الفاظهم وتقسيماتهم ناطقا سابعا فالنطقاء سبعة اولهم آدم ثم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وسابعهم محمد بن اسماعيل .

ان هذه العقيدة ليست افتاءات ولا افتراء عليهم فالقول الفصل فى صدق ذلك ماسطرته كتاباتهم السرية ونطقت به افواه ائمتهم .

يقول الداعى طاهر الحارثى :ان محمد بن اسماعيل يعتبر متمما للدور وخاتما للرسل المنتهية اليه غاية الشرائع المختومة به المشتمل على مراتب حدودها المحيط بعلومهم وهو القائم بالقوة صاحب الكشفة الاولى قائم القيامة الكبرى[2] .

ويقولون : ان النطقاء سبعة اولهم آدم والثانى نوح والثالث ابراهيم والرابع موسى والخامس عيسى والسادس محمد صلى الله عليه وسلم والسابع محمد بن اسماعيل[3] .

كما يقولون ايضا ان قيام محمد بن اسماعيل يعتبر تمام دور الستر واعتقاد دور الكشف ونسخ شريعة الرسول السادس[4] .

وبذلك عبر المعز فى دعاء من ادعيته قائلا وعلى القائم بالحق

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٦٨) .

(٢) الحقائق الخفية للاعظمى (ص ١٢٩) نقلا من كتاب الانوار اللطيفة .

(٣) المرجع السابق (ص ١٣٠) .

(٤) يلاحظ ان المقصود بالرسول السادس محمد صلى الله عليه وسلم وذلك حسب تقسيماتهم .

الناطق بالصدق التاسع من جده الثامن من ابيه الكوثر السابع من آبائه الائمة سابع الرسل من آدم وسابع الاوصياء من شيث وسابع الائمة من البرره .... الى قوله الذى شرفته وعظمته وكرمته وختمت به عالم الطبيعة وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كل ذلك بالقوة لا بالفعل لكونه قائما بالقوة (١).

ومع ضلال علماء الشيعة الاثنى عشرية فقد ذكروا عن الاسماعيلية هذا الغلو والتطرف فى معتقدهم بمحمد بن اسماعيل . يقول القمى ان الاسماعيلية زعموا ان محمد بن اسماعيل حى لم يمت وانه غائب مستتر فى بلاد الروم وانه القائم المهدى ـ ثم يفسر معنى القائم عندهم بقوله : انه الذى يبعث برسالة وشريعة جديدة وينسخ بها شريعة محمد وان امامهم محمد بن اسماعيل من اولى العزم (٢).

اما مزاعم الاسماعيلية عن اوصاف ائمتهم وماينبغى ان يذكروا به فاكثر من ان تحصر وسأقتصر على بعض النصوص الملائمة البحث العلمى حيث الفحش فى الالفاظ عندهم كما انى اشارك الامام الغزالى رحمه الله فى اهمال الكثير من هذه الالفاظ ضنة بالبياض ان يسود بها (٣).

من هذه المزاعم اعتقادهم العصمة فى الائمة وان الامام يساوى النبى فى ذلك يقول الشيرازى : ان الامام يساوى النبى فى العصمة والاطلاع على حقائق الخلق فى كل الامور الا انه لا ينزل عليه الوحى وانما يتلقى ذلك من النبى لانه خليفته وبازاء منزلته ولا يعصم غيره من الخلق حتى الانبياء انفسهم (٤).

---

(١) الحقائق الخفية للاعظمى (ص ١٣٠) ، نقلا من كتاب الانوار اللطيفة للداعى طاهر الحارثى .

(٢) المقالات والفرق للقمى (ص ٨٤) .

(٣) فضائح الباطنية للغزالى (ص ٤٤) .

(٤) قرامطة العراق لعليان (ص ١٧٨) .

ومما قال احد شعرائهم :

ان الامام قائما بالحكمة بين الورى مؤيدا بالعصمة

وكلما يفعله صواب لا شك فى ذاك ولا ارتياب[1]

ومن منطلق العصمة للامام قال الاسماعيلية لابد للامام ان يكون كاملا فى قبول الفيض السارى فى عالم الطبيعة من جهة الملائكة المقربين ليهيمن عليهم ويرقى بجملته اليهم فاوجب الله طاعته ومحبته ليصيروا بذلك من جملته ويفلسفون ذلك بان التوحيد ومعرفة الحدود امر صعب وان جميع العباد لا يصلون الى هذه الدرجة التى يصل اليها الامام فاحتاجوا الى واسطة بينهم وبين الله وهذه الواسطة هو الامام[2] .

ومن مزاعمهم ان الائمة يعلمون الغيب وقد تناظر رجلان فى حكم المعز العبيدى فقال احدهما ان الامام يعلم الغيب وقال الاخر لا يعلم الغيب فرفع حالهما الى امامهم المعز فقال لهم ان الغيب على ثلاث حدود فوجه استأثر الله به عباده ووجه آخر مايحتاج اليه فى الشريعة ووجه ثالث مخزون لصاحب القيامة وهو الامام القائم يعلم من تقدم مايكون منه ولو شاء امامك ان يتلو عليك ذلك لفعل[3] .

ومما قالوا : ان الامام بما اوتيه من معرفة خارقة للعادة يستطيع ان يعرف اى ابنائه قد نال الامامة بالنص . كما قالوا : ان الامام لا يخطئ فى معرفته هذه بحال من الاحوال والا لما عد اماما[4] .

كما ان الامام عند الاسماعيلية يوصف بانه بيت الله الذى اودعه اسرار دينه كما يودع المودع انفس ذخيرته فى بيته وبهذه الصفة مدح المؤيد امامه بقوله :

---

(١) القصيدة الصورية (ص ٦٥) .

(٢) انظر الرياض للكرمانى (ص ٢٢٩) .

(٣) مخطوطة الرسالة المذهبية للنعمان (ورقة ٨٥ - ٨٦) .

(٤) الامامة لعارف تامر (ص ٦٥) .

هو البيت بيت للاله مقدس وسيف امام الكفر والشرك فاصل[1]

ويعتقدون ان آيات الله الواردة فى القرآن انما المراد منها هو الامام فهم يؤولون الايات حسب امزجتهم واهوائهم التى تتلاءم مع معتقداتهم ففى قوله تعالى " والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون "[2] يزعمون ان المراد بآيات الله هم الائمة المترجمون عنها والقادحون انوار الملكوت منها فهم لهم بمنزلة الارواح من الاجساد والايات هى الاعلام فكفى بالائمة اعلاما للنجاة وادلة على تحقيق الحياة . ومما قال احد دعاتهم فى وصف الائمة ضمن ابيات طويلة :

وآيات دين الله تزهر كلها بنور تراه ساطعا ان تأملته[3]

ويقولون عن الصراط المستقيم الذى ذكره الله فى مواضع متعددة من القرآن ان المراد به امام الزمان ومما قال صاحب عيون المعارف : واعلم ان الصراط على الحقيقة هو معرفة الامام الكريم اذ هو الصراط المستقيم وهو الصراط المنصوب بين الجنة والجحيم .[4]

وقال المؤيد فى مجالسه : ان مجموع النبى والوصى يكون الصراط المستقيم وانه انتظام مرتبة الامامة فى ذريتهما واحدا بعد واحد الى يوم القيامة فيكون المنتظم فى سلكهم على الصراط المستقيم وعبر المؤيد عن ذلك بعدد من قصائده منها قوله :

هم امان من العمى وصراط مستقيم لنا وظل وظليل[5]

وقد اخترع الاسماعيلية اسماء للائمة يبنون عليها بعض المعتقدات

---

(١) ديوان المؤيد (ص ٨٤) .
(٢) سورة الاعراف : ٣٦ .
(٣) ديوان المؤيد (ص ٨٥ - ٨٦) .
(٤) المرجع السابق (ص ٨٦) نقلا من عيون المعارف (ص ٤٨١) .
(٥) المرجع السابق (ص ٨٧) .

وذلك كالامام الناطق والامام الصامت ومن ذلك يقول صاحب الفترات والقرانات : ان كل دور من ادوار الانبياء لا يكمل الا باثنين ناطق وهو النبي وصامت وهو الوصي [1]. ومن اوصاف الناطق انه يأتي لينسخ شريعة ماقبله باظهار شريعة جديدة . اما الصامت فيأتي لنسخ التأويل الذي قبله ويبنون على هذه التقسيمات ان شريعة الله نزلت مجملة وغير مفسره والرسول - الذي يعبرون عنه بالناطق - فسرها وقسمها ظاهريا ولكنه عهد بتقسيمها وتفصيلها باطنيا الى الصامت [2].

ولا يتحرج الاسماعيلية بوصف امامهم بصفات الانبياء حيث يقولون عنه : انه خليل الله وكليم الله وانه المسيح الذي يحيي الموتى الى غير ذلك من خصائص الانبياء . ومما قال المؤيد في مدح احد الائمة :

يامسيحا يكلم الناس طفلا	ضل في شأنه اخو اللب لبا
لست دون المسيح سماه ربا	اهل شرك ولا نسميك ربا [3]

لم يكتف الاسماعيلية والقرامطة بتنزيه ائمتهم من الزلل والخطأ ومساواتهم بالانبياء بل خلعوا عليهم من الصفات الالهية ماجعلهم لا يمتون الى البشرية بصلة فرمزوا الى الامام في تأويلاتهم الباطنية بانه هو وجه الله ويد الله وعين الله وغير ذلك من الصفات ولهم ادلة يسوقونها لكل صفة من تلك الصفات [4].

يقول صاحب سرائر النطقاء : فعلى روح الله القدسية التي اخضع لها كل المخلوقات وجعله السبب الى توحيده والدليل الى وجوده اذ نعته الله بصفته فهو جنب الله وعينه واذنه ووجهه ويده

---

(١) ديوان المؤيد (ص ٧٣) نقلا من كتاب الفترات والقرانات (ص ٥٤ - ٥٥) .

(٢) اثبات النبوات للسجستاني (ص ١٩١ - ١٩٢) .

(٣) ديوان المؤيد القصيدة الخامسة عشر (ص ٢٤١) .

(٤) انظر قرامطة العراق لعليان (ص ١٧٨ - ١٧٩) .

لتأنس الخلائق الى معرفة توحيده باقامة حدوده (١) .

وقد اكد المؤيد فى عدد من قصائده على هذه الصفات ومما قال يخاطب احد الائمة :

فوجهك وجه الاله المنير ونورك من نوره كالحجاب

يداك يد الله مبسوطتان وانت له الجنب غير ارتياب

وانك برهانه فى الانام وانك مصباحه فى النصاب

ويقول ايضا :

شهدت بأنك وجه الاله وجوه الموالى به ناضرة

ويقول ايضا :

هو الوجه وجه الله والجنب جنبه

من الوحى قد قامت عليه الدلائل

ويقول ايضا :

قد حله وجه الاله وجنبه ولسان صدق محمد وجنانه (٢)

ويعتقدون ان الامام مخلوق من نور الله وان جسمه اشرف الاجسام ويمثل جسم الامام رتبة العقل بالنسبة لاجسام البشر . ومما قال المؤيد فى هذا المعنى :

من نور ربى خلقوا طابوا وطاب الخلق

كما قال فى موضع آخر :

ذو نسبة بالمصطفى والمرتضى يسمو ويعلو

بكثيفه ولطيفه فاسه نفس وعقل (٣)

ويذكر بعض عبيد هؤلاء الائمة ان لائمتهم فراسات صادقة

---

(١) ديوان المؤيد (ص ٨٢) .

(٢) ديوان المؤيد (ص ٢٣١ ، ٢٨٦ ، ٢١٢ ، ٢٧٢) .

(٣) ديوان المؤيد القصيدة رقم (٢٥) (ص ٢٦٤) ، البيتين فى (ص ٨٨) .

واختبارات حقيقية وانهم ينظرون بنور الله عز وجل فى جميع امورهم [١].

ان دعاة القرامطة والاسماعيلية ادعوا لائمتهم كل دعوى ولكنهم حاولوا كتم هذه الدعاوى باستخدام الرموز والاساليب الباطنية .

اما شعراء العبيديين فانهم كفروا والحدوا صراحة فهاهو الحسن ابن هانئ يقول مخاطبا المعز :

ماشئت لا ماشاءت الاقدار   فاحكم فانت الواحد القهار [٢]

وقد حاول بعض دعاة الاسماعيلية الاعتذار من هذا الكفر الصريح بقوله : ان القدماء فهموا من هذا البيت وامثاله ان الائمة كانوا يدعون الالوهية . والواقع انهم لم يدعوها ولم يتخذهم اتباعهم آلهة لهم . ولكن الفاطميين قالوا بان الائمة مثل للعقل الاول فهم -اى الائمة- على هذا النحو اقرب الحدود الى الله تعالى فى عالم الكون والفساد كما ان العقل الاول اقرب الحدود العلوية الى الله تعالى [٣] .

والواقع اننا اذا حللنا مرادهم بالعقل الاول اتضح لنا مايعتذرون منه ويفرون عنه وهى دعوى الالوهية. فالعقل الاول له اسماء متعددة عندهم فيطلقون عليه احيانا السابق واحياناً القلم ويصفون هذا العقل بانه تام وكامل وازلى وعاقل وعالم [٤] . واذا تتبعنا هذه الاسماء وتلك الصفات فى كتب دعاتهم وجدنا انهم يعتبرونها اسماء او اوصافا لله عز وجل . ففى رسالة مطالع الشموس : قولهم عن الله : انه العقل المفضل والسابق التام وان الله لما اظهر العالم من العدم الى الوجود ظهر له اسم ليس كمثله شئ . وهو العقل الاول [٥] .

---

(١) سيرة جوذر لمنصور الجوذرى (ص ٣٤) .
(٢) ديوان ابن هانئ (ص ١٤٦) .
(٣) ديوان المؤيد (ص ٩٨) .
(٤) راحة العقل للكرمانى (ص ٣٠١) .
(٥) رسالة مطالع الشموس للداعى ابى فراس ضمن اربع رسائل اسماعيلية (ص ٣٥ - ٣٦) .

وفى موضع آخر يقولون ان اسماء الله الحسنى هى اسماء العقل الكلى او السابق فهى تنطبق اذن على الناطق او الامام [1].

وكما نقل عن الداعى شهاب الدين قوله : واعلم ان الامام الموجود للانام لا يخلو منه مكان ولا يجوزه مكان لانه الهى الذات سرمدى الحياة ولو لم يتأنس بالحدود والصفات لما كان للخلق الى معرفته وصول فهو شمس فلك الدين وآية الله فى السموات والارض وبه صلاح العالم باسره كما ان الشمس هى الباعثة فى العالم روح الحياة وهو قلب هذا العالم الكبير ومدبره وضده فبمعرفته وطاعته والتخلى من ضده صلاح المؤمنين وهو فرد الحقيقة ومرتب الدوام وموجد النظام .. الخ [2]

اذن فهذا الاعتذار الذى اورده بعضهم - فرارا من دعوى ائمتهم للالوهية - باطل والخلاصة فان عقيدة الاسماعيلية والقرامطة تدور كلها حول الاعتقاد بالامام والاخذ عنه اذ هو المحور الاساسى عندهم لجميع الاعمال والاعتقادات ويقول الشيرازى : ان من تعلق باذيال الائمة وضحت له معالم التوحيد سليمة من التشبيه والتعطيل ومن تخلف عنهم غرق فى طوفان الضلال والتضليل . ومن سقط من ولايتهم سقط عن توحيد ربه وكان ممن ران الشيطان على قلبه فمقامات الوصى والائمة الاشهاد مصحة للتوحيد وعدة للمعاد ولو كان يقع الغنى عنهم فى هذا العلم الذى هو المنتهى . والقطب الذى تدور عليه الرحا لكان الغنى عنهم فى الفروع التى هى محمولة عليه واكثر واوفى واوفر فاهل النفاق الذين لم يلوذوا بالوصى والائمة فى اقتباس انوار التوحيد منهم ولم يعتصموا بعلائق اليقين فى الاخذ عنهم يخادعون الله والذين آمنوا تحلية لظاهر اجسامهم بحلية الدين وتخلية لباطن نفوسهم عن

---

(١) ديوان المؤيد (ص ٩٨) .

(٢) رسالة مطالع الشموس للداعى ابى فراس ضمن اربع رسائل اسماعيلية (ص ٣٣) .

ان يردوا بها عين اليقين فهم من حيث ظاهر اسلامهم مشهورون ومن جهة الايمان متكورون يخادعون الله والذين آمنوا بدالوعهم من مطالع الائمة فهم مأمونون وتبرجهم بزينة البصراء وهم عمون (١).

وقبل النهاية من بيان معتقدات القرامطة والاسماعيلية من الامامة لا بد من الاشارة الى بعض مزاعمهم ـ التى سبق ذكرها عرضا في الباب الثانى ـ عن الائمة وحججهم ومن هذه المزاعم :

(١) ان الامام ينزل عليه طعام اهل الجنة وكان حمدان قرمط يصنع طعاما حلوا لذيذا على قدر البندق ويقدمه لاتباعه ـ اذا ادوا اليه سبعة دنانير ـ زاعما ان ذلك طعام اهل الجنة وانه نزل على الامام من ولد على بن ابى طالب (٢).

(٢) ان الامام يملك نواصى الامور ويتضح هذا الزعم عند القرامطة ودعاة الاسماعيلية من المحاورة التى وقعت بين الحسين الاهوازى وحمدان قرمط حينما التقيا بسواد الكوفة (٣).

(٣) السجود لائمتهم وزعمائهم عند رؤيتهم وهذه الظاهرة مما تكررت لديهم ونقلها جمع من المؤرخين فحينما ظهر زكرويه بن مهرويه من مخبأه ترجل له اتباعه والصقوا خدودهم بالارض وطافوا به وفى لحظة رؤياه سجدوا له (٤).

كما ان القاضى النعمان ذكر مسألة السجود للائمة مدافعا عنها بقوله : فالرعاع واوباش الناس والعوام ينكرون السجود للائمة ويرونه

---

(١) المجالس المؤيدية للشيرازى (ص ٣٤٦) .

(٢) انظر اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٥٦) ، نهاية الارب للنويرى (٢٣ : ورقة ٥٦) .

(٣) اتعاظ الحنفا (١ : ١٥١) .

(٤) تاريخ اخبار القرامطة لابن سنان (ص ٣٠) ، اتعاظ الحنفا للمقريزى (١ : ١٧٧) .

سجودا من دون الله تعالى الله عن قولهم ونزه اولياءه من افترائهم عليهم وبين ان هذا السجود هو نوع من تقبيل الارض بين يدى الائمة بدلا من تقبيل ايديهم وليس المقصود به السجود لهم من دون الله.[١]

ويصف المؤيد لحظة دخوله على امامه المستنصر بقوله : فلم تقع عيني عليه الا وقد اخذتني الروعة وغلبتني العبرة وتمثل في نفسي انني بين يدى رسول الله وامير المؤمنين ماثل وبوجهي اليه وجهيهما مقابل واجتهدت عند وقوعي الى الارض ساجدا لولى السجود ومستحقه الى ان قال ولما رفعت رأسي من السجود وجمعت على اثوابي للقعود مكثت عنده ساعة لا ينبعث لساني بنطق ولا يهتدى لقول.[٢]

(٤) استباحة دم الخارج على الامام واعتباره كافرا وسبق ان مربنا من الاحداث في الباب الثاني مايدل على ذلك.

فعبدان قتل بحجة انه خارج على الامام وعاص لامره.[٣] كما ان الابن ـ وهو على مذهب القرامطة ـ اراد قتل امه لانها لم تعتنق مذهبه واعتبرها كافرة ومما قال لها : يا اماه اتركي هذا الدين (الاسلام) وادخلى معى في هذه الدعوة والدين مانحن فيه اليوم.[٤] ومما كتبه الحسين بن زكرويه الى احد عماله قائلا اما بعد : فقد انهى الينا ماحدث قبلك من اخبار اعداء الله الكفرة وما فعلوا بناحيتك من الظلم والعبث والفساد في الارض.[٥]

وبعد النقل مما تفوه به دعاة القرامطة والاسماعيلية عن الامامة

---

(١) الهمة في اتباع آداب الائمة (ص ١٠٥) .

(٢) السيرة المؤيدية (ص ٨٥) .

(٣) استتار الامام للنيسابوري (ص ٩٦ - ٩٧) واتعاظ الحنفا (١ : ١٦٨) .

(٤) تاريخ اخبار القرامطة لابن سنان (ص ٢١) .

(٥) اتعاظ الحنفا للمقريزي (١ : ١٧٤) .

ومعتقداتهم عنها ننتقل الى ماسطره لنا علماء السنة والجماعة حيث الالفاظ المهذبة والاحكام الواقعية والعدل والانصاف ولاغرابة فى ذلك فهم أولى من يلتزم بقوله تعالى " واذا قلتم فاعدلوا "(١) وقوله تعالى " واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل "(٢).

ولذا فانهم حينما نقلوا عن القرامطة معتقداتهم من الامامة ذكروا مايمكن ذكره عنهم وابتعدوا عن نقل الالفاظ الكفرية والعبارات الهائمة التى لانصيب لها من العلم(٣).

وهذه عباراتهم التى اطلقوها وحكموا بها على القرامطة والاسماعيلية نستعرضها قولا بعد آخر.

يقول ابن الجوزى : ان الطريق الذى سلكوه هو اختيار رجل يزعم انه من اهل البيت يجب على كل الخلق كافة متابعته ويتعين عليهم طاعته ويكون هذا الامام معصوما من الخطأ والزلل من جهة الله تعالى(٤).

ويقول فى موضع آخر: انهم اتفقوا على انه لابد لكل عصر من امام معصوم قائم بالحق يرجع اليه فى تأويل الظواهر مساو للنبى عليه الصلاة والسلام فى العصمة(٥).

اما الشهرستانى فيقول انهم قالوا : لن تخلو الارض قط من امام حى قائم اما ظاهر مكشوف واما باطن مستور فاذا كان الامام ظاهرا جاز ان يكون حجته مستورا واذا كان الامام مستورا فلابد ان يكون حجته ودعاته ظاهرين . وقالوا : ان الائمة تدور احكامهم على سبعة سبعة

---

(١) سورة الانعام : ١٥٢ .

(٢) سورة النساء : ٥٨ .

(٣) ومن ذلك وعلى سبيل المثال اعتقادهم بان محمد بن اسماعيل ند ونظير للانبياء والرسل وانه ناسخ لشريعة الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك وصف ائمتهم بالصفات الالهية مما سبق ان ذكرناه بعباراتهم والفاظهم .

(٤) تلبيس ابليس لابن الجوزى (ص ١٠٦) .

(٥) المرجع السابق (ص ١٠٨) .

كأيام الاسبوع والسموات السبع والكواكب السبعة ومن مذهبهم ان من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية وكذلك من مات ولم يكن فى عنقه بيعة امام مات ميتة جاهلية.(١)

ويقول الغزالى : ان الاسماعيلية اتفقوا على ان الامام يساوى النبى فى العصمة والاطلاع على حقائق الحق فى كل الامور.(٢)

ويذكر الملطى تفصيلات اكثر عن عقيدة الاسماعيلية والقرامطة فى الائمة قائلا : انهم يقولون عن ائمتهم انهم يعلمون الغيب ويقدرون على كل شىء ولا يعجزهم شىء ويقهرون ولا يقهرون ويعلمون ولا يعلمون ولهم علامات ومعجزات وامارات ومقدمات قبل مجيئهم وظهورهم وبعد ظهورهم يعرفون بها وهم مباينون لسائر الناس فى صورهم واطباعهم واخلاقهم واعمالهم.(٣)

ويقول الاسفرائينى : انهم يزعمون ان الامامة صارت من جعفر الى ابنه اسماعيل وكذبهم فى هذه المقالة جميع اهل التواريخ لما صح عندهم من موت اسماعيل قبل ابيه جعفر وقوم من هذه الطائفة يقولون بامامة محمد بن اسماعيل وهذا مذهب الاسماعيلية من الباطنية.(٤)

اما ابو الحسن الاشعرى فيقول : انهم يزعمون ان النبى صلى الله عليه وسلم نص على على بن ابى طالب وان عليا نص على امامة ابنه الحسن وهكذا كل امام ينص على من بعده الى محمد بن اسماعيل. ولكن الاشعرى ذكر بعد ذلك رأيا ضعيفا لبعض الشيعة وهو ان الشيعة الاسماعيلية يقولون عن محمد بن اسماعيل انه حى الى اليوم لم يمت ولا يموت حتى يملك الارض وانه هو المهدى الذى تقدمت البشارة به . لكن الاشعرى

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى (١٩٢:١).

(٢) فضائح الباطنية للغزالى (ص ٤٢).

(٣) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع للملطى (ص ٢٠).

(٤) التبصير فى الدين للاسفرائينى (ص٢٣).

نقض هذا الرأى بقوله ان فرقة من الرافضة خالفت هذا الزعم فقالوا بموت محمد بن اسماعيل وان الامامة انتقلت الى ولده من بعده .(١)

ويذكر الحميرى(٢) ايضا زعم الاسماعيلية بعدم موت الامام حتى يملك الارض الا انه يقول ان المراد بذلك اسماعيل بن جعفر ـ وليس محمد بن اسماعيل ويذكر ان الاسماعيلية احتجوا بقول جعفر : ماكان الله ليبدوا له على فى امامة اسماعيل .(٣)

ناقش علماء السنة والجماعة معتقدات القرامطة هذه وبينوا مافيها من ضلال وانحراف مع العلم انهم (اى القرامطة) ليست لديهم ارضية ثابتة للمناقشة .

يقول ابن الجوزى : ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم مناظرة وانما اخترعوا بواقعاتهم ما ارادوا .

ويقول الشهرستانى : وكم قد ناظرت القوم على بعض مقدماتهم فلم يتخطوا عن قولهم افنحتاج اليك ؟ او نسمع هذا منك ؟ او نتعلم عنك ؟(٤)

ويقول ابن تيمية عن الشيعة عموما : انهم من اكذب الناس فى النقليات ومن اجهل الناس فى العقليات يصدقون من المنقول بما يعلم

---

(١) انظر مقالات الاسلاميين للاشعرى (ص ١٠١) .

(٢) انظر الحور العين لنشوان الحميرى (ص ١٦٩) .

(٣) ان الزعم بعدم موت الامام سواء اسماعيل بن جعفر او ابنه محمد وانه حى ولا يموت حتى يملك الارض زعم ضعيف عند الاسماعيلية ومن المعروف ان هذه العقيدة عند قوناهم الشيعة الاثناعشرية حيث يقولون عن امامهم الثانى عشر انه الامام المنتظر وهو مقيم بسر من رأى وانه حى الى اليوم . انظر الملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٦٩) .

(٤) تلبيس ابليس لابن الجوزى (ص ١٠٨) .

العلماء بالاضطرار انه من الاباطيل ويكذبون بالمعلوم من الاضطرار المتواتر اعظم تواتر فى الامة جيلا بعد جيل.(١)

ومع ذلك كله فقد تصدى علماء السنة والجماعة لهم وردوا عليهم وبينوا مافى اعتقادهم هذا من زيغ والحاد وضلال .

(١) وعن وجوب الامامة واعتبارها احد اركان الدين او اعتبارها الايمان بعينه بين ابن تيمية رحمه الله مافى هذا القول من الفساد والضلال فى معرض رده على الشيعة الاثنا عشرية(٢) قائلا : ان الاعتقاد بان مسألة الامامة اهم المطالب كذب بالاجماع اذ الايمان اهم فمن المعلوم بالضرورة ان الكفار على عهد النبى صلى الله عليه وسلم كانوا اذا اسلموا اجرى عليهم احكام الاسلام ولم تذكر لهم الامامة بحال فكيف تكون اهم المطالب ام كيف يكون الايمان بامامة المنتظر اهم من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه .

ومن المتواتر ان الكفار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا اسلموا اجرى عليهم احكام الاسلام ولم يذكر لهم الامامة بحال ولا نقل هذا عن الرسول احد من اهل العلم لا نقلا خاصا ولا عاما بل نحن نعلم بالاضطرار ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يذكر للناس اذا ارادوا الدخول فى دينه الامامة لا مطلقا ولا معينا فكيف تكون اهم المطالب فى احكام الدين .

وايضا فمن المعلوم ان اشرف مسائل المسلمين واهم المطالب فى الدين ينبغى ان يكون ذكرها فى كتاب الله اعظم من غيرها وبيان الرسول لها اولى من بيان غيرها والقرآن مملوء بذكر توحيد الله

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١ : ٤) .

(٢) هذا الاعتقاد عن الامامة مما اتفق عليه الشيعة الاسماعيلية والاثنا عشرية .

تعالى وذكر اسمائه وصفاته وآياته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقصص والامر والنهى والحدود والفرائض بخلاف الامامة فكيف يكون القرآن مملوءا بغير الاهم والاشرف .

اما القول بان الامامة احد اركان الايمان فهذا جهل وبهتان فان النبى صلى الله عليه وسلم فسر الايمان وشعبه ولم يذكر الامامة فى اركانه ولا جاء ذلك فى القرآن بل قال تعالى " انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم "(١) . وقال تعالى : " انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون "(٢) . وقال تعالى : " ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون "(٣) . الى غير ذلك من الايات ولم يذكر الامامة ولا انها من اركان الاسلام(٤) . هذا مع العلم انهم حينما يقولون عن الامامة انها اهم المطالب يقصدون بذلك امامة ائمتهم فقط مع التشعب والاختلاف فى هؤلاء الائمة . وبناء على هذا فكل فريق يدعى ان معرفة امامه هو اصل قبول الاعمال وهذا من سخيف القول وهذيانه ورأى الشيعة الاسماعيلية او الاثنا عشرية فى الامامة فيه تكليف مالا يطاق فمن المعروف انه مضى فترة طويلة تعرف

---

(١) سورة الانفال : ٢ - ٣ - ٤ .
(٢) سورة الحجرات : ١٥ .
(٣) سورة البقرة : ١٧٧ .
(٤) منهاج السنة النبوية بتصرف (١ : ٤٨-٦٤) .

بدور الستر كان ائمة الاسماعيلية غير معروفين لدى الكثير من اتباعهم القرامطة فيلزمهم في هذه الفترة ان تكون اعمالهم واقوالهم وجميع امورهم باطلة لان الامام غير معروف وهم يقولون ان معرفة الامام والايمان به اصل قبول الاعمال .

فهم بهذا علقوا نجاة الخلق وسعادتهم وطاعتهم لله ورسوله بشرط ممتنع لا يقدر عليه الناس بل ولا يقدر عليه احد منهم .

فعلم بذلك ان قولهم في الامامة لا ينال به الا ما يورث الخزي والندامة وان ذلك اذا كان اعظم مطالب الدين فهم ابعد الناس عن الحق والهدى وان لم يكن كذلك ظهر بطلان ما ادعوه فثبت ان قولهم باطل على التقديرين .(1)

(٢) الامر الثاني الذي ناقشهم عليه علماء السنة ادعاءهم بان الامامة لعلي بن ابي طالب وتبقى مسلسلة في ابنائه على التعيين واحدا بعد آخر .

وقبل مناقشة هذا المعتقد لدى الاسماعيلية لا بد من الاشارة الى ان تشيع الاسماعيلية والقرامطة لآل البيت ليس حبا واكراما لهم وانما هو ذريعة دبروها لبلوغ اهدافهم الخبيثة التي يبطنونها .

ويقول ابن تيمية : ان من وصاياهم الدخول على عامة المسلمين وجها لهم من باب التشيع لآل البيت ويعتبر ابن تيمية تظاهرهم بالتشيع وموالاة آل البيت مع ابطانهم خلافه يشكل خطرا وضررا على المسلمين اشد من ضرر اليهود والنصارى .(2)

كيف لا وقد اكدت المصادر الشيعية نفسها صلة اليهود بهذه العقيدة فيقول النوبختي : ان اول من اشهر القول بفرض امامة علي بن

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١ : ٥٨ - ٦٠) بتصرف .
(٢) الفتاوى لابن تيمية (٤ :

ابى طالب هو عبد الله بن سبأ اليهودى.[1] كما قال الكشى ايضا : وكان ابن سبأ أول من اشهر القول بفرض امامة على[2] . كما نقل المامقانى فى كتابه تنقيح المقال مانصه :

وذكر اهل العلم ان عبد الله بن سبأ كان يهوديا فاسلم ووالى عليا وكان يقول - وهو على يهوديته - عن يوشع بن نون انه وصى موسى فقال فى اسلامه فى على مثل ذلك.[3]

ان مجموع هذه النصوص ليؤكد حقيقة خطيرة تنسف المذهب الشيعى من جذوره حيث انه قام على هذه العقيدة وهذا المبدأ الذى صاغه واظهره لعالم الوجود فكر يهودى خالص ممثلا فى شخصية عبد الله بن سبأ الذى فرق وحدة المسلمين وفرق جمعهم وراء ستار التشيع لعلى رضى الله عنه كما ان فى احداث القرامطة مايدل على انهم لا يعترفون بافضلية احد من الصحابة حتى على بن ابى طالب وآل بيته مما يؤكد كذبهم فى التمسح والتظاهر بحب آل البيت . ومما ذكر ابن الجوزى ضمن احداث سنة ٣١٧ هـ ان رجلا من اصحاب الحديث اسرته القرامطة واستعبدته سنين ثم هرب وينقل عن القرامطة كثرة الوقيعة فى الصحابة حتى على بن ابى طالب حيث يصفونه بالمخرقة .

ويقول ابن الجوزى ايضا ان ابا طاهر القرمطى دخل الكوفة دفعات فما دخل الى قبر على عليه السلام واجتاز بالحائر فما زار الحسين[4]

ونعود بعد ذلك لنؤكد ان الادعاء بان الامامة خاصة بعلى بن ابى طالب وابنائه من بعده ادعاء كاذب وقول مجرد من الدليل الصحيح واننا اذا تتبعنا ادلتهم من هذا الموضوع نجدها كالاتى :

---

(١) فرق الشيعة للنوبختى (ص ٤١) .
(٢) رجال الكشى (ص ١٠١) .
(٣) المنتقى للذهبى (ص ٣٠٧) حاشية رقم ٢ .
(٤) المنتظم لابن الجوزى (٦ : ٢٢٤) .

(أ) ادلة من الكتاب والسنة فسروها واولوها حسب مزاعمهم واهوائهم مستخدمين لذلك التفسيرات الباطنية التي لا حدود لها ولا قيود سواء من جهة الشرع او لغة العرب .[1]

حتى ان مستشرقا يهوديا انتقدهم على هذه التفسيرات المتعسفة للايات وقال ان من يقرأ تفسيرات الشيعة يتصور ان القرآن كتاب حزبي لهم وضرب مثالا بارزا لذلك وهو تفسير على بن ابراهيم القمي .[2]

(ب) احاديث مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعها المبتدعة من الرافضة والزنادقة ولا سيما احاديث الفضائل المتعلقة بعلى ابن ابى طالب وآل بيته وقد اعترف الكثير من متقدمى علماء الشيعة بذلك .

يقول ابن ابى الحديد - وهو شيعى - واعلم ان اصل الاكاذيب فى احاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فانهم وضعوا فى مبدأ الامر احاديث مختلقة فى صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم .[3]

اما علماء السلف فاطبقوا على وصفهم بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع الاحاديث . وحينما سئل الامام مالك رضى الله عنه عن الرافضة ومروياتهم قال : لا تكلمهم ولا تروعنهم فانهم يكذبون ويقول الشافعى : لم ار احدا اشهد بالزور من الرافضة . ويقول الاعمش: ادركت الناس وما يسمونهم الا الكذابين .

ويقول ابن تيمية رحمه الله :ان من تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفيها بالكذب فى الشيعة اكثر منهم فى جميع الطوائف والخوارج مع مروقهم من الدين هم من اصدق الناس حتى قيل ان حديثهم

---

(١) انظر لمثل هذه الاستدلالات ديوان المؤيد (ص ٧٢-٨٠) .

(٢) نظرية الامامة لاحمد صبحى (ص ٢٠٣) نقلا من مذاهب التفسير لجولد تسيهر (ص ٣١) .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد (١١ : ١٧) .

من اصح الحديث والرافضة يقرون بالكذب حيث يقولون : دينا التقيه وهذا هو النفاق[1].

ويقول ابن القيم رحمه الله ان ماوصفه الرافضة في فضائل على اكثر من ان تعد ونقل من الحافظ ابى يعلى قوله : ان الرافضة وضعت في فضائل على رضى الله عنه واهل البيت نحو ثلاث مئة الف حديث ويعلق ابن القيم على قول ابى يعلى بان ذلك لا يستبعد حيث لو تتبعنا ماعندهم من ذلك لوجدنا الامر كما قال ابو يعلى[2].

(ج) فضائل ثابتة لعلى بن ابى طالب وآل البيت ومع ان بعض هذه الفضائل صحيحة فقد حرفوها عن معانيها الصحيحة واولوها الى معان ليس لها اصل في الشرع ولغة العرب.

هذا مع العلم ان للصحابة الاخرين من امثال ابى بكر وعمر وعثمان من الفضائل ماهو اكثر من فضائل على بن ابى طالب . ففي صحيح البخاري عن محمد بن الحنفية انه قال لابيه على يا ابت من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يابنى او ماتعرف قلت لا ، قال ابو بكر قلت ثم من قال عمر وروى هذا عن على من نحو ثمانين وجها وانه كان يقوله على منبر الكوفة بل قال لا اوتى باحد يفضلنى على ابى بكر وعمر الا جلدته حد المفترى ثمانين جلدة[3].

وكان السلف متفقين على تقديم ابى بكر وعمر حتى شيعة على رضى الله عنه فعن عبدالله بن زياد قال قدم ابو اسحاق السبيعى الكوفة قال لنا شمر بن عطيه : قوموا اليه فجلسنا اليه فتحدثوا فقال ابو اسحاق : خرجت من الكوفة وليس احد يشك في فضل ابى بكر وعمر وتقديمهما وقدمت الان وهم يقولون ويقولون ولا والله ما ادرى مايقولون

(١) انظر المنتقى للامام الذهبى (ص ٢١ -٢٢-٢٣) .
(٢) المنار المنيف لابن القيم (ص ١١٦) .
(٣) المنتقى (ص ٣٦١-٣٦٢) ، الحسام المسلول (ص ٣٩-٤٠) .

وعن سعيد بن حسن قال سمعت ليث بن ابى سليم يقول : ادركت الشيعة الاولى ومايفضلون على ابى بكر وعمر احدا . وقال احمد بن حنبل قال حدثنا سفيان بن عيينة بسنده الى مسروق قال : حب ابى بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة .(١)

واما الادعاء بان اولاد على بن ابى طالب هم الائمة المنصوص عليهم فادعاء متهافت انكره آل البيت انفسهم . يقول ابن تيمية رحمه الله : والذى علمناه من حال اهل البيت علما لا ريب فيه انهم لم يكونوا يدعون انهم منصوص عليهم كجعفر الصادق وابيه وجده زين العابدين وعلى بن الحسين وابيه .(٢)

والادلة على ماذكره ابن تيمية كثيرة ومن ذلك مارواه البخارى عن ابى بكره انه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنبه ينظر الى الناس مرة واليه مرة ويقول : ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين .(٣)

وروى الامام احمد فى مسنده نص هذا الحديث وفيه فقال الحسن - وهو احد الرواة - فوالله بعد ان ولى لم يهرق فى خلافته ملء محجمة من دم .(٤)

ويقول الخطابى انه خرج مصداق هذا الحديث بما كان من اصلاح الحسن بين اهل العراق واهل الشام وتخليه عن الامر خوفا من الفتنة وكراهية لاراقة الدم ويسمى ذلك العام سنة الجماعة .(٥)

---

(١) المنتقى للذهبى (ص ٣٦٠-٣٦١) .

(٢) المنتقى للذهبى (ص ٥٣٣) مختصر منهاج السنة لابن تيمية .

(٣) فتح البارى (٧ : ٩٤) ، ابو داود (٥ : ٤٨-٤٩) ، ولفظه وانى لارجو ان يصلح الله به بين فئتين من امتى ، واخرجه الترمذى ايضا (٥ : ٦٥٨) ، النسائى (٣ : ٨٧-٨٨) ، الامام احمد فى المسند (٥ : ٣٧-٣٨) .

(٤) المنتقى للذهبى (ص ٥٣٣) ، مختصر منهاج السنة .

(٥) معالم السنن للخطابى حاشية سنن ابى داود (٥ : ٤٨-٤٩) .

فهذا النص الثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم يخالف ماذهب اليه الشيعة سواء اسماعيلية او اثنا عشرية من ان الامامة منصوص عليها وان امامة من سوى المنصوص عليهم باطلة فالحسن رضى الله عنه تنازل عن الامامة لمعاوية واصبح بذلك اماما للمسلمين كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم اخبر بوقوع ذلك وان تنازل الحسن هذا يعتبر من فضائله ومناقبه التى اخبر الرسول بها .

وروى الامام احمد بسنده عن عبدالله بن سبع قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول : لتخضبن هذه من هذا فما ينتظر بى الاشقى . قالوا يا امير المؤمنين فاخبرنا به نبير عترته قال اذا تالله تقتلون بى غير قاتلى قالوا فاستخلف علينا قال : لا ولكن اتركم الى ما ترككم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فما تقول لربك اذا اتيته قال اقول اللهم تركتنى فيهم ما بدالك ثم قبضتنى اليك وانت فيهم فان شئت اصلحتهم وان شئت افسدتهم (١) .

وروى ايضا احمد مثله عن اسود بن عامر عن الاعمش عن سلمة بن كهيل عن عبدالله بن سبع وذكر انه سيقتل ثم قال الناس استخلف اذا قال لا ولكن اكلكم الى ما وكلكم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

ان هذه الاحاديث نصوص ثابتة وصريحة فى بطلان دعوى نصية الامامة فى ابناء على بن ابى طالب . ولذا يقول ابو بكر بن العربى ان قول الرافضة ان على بن ابى طالب عهد الى ابنه الحسن قول باطل وانه ما عهد الى احد (٣) .

ومنطلقا من دعوى نصية الامامة فى على بن ابى طالب وابنائه من بعده اعتبروا خلافة الخلفاء الثلاثة ابو بكر وعمر وعثمان باطلة وانهم

---

(١) مسند الامام احمد (١ : ١٣٠) .
(٢) المرجع السابق (١ : ١٥٦) .
(٣) العواصم من القواصم (ص ١٩٨) .

اغتصبوها وتعرضوا لهم سبا وتجريحا وافتروا عليهم العظائم وجعلوا حسناتهم سيئات حتى ان المسلم اذا قرأ كتب الشيعة على تعدد فرقهم يربأ بنفسه عن متابعة الفاظهم الشنيعة فى خيار الامة فضلا من نقل هذه العبارات وتسطيرها .

والحقيقة ان القدح فى جيل الصحابة يعتبر قدحا فى الرسول صلى الله عليه وسلم القائل فيهم : لا تسبوا اصحابى فوالذى نفسى بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا مابلغ مد احدهم ولا نصيفه(١) .

(٣) وبعد دحض دعواهم نصية الامامة ننتقل الى دعوى اخرى اضعف من سابقتها الا وهى دعوى علم الغيب للائمة .

ان هذه الدعوى متهافتة ولا ينطق بها من عنده مسكة من عقل فضلا من الاعتقاد بها . وذلك ان الله عز وجل صرح فى مواضع كثيرة من القرآن من ان علم الغيب خاص به تعالى لا يشاركه فى ذلك نبى مرسل ولا ملك مقرب . قال تعالى : " قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله "(٢) ، وقال تعالى : " وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ، ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين "(٣) .

وامر رسوله الكريم بان يقر ويعترف ويعلن انه لا يعلم الغيب بقوله " قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك "(٤) . . وبقوله : " قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون "(٥) .

---

(١) فتح البارى (٧ : ٢١) ، مسلم (٤ : ١٩٦٧) .
(٢) سورة النمل : ٦٥ .
(٣) سورة الانعام : ٥٩ .
(٤) سورة الانعام : ٥٠ .
(٥) سورة الاعراف : ١٨٨ .

واخبر الله عز وجل عن المغيبات الخمس التي استأثر الله بعلمها بقوله : " ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا . وما تدري نفس باي ارض تموت . ان الله عليم خبير "(١) .

وما اكثر الايات التي وردت في القرآن تدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو افضل الامة بلا منازع لا يعلم من حقيقة بعض الاشخاص الذين عاشوا معه وعاش معهم الا باخبار الله عز وجل له وايضاحه لما في نفوسهم وضمائرهم . ومن ذلك ما ذكر الله عن المنافقين بقوله : " وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم "(٢) .

وكذلك قوله في المنافقين الذين استأذنوا الرسول في القعود فاذن لهم حيث عاتبه الله قائلا : " عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين "(٣) .

فهذا ما قاله الله عز وجل عن علم الغيب وانه من خصائصه ويتطاول الشيعة كذبا وبهتانا على هذه الخصائص وذلك بزعمهم من ائمتهم علم الغيب ومعرفة ما في النفوس وما ذكرنا من الايات صريحة في الرد عليهم وكافية لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد(٤) .

ومن الجدير بالذكر ان علماء العقيدة حينما تحدثوا عن الطواغيت ورؤوسهم اعتبروا من يدعى علم الغيب رأسا من رؤوس الطواغيت الخمسة التي يجب على كل مسلم الكفر بها(٥) .

---

(١) سورة لقمان : ٣٤ .

(٢) سورة التوبة : ١٠١ .

(٣) سورة التوبة : ٤٢ .

(٤) سورة ق : ٣٧ .

(٥) الرسالة السابعة من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٢٦٦) ضمن الجامع الفريد .

عصمة الائمة وموقف اهل السنة منها :

انفردت الشيعة من بين سائر الفرق الاخرى باعتقاد عصمة الائمة[1] واعتبروا هذه الصفة ملازمة للامام بل تعد احدى المبادئ الاساسية والاصول الايمانية في مذهب الشيعة ولذا بين ابن تيمية ذلك بقوله ان القول بعصمة الائمة عقيدة خاصة بالرافضة لا يشركهم فيها احد لا الزيدية الشيعة ولا سائر طوائف المسلمين الا من هو شر منهم كالاسماعيلية الذين يقولون بعصمة بني عبيد المنتسبين الى محمد بن اسماعيل بن جعفر القائلين بان الامامة بعد جعفر في محمد بن اسماعيل دون موسى بن جعفر واولئك ملاحدة منافقون[2] .

تصدى علماء السنة ضمن ردودهم على الشيعة الى رد هذه العقيدة

---

(١) اختلف في تعريف العصمة . فالحكماء قالوا بانها ملكة في النفس لا يصدر من صاحبها معها المعاصي .
وعرفها المعتزلة : بانها لطف على المكلف لا يكون له داع الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك .
وقالت الاشاعرة : هي القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية .
اما الجيلاني فعرفها باسلوب الفلاسفة قائلا : انها قوة روحانية وموهبة فطرية مختصة بالنفوس القدسية لا ستعدادها الذاتي لتحصل بها حقائق مشاهدة عقلية بقدر طاقتها على ما كان عليها ولا يحصل معها العصيان والسهو والنسيان وان كان ممكنا لها لذاتها .
توفيق التطبيق للجيلاني (ص ١٥ -١٦) .
اما متكلموا الشيعة فيعرفونها بقولهم : انها الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه وهو لطف يمتنع من يختص به عن فعل المعصية ولا يمنعه على وجه القهر اي انه لا يكون له حينئذ داع الى فعل المعصية وترك الطاعة مع القدرة عليها . شرح عقائد الصدوق للشيخ المفيد (ص ١١٤) ، وانظر نظرية الامامة (ص ٦) .

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢ : ٣٥٩ - ٣٦٠) .

وبيان تهافتها وانها مما ابتدعته الشيعة فى دينهم حيث لا اصل لهـــا لا نقلا ولا عقلا .

فالغزالى رحمه الله افرد لها فصلا خاصا وناقشهم فيه نقاشـــا عقليا الزمهم بعدة الزامات لا فرار لهم منها (١) ، فمن الزاماته لهم قولـــه بماذا عرفتم صحة كونه معصوما ووجود عصمته ابضرورة العقل او بنظـــره او سماع خبر متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يورث العلـــم الضرورى ولا سبيل الى دعوى الضرورة ولا الى دعوى الخبر المتواتر المفيـد للعلم الضرورى لان كافة الخلق تشترك فى دركه وكيف يدعى ذلك واصـل وجود الامام لا يعرف ضرورة بل نازع منازعون فيه فكيف نعلم عصمتـــه ضرورة ؟ وان ادعيتم ذلك بنظر العقل فنظر العقل عندكم باطـــل وان سمعتم من قول امامكم ان العصمة واجبة للامام فلم صدقتموه قبـل معرفة عصمته بدليل آخر ؟ وكيف يجوز ان تعرف امامته وعصمته بمجـــرد قولـــه (٢) .

اما صاحب مشكاة الانوار فقد ابطل مازعموه ادلة على العصمـــة وابطل اشتراطها فى الامام اصلا واعتمد فى بطلانها على امور خمسة مـن اهم هذه الامور المطالبة لهم بالادلة وهو ان يقال لهم : بماذا عرفـــتم وجوب اشتراط عصمة الامام هل علمتموه بضرورة العقل او بنظره او سمـــاع خبر متواتر او بقول امامكم هذا ؟ ولا سبيل لكم الى دعوى الضرورة ولا الـى دعوى التواتر لعصمته لان ذلك يوجب اشتراك الخلق فى دركه وكيف يمكنكم دعوى الضرورة فى وجوب اشتراط العصمة للامام واصل وجوب وجود الامـام لا يعرف ضرورة بل قد نازع فيه منازعون . وان ادعيتم علم ذلك بنظر العقل فالنظر عندكم باطل لا معتمد عليه . وان عرفتم ذلك بقول امامكم فلـــم

---

(١) فضائح الباطنية (ص ١٤٢- ١٤٥) .
(٢) فضائح الباطنية للغزالى (ص ١٤٢) .

صدقتموه قبل ان تعلموا عصمته بدليل آخر ؟ وعلى انكم اذا كنتم لا تعرفون عصمته الا من قوله وقوله لا يكون حجة الا اذا كان معصوما فقد وقف كل واحد من الامرين على الاخر فلا يحصلان ولا واحد منهما (١) .

وبمثل هذه الالزامات والافحامات ناقشهم ايضا محمد بن الحسن الديلمي (٢) .

اما ابن تيمية رحمه الله فقد بين مكان العصمة ومن يوصف بها حيث قال : لم لا يجوز ان يكون اذا اخطأ الامام كان في الامة من ينبهه بحيث لا يحصل اتفاق الكل على الخطأ كما اذا اخطأ احد الرعية نبهه امامه او نائبه وتكون العصمة ثابتة للمجموع بحيث لا يحصل اتفاقهم على الخطأ كما يقوله اهل السنة والجماعة ونظيره ان كل واحد من اهل خبر التواتر يجوز عليه الخطأ والكذب ولا يجب ذلك على المجموع في العادة فاثبات العصمة للمجموع اولى من اثباتها للواحد وبذلك يحصل المقصود من العصمة . ومن جهل الرافضة انهم يوجبون عصمة واحد من المسلمين ويجوزون على مجموع المسلمين - اذا لم يكن فيهم معصوم - الخطأ (٣) .

ومن اقوى الشبه - التي يعتبرونها ادلة - قولهم ان الامام قائم مقام رسول الله فيما يتعلق به من امر الدين كله فاذا كان النبي معصوما وجب ان يكون الامام ايضا معصوما . وقد اجاب على هذه الشبهة صاحب مشكاة الانوار بجوابين :

الاول : ان مماثلة الامام للنبي يعتبر من جهل الملاحدة الذين يجمعون بين الامور المتباعدة ويوفقون بين الاشياء المتباينة فعصمة الانبياء ثبتت بايحاء الله لهم اما الائمة فليسوا كذلك .

الجواب الثاني : اننا نسألهم هل يوجبون في الامام ان يكون

---

(١) مشكاة الانوار ليحيي بن حمزة العلوي (ص ٨٣) .
(٢) انظر كتابه قواعد عقائد آل محمد (ص ٦٤ - ٦٥) .
(٣) المنتقى للذهبي (ص ٤١٠) .

مثل النبي في جميع احواله او يقولون لابد من فصل بينهما ؟

فان قالوا بالاول لم يكن فرق بين النبي والامام وليس هذا مذهبا لهم . وان قالوا بالثاني قلنا لهم فلم لا يكون الامر الذى افترقا فيه هو السبب في وجوب عصمة النبي دون الامام[1] ؟

كما ان الرازى اوقعهم في مأزق حرج لا فرار لهم منه حيث قال لو كان المعصوم في غير حاجة الى الامام لماكان على وانتم تثبتون له العصمة مدى الحياة في حاجة الى الرسول وهذا باطل لانكم تسلمون انه كان اليه محتاجا وبه مؤتما فان زعمتم ان امير المؤمنين لم يكن في حاجة الى النبي كان ذلك خروجا عن الدين وان زعمتم انه لم يكن معصوما كان خروجا من قاعدتكم ان الامام معصوم من اول عمره الى آخره[2] .

ومما مضى يتضح لنا ان القرامطة في معتقدهم من الامامة ابتعدوا كثيرا عن الهدى والصواب حتى لم يبق عندهم من الاسلام سوى بعض النصوص القرآنية التى لم تسلم بدورها من ائمتهم حيث لعبوا بها تأويلا وتحريفا بحجة انهم وصلوا الى مرتبة التحليل والتحريم .

اما الالفاظ الالحادية التى تفوه بها دعاة الاسماعلية والقرامطة كقولهم عن محمد بن اسماعيل انه مماثل للانبياء والرسل اوانه يعتبر ناسخا لشريعة الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، او وصف الائمة بالصفات الالهية هذه المعتقدات وما يشبهها ـ آثرت عدم مناقشتها لانها من الكفر البواح الذى لا يحتمل التأويل .

والعلماء الاجلاء كالغزالي والبغدادى وابن تيمية حينما ناقشوا الشيعة حول معتقداتهم اعرضوا عن مثل هذه الامور مكتفين بالاشارة الى انه لا يتفوه بمثل هذه الاقوال الا الملاحدة والكفار .

---

(١) انظر مشكاة الانوار ليحيى العلوى (ص ٨٦) .
(٢) نهاية العقول في دراية الاصول (ص ٤٣٥) ،نظرية الامامة لصبحى (ص ١٢٤) .

يقول ابن تيمية رحمه الله ان الغلاة من الرافضة كالاسماعيلية الذين يقولون : ان محمد بن اسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله يعتبرون كفارا بل انهم اشد كفرا من اليهود والنصارى والمشركين وهؤلاء ينتسبون الى الشيعة ويتظاهرون بمذاهبهم[1] .

ولقد نتج عن معتقد القرامطة في الامامة نتائج خطيرة من اهمها :

(١) اللعب بالنصوص القرآنية عن طريق الائمة واخضاع هذه النصوص للتأويلات والتفسيرات الباطنية ولذا اصبحت حقائق الدين واحكامه عند القرامطة مبنية على التأثر بالاهواء والاغراض التي لا ضوابط لها ولا قواعد .

(٢) استغلال نظرية الامامة حيث كانت مدخلا للكثير من البدع وتربة صالحة للاراء والمعتقدات الباطلة .

(٣) اعتبر القرامطة الامامة جسرا يعبرون عليه لاستعرارنشاطهم وتحقيق اهدافهم الهدامة حيث احاطة الائمة بهالة من التقديس والتعظيم واعتبرت كل طائفة امامها هو الذى يفيض عليه نور المعرفة وتنكشف له الحقائق ويعرف اصل الشريعة الذى يعبرون عنه بالباطن الحقيقي . ويقول الحميرى عن هؤلاء : وقد امسكت كل طائفة برئيس وعدت حسنا منه كل بئيس ولكل محاسن ومساو وقول ليس بمتساو[2] .

كما يقول احد المستشرقين : ان فكرة الامامة عند الاسماعيلية لم تكن الا قناعا ستروا وراءه برامجهم الهدامة . ولم تكن الا تكأة اسلامية المظهر اعتمدوا عليها كأداة للتقويض والتدمير[3] .

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١ : ٣٣٧) .
(٢) الحور العين للحميرى (ص ٢٤٨) .
(٣) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر (ص ٢٣٩) .